



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرعد
عليه صاب

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الفقه

آية الله العظمى الخميني
الشيخ محمد باقر المجلسي القمي
رحمه الله

كتابنا الذروة الإسلامية

١٠٢

دار العلوم
تفاهة لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفقه: موسوعه استدلاليه فى الفقه الاسلامى

كاتب:

آيت الله سيد محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الفكر الاسلامى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

| | |
|----|---|
| ٥ | الفهرس |
| ١٢ | موسوعه استدلاليه فى الفقه الاسلامى المجلد ١٠٢ |
| ١٢ | اشاره |
| ١٢ | اشاره |
| ١٨ | كتاب الدوله الإسلاميه ٢ |
| ١٨ | ((حاجات الإنسان الأوليه)) |
| ١٨ | اشاره |
| ١٩ | ((تكافؤ الفرص والمساواه)) |
| ١٩ | ((حق غير المسلمين فى الدوله الإسلاميه)) |
| ٢٢ | ((روايات الاحترام وحرمة الإهانه)) |
| ٢٧ | ((روايات فى حرمة الطعن واللعن)) |
| ٣٢ | ((تحولات فى العالم)) |
| ٣٢ | اشاره |
| ٣٢ | ((التحول فى الشرق)) |
| ٣٣ | ((التحول فى العالم الثالث)) |
| ٣٣ | ((الفقه العملى)) |
| ٣٤ | ((التكنولوجيا وصبغه الإسلام)) |
| ٣٥ | ((الغرب وتغيير مناهجه)) |
| ٣٥ | اشاره |
| ٣٥ | ((أسباب تخلف بلاد المسلمين)) |
| ٣٧ | ((اصلاح الأمة الإسلاميه)) |
| ٤٠ | ((الاقتصاد فى الدوله الإسلاميه)) |
| ٤٠ | اشاره |
| ٤٠ | ((الجمارك)) |

- ٤٠ ((الجواب عن شبهه الجمارك))
- ٤٣ ((الجواب على شبهه الحدود المصطنعه))
- ٤٥ ((الربا))
- ٤٥ اشاره
- ٤٦ ((إشكالان وجوابان))
- ٤٧ ((الضرائب))
- ٤٧ اشاره
- ٤٣ ((الضرائب وأسبابها))
- ٤٣ ((جهل الحكام))
- ٤٤ ((دكتاتوريه الحكام))
- ٧١ ((ترف الحكام))
- ٧٢ ((الأرض لله ولمن عمرها))
- ٧٢ اشاره
- ٧٥ ((شروط إحياء الأرض))
- ٧٦ ((خطأ الحكام فى الأراضى))
- ٧٨ ((الدوله الإسلاميه وسياسه اللاعنف))
- ٧٨ اشاره
- ٧٩ ((أقسام اللاعنف))
- ٨٠ ((أقسام العنف))
- ٨١ ((إشكال وجواب))
- ٨١ ((اللاعنف الفكرى والتربيه النفسيه))
- ٨٢ ((روايات فى مظاهر اللاعنف))
- ٨٣ ((نماذج من العنف فى التاريخ))
- ٨٥ ((منطق المسلمين فى الحروب))
- ٨٨ ((الحروب والسيره النبويه العطره))
- ٩١ ((اللاعنف أقوى تأثيراً))

- ٩٣ ((إشكال وجواب))
- ٩٦ ((اللاعنف اللساني))
- ٩٩ ((اللاعنف القلبي))
- ١٠٢ ((الاهتمام بالشباب))
- ١٠٢ اشاره
- ١٠٦ ((مما يحتاجه الشباب))
- ١٠٩ ((المرأة وتولى الأمور))
- ١١٧ ((مراعاه حال المرأة))
- ١١٧ اشاره
- ١١٩ ((ضروره الحجاب))
- ١٢٢ ((تعدد الزوجات))
- ١٢٣ ((قله الإرث والديه))
- ١٢٣ ((قواميه الرجل))
- ١٢٣ ((أقل شهاده))
- ١٢٥ ((الإماره والقضاء))
- ١٢٥ ((قوانين فى صالح المرأة))
- ١٢٥ ((الأصل التساوى بين الرجل والمرأة))
- ١٢٩ ((ما يجب على الدوله الإسلاميه تجاه المرأة))
- ١٣١ ((روايات فى المرأة))
- ١٣٩ ((الإسلام والتأكيد على العمل))
- ١٣٩ اشاره
- ١٤١ ((سؤالان وجوابان))
- ١٤٣ ((حق العامل والفلاح))
- ١٤٤ ((روايات فى حقوق العمال))
- ١٤٨ ((روايات فى الفلاحين))
- ١٤٩ ((روايات فى الزراعه))

- ١٥٦ ((العامل ورب العمل))
- ١٦٢ ((الطغيان الحكام))
- ١٦٢ اشاره
- ١٦٤ ((المؤسسات الدستورية))
- ١٦٦ ((التطور ومقوماته))
- ١٧٢ ((فلسفه التأخر))
- ١٧٢ اشاره
- ١٧٢ ((الغرور))
- ١٧٣ ((الكبر))
- ١٧٥ ((كثره الشكوى وبيان المشاكل))
- ١٧٥ ((كثره التوقعات))
- ١٧٦ ((عدم فهم الحياه))
- ١٧٧ ((سوء الخلق))
- ١٧٩ ((ملذات الحياه))
- ١٨٣ ((سوء الظن بالناس))
- ١٨٦ ((عدم الأجواء الملائمه))
- ١٨٩ ((انفضاض الناس))
- ١٩١ ((جمع الكلمه والتفاف الناس))
- ١٩٣ ((ما يوجب العداوه))
- ١٩٣ ((سحب البساط عن الآخرين))
- ١٩٥ ((عدم الاهتمام بعرش القلوب))
- ١٩٨ ((الراحه واللذه))
- ٢٠٣ ((النظره السلبيه للحياه))
- ٢٠٣ ((سؤال وجواب))
- ٢٠٥ ((اليأس من الإصلاح))
- ٢٠٧ ((الاستبداد))

- ٢١٠ ((الغرور العلمى والعملى))
- ٢١٢ ((عدم معرفه الموازنات))
- ٢١٢ ((كثره الأمانى))
- ٢١٥ ((استحقار الآخريين))
- ٢١٧ ((التفكير المطلق))
- ٢١٨ ((عدم التفكر فى الأسباب والمسببات))
- ٢٢٤ ((الاشتغال بالهوامش))
- ٢٢٥ ((التلون فى السير))
- ٢٢٦ ((الشطاره))
- ٢٢٧ ((مدح النفس))
- ٢٢٧ ((الهروب عن المسؤوليه))
- ٢٢٨ ((التوافه))
- ٢٢٩ ((انتظار المفاجئات))
- ٢٣٠ ((عدم الاعتبار بالعبر))
- ٢٣١ ((الأنانيات))
- ٢٣٣ ((إفراط وتفریط))
- ٢٣٣ ((الخداع))
- ٢٣٥ ((الرؤيه العكسيه))
- ٢٣٧ ((التوقف والسير الدائرى))
- ٢٣٨ ((انحطاط الهمه))
- ٢٤٠ ((الاستعجال))
- ٢٤٢ ((القول المطلق))
- ٢٤٤ ((قله الصبر))
- ٢٤٦ ((اتباع الهوى))
- ٢٤٩ ((الانهام والتكفير والتفسيق))
- ٢٥٢ ((فهم السياسه وصعوبته))

- ٢٥٤ ----- ((من سنن الكون))
- ٢٥٦ ----- ((الأسس الأخلاقية))
- ٢٥٧ ----- ((ضبط النفس))
- ٢٦٠ ----- ((إزالة الجهل والفقر والظلم))
- ٢٦٠ ----- اشاره
- ٢٦٦ ----- ((توفير الإمكانيات واستقلاليه الحوزات العلميه))
- ٢٦٨ ----- ((مميزات الحوزه على الجامعه))
- ٢٦٨ ----- اشاره
- ٢٦٨ ----- ((حريه الدرس وما يتعلق به))
- ٢٦٨ ----- ((التقوى والأخلاق))
- ٢٧٠ ----- ((العلاقه بين الأستاذ وتلميذه))
- ٢٧٠ ----- ((العلم وليست الشهاده))
- ٢٧٠ ----- ((استمراريه الدروس))
- ٢٧١ ----- ((التعليم والتعلم الدائم))
- ٢٧١ ----- ((الإخلاص فى التدريس))
- ٢٧١ ----- ((روايات فى العلم والعلماء))
- ٢٧٩ ----- ((تغيير الدين وأحكامه))
- ٢٧٩ ----- اشاره
- ٢٨٠ ----- ((تحليل الحرام وتحريم الحلال))
- ٢٨٨ ----- ((الدبلوماسيات))
- ٢٨٨ ----- اشاره
- ٢٩٢ ----- ((الدبلوماسيه والرأى العام))
- ٢٩٥ ----- ((بين الدبلوماسيه والأحكام الشرعيه))
- ٢٩٦ ----- ((رئاسه الدوله وما يتربط بالدبلوماسيات))
- ٢٩٧ ----- ((كتابات الرسول ص إلى الملوك))
- ٢٩٨ ----- ((كتابه ص إلى المقوقس))

٢٩٨ ((كتابہ ص إلى كسرى ملك الفرس))

٢٩٨ ((كتابہ ص إلى قيصر ملك الروم))

٢٩٨ ((كتابہ إلى الهلال صاحب البحرين))

٣٠٠ ((كتابہ إلى قيصر من تبوك))

٣٠٠ ((كتابہ إلى النجاشي))

٣٠٠ ((كتابہ إلى الحارث))

٣٠١ ((كتابہ إلى هوذه ملك اليمامة))

٣٠١ ((كتابہ إلى المنذر بن ساوى))

٣٠١ ((كتابہ إلى ابني الجلندی))

٣٠١ ((كتابہ إلى أکثم بن صفی))

٣٠٣ ((مکالمه أبى سفیان وأحد الملوک))

٣٠٧ المحتويات

٣١٧ تعريف مرکز

اشاره

سرشناسه : حسینی شیرازی، محمد

عنوان و نام پدید آور : الفقه : موسوعه استدلالیه فی الفقه الاسلامی / المؤلف محمد الحسینی الشیرازی

مشخصات نشر : [قم] : موسسه الفکر الاسلامی، ۱۴۰۷ق. = - ۱۳۶۶.

شابک : ۴۰۰۰ ریال (هر جلد)

یادداشت : افست از روی چاپ : لبنان، دارالعلوم

موضوع : فقه جعفری -- قرن ۱۴

موضوع : اخلاق اسلامی

موضوع : مستحب (فقه) -- احادیث

موضوع : مسلمانان -- آداب و رسوم -- احادیث

رده بندی کنگره : BP۱۸۳/۵ ح ۵ ف ۷۶ ۱۳۷۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۴۲

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۰-۵۵۱۵

ص: ۱

اشاره

الفقه

موسوعه استدلاليه فى الفقه الإسلامى

الجزء الثانى بعد المائه

آيه الله العظمى

السيد محمد الحسينى الشيرازى

دام ظله

كتاب الدوله الإسلاميه

الجزء الثانى

ص: ٣

الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ _ ١٩٨٩ م

دار العلوم: طباعه. نشر. توزيع.

العنوان: حاره حريك، بئر العبد، مقابل البنك اللبناني الفرنسى

ص: ٤

كتاب الدوله الإسلاميه

الجزء الثاني

ص: ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

ص: ٦

((حاجات الإنسان الأوليه)) (مسأله): الحاجات الأوليه للإنسان هي: المأكل، والمشرب، والمسكن، والملبس، والزوج، والمركب، والعمل في قبال البطاله، والعلم، والصحه، والأمن، والحريه، والعداله في قبال عدم وجود القضاء الصحيح الذى يلتجئ إليه الناس في حل مشاكلهم حلاً عادلاً، والمساواه في مورد التساوى، إذ الإنسان بحاجه إلى المساواه في القانون حتى لا يكون إنسان أنزل من إنسان آخر، بينما كلاهما في الإنسانيه متساويان، سواء في العبادات، أو المعاملات، أو الأحكام، كالإرث والنكاح والطلاق والديات، والأمور السياسيه، والاجتماعيه، والاقتصاديه، والتربويه، وغيرها.

وخلاف ذلك ما يشاهد في كثير من البلاد من ترجيح لغه على لغه، أو عنصر على عنصر، أو لون على لون، أو كون الإنسان من أهل جغرافيا خاصه على إنسان هو من أهل جغرافيا غير ذلك، أو ما أشبه ذلك.

كما أن من الحاجات الأوليه للإنسان تكافؤ الفرص، أى أن تكون الفرصه متاحه له في البقاء والنمو والتقدم، لا أن تكون فرصه التعليم أو الوصول إلى الحكم أو الثروه لبعض دون بعض، مثلاً- الغنى يتمكن من نيل المدراسه العليا دون الفقير، أو بعضهم يتمكن من الوصول إلى الحكم دون بعض، أو البعض يتمكن من السير للحصول على الثروه دون بعض.

نعم يصح خلاف التكافؤ في واجد الشرائط وفاقده، مثلاً يحق جعل القانون لاشتراط المنصب بالعلم والعداله سواء كان الجاهل مثلاً بسبب نفسه أو بسبب غيره كالظالم المانع له عن الدراسه.

أما في الأول: فواضح أن من سبب تأخر نفسه لا يحق له تمنى مقام الذى

قدم نفسه بالعلم والفضيله وما أشبه ذلك.

وأما الثاني: فلأن المتأخر وإن لم يكن تأخره بسبب نفسه، إلا أن احتياج المقام إلى المؤهلات الخاصه يقف دون فاقدها، فهل يصح أن يراجع غير الطبيب لشفاء المرض كما يراجع الطبيب، بحجه أن غير الطبيب إنما لم يصل إلى علم الطب بسبب ظالم منعه عن العلم، وكذلك الحال في الناقص كالأعمى لا يصلح لأن يكون كاتباً في مرافق الدوله، سواء أعمى نفسه عامداً أو أعماه غيره.

والحاصل: إن تكافؤ الفرص إنما هو في نطاق الشرائط التي تناسب المقام.

((تكافؤ الفرص والمساواه))

((تكافؤ الفرص والمساواه))

ولا يخفى أن تكافؤ الفرص عباره عما يوجب التكميل أو التقدم، بينما المساواه أعم من ذلك.

فالحاكم يلزم عليه أن يساوى بين عقوبه الأبيض والأسود إذا جنيا جنايه مشابهه، بينما ليس ذلك من تكافؤ الفرص في شىء، فيبينهما عموم من وجه.

كما أن من الحاجات الأساسيه للإنسان احترام المجتمع له، أما تهيئه وسائل التقدم في مختلف الأبعاد فذلك من الحاجات الثانويه في قبال تلك الحاجات الأوليه التي ذكرناها.

((حق غير المسلمين في الدوله الإسلاميه))

((حق غير المسلمين في الدوله الإسلاميه))

وعلى أى حال، فكلا الأمرين من الحاجيات الأوليه والحاجيات الثانويه مما يجب على الدوله الإسلاميه القيام بها، سواء بالنسبه إلى المسلمين أو بالنسبه إلى غير المسلمين القاطنين في الدوله الإسلاميه، بل لغير المسلم الحق على الدوله من جهه لزوم هدايته أيضاً بما لا يلزم مثله في المسلم، لفرض أنه هدى إلى الصراط المستقيم، فهذه بالنسبه إلى غير المسلم موجوده، وليست موجوده بالنسبه إلى المسلم.

وفي الحديث: «لكل كبد حراء أجر»^(١).

وقال (عليه الصلاه والسلام): «لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم،

وبين أهل القرآن بقرآنيهم» (١).

وقال (عليه السلام) بالنسبه إلى النصراني المتكفف: «ما أنصفتموه، استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه» (٢).

وقال (عليه السلام) في كتابه إلى مالك الأشتر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» (٣).

إلى غير ذلك، مما يدل على أن الدوله الإسلاميه يجب عليها مراعاة غير المسلم، كما أنه يجب عليها مراعاة المسلم.

نعم ليس بين المسلم والكافر تساو من جهات، كما ليس بين العالم والجاهل، والعاقل وغير العاقل تساو من جهات، وقد ذكرنا في بعض المباحث السابقه أن ذلك ليس مأخذاً على الإسلام بعد كونه ديناً عقائدياً، بينما هو مأخذ في الدول العلمانيه، حيث تقدم أهل الوطن على غيرهم فإنه تفريق بما ليس بفارق، بينما العقيدته تفريق مع فارق، إلى آخر ما ذكرناه هناك مما لا داعي إلى تكراره.

وإنما يجب على الدوله الإسلاميه تهيئه كل ذلك لمن يعيش تحت ظلها من مسلم أو غير مسلم، لأدله إيجابيه ولأدله سلبيه.

وكما يلزم على الدوله ذلك بحيث يحرم خلافه، كذلك يحرم على الأفراد والمنظمات وما أشبهه الحيلولة دون تحصيل الإنسان تلك الأمور، ولا فرق بين الدوله والأفراد في حرمة المنع، وإنما الفرق بينهما في وجوب التهيئه، مثل أن الأب يحرم عليه منع الولد عن الارتزاق ويجب عليه إعطاؤه الرزق، بينما الشخص الغريب يحرم عليه منع ذلك الولد عن الارتزاق ولا يجب عليه إعطاؤه الرزق.

فلا يقال: لا حاجه إلى قولكم: (يحرم على الدوله المنع، ويجب

ص: ٩

١-.

٢-.

٣-.

عليها الإيجاب)، فليس هناك حكمان، بل حكم واحد في طرفي الأمر.

لأنه يقال: هناك أمران لا أمر واحد، أحدهما واجب، والآخر محرم، فالدولة يجب عليها تهيئته الإمكان، كما يحرم عليها الوقوف لمن كان يسير بنفسه إلى الإمكانات.

وعلى أى حال، فالأدلة على ما ذكرناها من وجوب تهيئتها وحرمة وقوفها دون سير الإنسان إلى الحاجات والكمالات كثيره، نلمع إليها إلماعاً، أما التفصيل فهو خارج عن نطاق هذا الكتاب:

مثل: «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»، فإنه نص في قبال أخذ الدولة أمام حريات الناس، في غير المحرم من الأمور.

ومثل: دليل العسر والجرح والضرر، فإنه خلاف إرادة الله سبحانه للإنسان، قال سبحانه: ((يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ)) (١).

ولا يخفى أن هناك ثلاثة أمور:

الأول: اليسر، كمن حاجاته بحد الرفاه.

والثاني: العسر، كمن حاجاته أقل من المحتاج إليه.

والثالث: التوسط بينهما، بحيث لا يكون يسر ولا عسر.

والله سبحانه لا يريد التوسط، بل إنما يريد اليسر فوق التوسط، بله أنه لا يريد العسر، ولعل الآية المباركة إلماع إلى ذينك الأمرين للتأكيد.

وقال سبحانه: ((مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) (٢)، ولعله إذا قوبل بالعسر يراد به النفسى، ويراد بالعسر الجسدى، فمن يعسر عليه استعمال الماء لشده البرد ساقط عنه الغسل إلى التيمم، لأن الله لا

ص: ١٠

١- سورة البقرة: ١٨٥.

٢- سورة الحج: ٧٨.

يريد به العسر، ومن يخجل من مضيفه أن يغتسل للجناحه خجلاً شديداً بحيث يقع في الحرج من ذلك، ساقط عنه الغسل إلى التيمم للحرج، وهذا حسب الصنائه، وإلا فالمسأله الفتوائيه محلها كتاب الطهاره مثلاً.

نعم إذا ذكر أحدهما شمل الآخر أيضاً، كالظرف والجار والمجرور على ما قالوا.

وقال (صلى الله عليه وآله): «رفع عن أمتي تسع» وعد من ذلك: ما استكروها عليه، وما اضطروا إليه وما أشبهه (١).

ولروايات الحيازه، مثل: «من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهم أحق به» (٢)، و«عادي الأرض لله وللرسول، ثم إنها لكم مني أيها المسلمون» (٣)، ومثل أدله حرمه الغش والاحتكار والربا وما أشبه ذلك.

كما أنه بالنسبه إلى العلم ذكر الفقهاء أنه بين واجب عيني وواجب كفائي بالنسبه إلى حاجات الإنسان وما يوجب تقدمه مما أباحه الشريعه، لا بالنسبه إلى العلوم المحرمه على ما ذكروا تفصيله في بابه.

((روايات الاحترام وحرمة الإهانه))

((روايات الاحترام وحرمة الإهانه))

أما بالنسبه إلى وجوب الاحترام وعدم الإهانه، فالدليل عليه جملة كبيره من الآيات والروايات نكتفي منها بالتماذج:

روى أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لما أسرى بالنبى (صلى الله عليه وآله) قال: يا رب ما حال المؤمن عندك، قال: يا محمد من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربه، وأنا أسرع إلى نصره أوليائي» (٤).

وعن معلى قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لى ولياً فقد أرصد لمحاربتى، وأنا أسرع شىء إلى نصره أوليائي» (٥).

وعن حسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن

ص: ١١

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى حديث المناهى، قال: «ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلا- أن يتوب»، قال: وقال (عليه السلام): «من أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض، ألا ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم الله عز وجل»^(١).

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقله ذات يده شهره الله يوم القيامة»^(٢).

وعن أبى بصير، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «لا تحقروا مؤمناً فقيراً، فإن من حقر مؤمناً أو استخف به حقره الله، ولم يزل ماقتاً له حتى يرجع عن محقرته أو يتوب»^(٣).

وعن اليمانى، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا- خذله الله فى الدنيا والآخرة»^(٤).

وفى روايه أخرى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إنه قال فى خطبه له: «ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل فقره استخف به فقد استخف بالله ولم يزل فى غضب الله عز وجل وسخطه حتى يرضيه، ومن أكرم فقيراً مسلماً لقيه الله يوم القيامة وهو يضحك إليه»^(٥)، ثم قال: «ومن بغى على فقير أو تناول عليه أو استحقره حشره الله يوم القيامة مثل الذره بصوره رجل حتى يدخل النار»^(٦).

وعن معلى، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «قال الله عز وجل: ليأذن بحرب منى من أذل عدى المؤمن، وليأمن

ص: ١٢

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥- أى يعطف عليه بالرحمه.

٦-.

غضبي من أكرم عبدى المؤمن» (١).

وفى روايه أخرى، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه» (٢).

وفى روايه عن فاطمه بنت على بن موسى الرضا، عن أبيها الرضا، عن آبائه، عن على (عليهم الصلاه والسلام)، قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» (٣).

وعن أبى هارون، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: قال لنفر عنده وأنا حاضر: «ما لكم تستخفون بنا»، قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك، قال: «بلى إنك أحد من استخف بى»، فقال: معاذ لوجه الله أن أستخف بك، فقال له: «ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملنى قدر ميل فقد والله عييت، والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمه الله عز وجل» (٤).

وعن ابن بكير، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخى الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيده بها يوماً ما» (٥).

وعن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تدموا المسلمين، ولا تتبعوا

ص: ١٣

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .

عوراتهم، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته» (١).

وعن سيف، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يؤاخى الرجل الرجل على دينه، فيحصى عليه عشراته وزلاته ليعيره به يوماً ما» (٢).

وعن ابن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من غير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه» (٣).

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع فاحشه كان كمتدثها، ومن غير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه» (٤).

وفي روايه أخرى، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «من أنب مؤمناً أنبه الله عز وجل في الدنيا والآخرة» (٥).

وعن منصور بن حازم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع فاحشه كان كمتدثها، ومن غير مسلماً بذنب لم يمت حتى يركبه» (٦).

وعن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «قال الله عز وجل: ليأذن بحرب منى من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن» (٧).

وعن المفضل بن عمر، قال: أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذون لأوليائي، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، ويقال: هولاء الذين آذوا المؤمنين، ونصبوا لهم،

ص: ١٤

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

وعاندوهم، وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم» (١).

وفي روايه أخرى، قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كانوا والله الذين يقولون بقولهم ولكنهم حبسوا حقوقهم وأذاعوا عليهم سرهم» (٢).

وعن مفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «من روى علي مؤمن روايه يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولايه الشيطان، فلا يقبله الشيطان» (٣).

وعن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: قلت له: جعلت فداك إن بعض إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال: «يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهدوا عندك قسامه، فقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به، فتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله: ((إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))» (٤).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث قال: «ومن سمع فاحشه فأفشاهها كان كمن أتاها، ومن سمع خيراً فأفشاه كان كمن عمله» (٥).

وعن منصور بن حازم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع الفاحشه كان كمتديها، ومن غير مؤمناً بشيء لا يموت حتى يركبه» (٦).

وعن الفيض بن المختار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لما نزلت المائدة على عيسى (عليه السلام) قال للحواريين: لا تأكلوا

ص: ١٥

١-

٢-

٣-

٤- سورة النور: ١٩.

٥-

٦-

٧-

منها حتى آذن لكم، فأكل منها رجل منهم، فقال بعض الحواريين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى (عليه السلام): أكلت منها، فقال: لا، فقال الحواريون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها، فقال عيسى (عليه السلام): صدق أخاك وكذب بصرك»^(١).

وهذا للمبالغة في تصديق المؤمن في غير مثل مقام الشهاده وما أشبهه، كما ذكرناه في بعض مباحث (الفقه).

(روايات في حرمة الطعن واللعن)

((روايات في حرمة الطعن واللعن))

وفي تحريم الطعن واللعن والتهمه وسوء الظن والإخافه، روى في الوسائل والمستدرک، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ما شهد رجل على رجل بكفر قط إلا جاء به أحدهما، إن كان شهد على كافر صدق، وإن كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإياكم والطعن على المؤمنين»^(٢).

وروى أبو حمزه قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا قال الرجل لأخيه المؤمن: أف، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوى، كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمّر على أخيه المؤمن سوءاً»^(٣).

وعن مسعده بن صدقه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن اللعنه إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن، فإن وجدت مساعاً، وإلا رجعت إلى صاحبه، وكان أحق بها، فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحل بكم»^(٤).

وعن اليماني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا اتهم المؤمن أخاه ينمات الإيمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء»^(٥).

وعن عمر بن يزيد، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه

ص: ١٤

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

السلام يقول: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمه بينهما، ومن عامل أخاه مثل ما عامل به الناس فهو برىء مما ينتحل» (١).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في كلام له: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمه خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٢).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من نظر إلى مؤمن نظره ليخيفه بها أخافه الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله» (٣).

وفي روايه أخرى، عن الصادق (عليه الصلاة والسلام)، قال: «من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار» (٤).

وعن الطبرسي، عن الباقر (عليه السلام)، قال: «عليكم بتقوى الله، ولا يضمن أحدكم أمراً لأخيه لا يحبه لنفسه، فإنه ليس من عبد يضمن لأخيه أمراً لا يحبه لنفسه إلا جعل الله ذلك سبباً للنفاق في قلبه» (٥).

وعن الفقيه الرضوي، قال: وأروى: «لا يقبل الله عمل عبد وهو يضمن في قلبه على مؤمن سوءاً» (٦).

وعن عبد العظيم، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «يا عبد العظيم، أبلغ عنى أوليائي وقل لهم: لا يجعلوا للشيطان على

ص: ١٧

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

أنفسهم سيلاً، ومرهم بالصدق في الحديث»، إلى أن قال: «وعرفهم أن الله قد غفر لمحسنهم وتجاوز عن مسيئهم إلا من أشرك بي، أو آذى ولياً من أوليائي، أو أضمر له سوءاً، فإن الله لا يغفر له حتى يرجع عنه، وإلا نزع روح الإيمان عن قلبه، وخرج عن ولايتي، ولم يكن له نصيب في ولايتنا، وأعوذ بالله من ذلك» (١).

وعن القطب الراوندى، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «من طعن في مؤمن بشطر كلمه حرّم الله عليه ريح الجنه، وأن ريحها ليوجد من مسيره خمسمائه عام» (٢).

وعن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، إنه قال: «من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنه عليه» (٣).

وعن الصادق (عليه السلام)، إنه قال: «أبى الله أن يظن بالمؤمن إلا خيراً، وكسر عظم المؤمن ميتاً ككسره حياً» (٤).

وعن عمر بن أبى المقدام، عن أبى جعفر (عليه السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فيما كتبه لولده الحسن (عليه السلام): «ولا يغلبن عليك سوء الظن، فإنه لا يدع بينك وبين صديقك صفحاً» (٥).

وقال (عليه السلام): «لا يعدمك من شفيق سوء الظن» (٦).

وعن على (عليه الصلاة والسلام): «اطرحوا سوء الظن بينكم، فإن الله عز وجل نهى عن ذلك» (٧).

وعن الصادق (عليه الصلاة والسلام)، إنه روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «أحسنوا ظنونكم ياخوانكم

ص: ١٨

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

٧-

تغتنموا بها صفاء القلب ونماء الطبع»^(١).

وعن جامع الأخبار، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من نظر إلى مؤمن نظره يخيفه بها، أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله، وحشره في صورته الذر بلحمه وجسمه وجميع أعضائه حتى يورده مورده»^(٢).

إلى غيرها من الروايات الكثيرة إيجابيه وسلبيه مما نحن بصدده من لزوم احترام الناس، وترك إهانتهم.

والاحترام له شعب، كما أن الإهانة لها شعب، مما ذكرت في الكتب المعنيه بهذا الشأن، كعشره كتاب الوسائل، والمستدرک، والبحار، وكتب الأخلاق وغيرها، وقد جمعنا جملة منها في كتاب (الآداب والسنن) من (الفقه)، ويجمع كل ذلك في ما ورد في الروايات من أنه يلزم على المؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.

وفي روايه أنه جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به الجنه، فقال: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتته إليهم»^(٣).

وفي روايه عن الصادق (عليه الصلاة والسلام) قال: «أوحى الله إلى آدم أنى سأجعل لك الكلام فى أربع كلمات» إلى أن قال: «وأما التى بينك وبين الناس فترضى الناس ما ترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»^(٤).

وعن عمر بن أبى المقدام، عن أبى جعفر (عليه السلام)، عن أمير

ص: ١٩

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

المؤمنين (عليه السلام) قال في وصيته للحسن (عليه السلام): «يا بني تفهم وصيتي، واجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك، وأكره له ما تكره لها، لا- تظلم كما لا- تحب أن تُظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض للناس ما ترضى لهم منك»^(١).

وعن علي (عليه الصلاة والسلام) أنه قال لشيخ شامي: «يا شيخ ارض للناس ما ترضى لنفسك، وآت للناس ما تحب أن يؤتى إليك»^(٢).

وعن لقمان، إنه قال لابنه في وصيته: «يا بني أحثك على ست خصال ليس منها خصله لا يقربك إلى الله تعالى»، إلى أن قال: «والرابعة: تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»^(٣).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرز راحلته، فقال: يا رسول الله علمني شيئاً أدخل الجنة به، فقال: ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، خل سبيل الراحله»^(٤).

ومن المعلوم أن أمثال هذه الصفات بالنسبة إلى الحاكم وذمرته أولى وأحق، بل قد يكون واجباً بالنسبة إليهم دون سائر الناس، وقد قال علي (عليه الصلاة والسلام) كما في (نهج البلاغه) في عهده إلى الأشر:

«أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصتك ومن أهللك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً ينزع ويتوب»^(٥).

ص: ٢٠

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .

((تحولات فى العالم))

(مسأله): أخذ تحولات ثلاثه فى العوالم الثلاثه: الغربى والشرقى والعالم الثالث بما فيه الدول الإسلاميه.

((التحول فى الغرب))

أما التحول فى الغرب، فإن الماده أعجزت ذلك العالم، ولذا أخذوا يتفكرون فى الخلاص من تلك الماديه، ولكن بشكل لا يضر دنياهم وسيادتهم واستقلالهم ورفاههم.

هذا بالإضافة إلى أن عقلاءهم أخذوا يفكرون فى النجاه من الاستعمار لسائر البلاد، ومن صنع السلاح بلا حساب، ومن الرأسماليه الخانقه داخلاً وخارجاً، ولذا يتطلبون البديل عن الرأسماليه بهذا الشكل السائد الآن، حتى إذا تحطمت فكره الرأسماليه تحطم الاستعمار بكل ويلاته، فإن من المعلوم أن رد فعل الظلم فى نفس الظالم شديد جداً.

بالإضافه إلى أن عقلاءهم يفكرون فى أن الاستعمار فى الخارج لا بد وأن ينعكس فى الداخل، لاستحاله أن يكون للإنسان روحان، روح استعماريه للخارج، وروح تعاطفيه للداخل، فلا بد أن ينعكس الاستعمار إلى بلادهم ولو فى الخط البعيد، فليس هناك أفضل من أن يتخلصوا من الاستعمار الخارجى حتى لا يتلوا بالاستعمار الداخلى.

يقولون: إن الاستبداد يحطم أعداءه أولاً، ثم تصل النوبه إلى الأصدقاء، وهذا صادق بالنسبه إلى الاستعمار أيضاً، لأنه نوع من الاستبداد.

((التحول فى الشرق))

((التحول فى الشرق))

وأما التحول فى الشرق، فلأنهم وجدوا أنفسهم بعد سبعين سنه فى أبشع أنواع التخلف عن الغرب، ولذا أخذوا يفكرون فى التخلص من الشيوعيه التى لم تنتج إلا التخلف، فإن انحراف الأثر دليل على انحراف المؤثر.

ولكن هم أيضاً يريدون تحولاً لا يضر سيادتهم ورفاههم وشوكتهم.

((التحول في العالم الثالث))

((التحول في العالم الثالث))

أما العالم الثالث، فإنهم لم يحصلوا من اتباع الغرب والشرق إلا الدمار والويلات، ونهب ثرواتهم وإذلالهم، وملئ سجونهم وقتلهم قتلاً جماعياً على طول الخط، مما لم يكن له في العالم القديم من مثيل، ولذا أخذوا يترنحون.

وحيث سقطت فكره المذهب الرأسمالي والشيوعي حيث يتبرأ منهما أصحابهما، فالعالم الثالث أخذ يفكر في الرجوع إلى مبادئه ومثله، وحيث إن الإسلام خير مبدأ وله خير قاده أخذ المسلمون يفكرون في الرجوع إلى الإسلام، لكن لا إسلام آل أميه وعباس وعثمان، وإنما إسلام الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن تبعه، فإن إسلام أولئك لم ينتج إلا الكبت والحرمان والاستبداد واللعب بالأموال والدماء والنفوس والأعراض، بل والدين نفسه.

((الفقه العملي))

((الفقه العملي))

ونحن الآن بحاجة إلى الفقه العملي بعد كون الفقه نظرياً، أما عند السنه فلأن الحكام لم يكونوا يعملون بالفقه وإنما يسخرون الفقه لماربهم، ومثل هذا الفقه لا يتمكن من الإنقاذ، بل يتمكن من تبديل الاستبداد باستبداد آخر، فيكون إما كالمستجير من الرمضاء بالنار أو من الرمضاء إلى الرمضاء المشابه، فقد بقى الفكر عند السنه نظرياً ولم ينزل إلى ساحه العمل في الدوله.

وأما عند الشيعة فالأمر أصعب، فإن الشيعة غالباً كانوا مضطهدين، وقد حكم بلادهم أكثر من ألف سنه الحكام المذكورون إلا ما ندر، وكان ذلك موجباً لمزيد ضعف على ضعف، وفي فتره حكم الحكام الشيعة لم يكم نصيب الشيعة إلا أن الحاكم لم يكن يخالفهم من حيث العقيدة، وإن كان الحاكم على الأغلب يعمل حسب ما يراه أيضاً، ويملى عليه قضايا الحكم.

ولذا لم يصعد الفقه النظرى عند كلتا الطائفتين إلى الفقه العملي، كما صعد في زمان

الرسول (صلى الله عليه وآله) ومن تبعه، ولذا كان الأمر بحاجة إلى استنباط فقه من الأدلة الأربعة يكون فقه الحاكم وفقه الأمة فى حال واحد، مع الأخذ بعين الاعتبار لمدى التطور الحاصل فى العالم الحاضر بسبب الأنظمة المتقدمة والتكنولوجيا.

والحاصل: إن نهضة المسلمين بحاجة إلى تطبيقين فى الفقه، تطبيق الفقه على الحاكم أيضاً، وتطبيقه على العصر، أو بعبارة أخرى تطبيق الحاكم نفسه والعصر نفسه على الفقه، بمعنى تطبيق الكليات الفقهية على الصغريات الخارجية حاكماً وأمةً، حتى تنسجم الأمة مع الحاكم ومع العصر، وبذلك يمكن نهضة إسلاميه شامله.

ونظرة فاحصه إلى حكام بلاد الإسلام، سواء من ادعى منهم الإسلامه أو لا، تُظهر للفاحص مدى عدم ارتباط الحكام بالإسلام، فهم بين حكام من طراز حكام أمية وعباس وعثمان، أو من طراز حكام الشرق والغرب، أو المزيج من القسمين أو الأقسام.

((التكنولوجيا وصبغه الإسلام))

((التكنولوجيا وصبغه الإسلام))

ثم إن التكنولوجيا المحتاج إليه الأمة فى العصر الحاضر لم تتلون بلون الإسلام، إذ المسلمون بين من قبلها على اللون الغربى والشرقى، أو أعرض عنها جملة وتفصيلاً، أو انهزم أمامها خوفاً من التلوث بها، ولذا كانت العصرنه بحاجة إلى تلوينها بلون الإسلام، لا الإسم فقط، بل كما قال سبحانه: ((صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً)) (١).

وإذا لاحظنا الأمور الأربعة، التحولات فى العوالم الثلاث والاحتياج إلى الفقه العملى بعد وجود الفقه النظرى وإيصاله إلى سقف الحاكم بعد أن كان خاصاً بالأمة، وتعديل الظاهره فى التكنولوجيا حسب نظره الإسلام، كان لا بد أن يعمل المسلمون أمرين، لأجل إسعاد أنفسهم

ص: ٢٣

((الغرب وتغيير مناهجه))

إشاره

((الغرب وتغيير مناهجه))

الأول: إسعاف الغرب بتغيير مناهجه الاستعماريه المنبعثه من الرأسماليه المنسلخه عن الإنسانيه، حتى يصبح الغرب راجعاً إلى الإنسانيه، قال سبحانه: ((نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ)) (١).

وقد ذكرنا شيئاً من الطريق إلى ذلك في كتاب (الصياغه)، وتغيير مفاهيم الغرب ليس بالصياح والتهريج والسباب والانتهاج، كما ليس بأن نصدر إليهم الأفكار والفرضيات والآراء ونحن في بلادنا وهم في بلادهم، بل يلزم التعديل بتشكيل المؤتمرات المزيجه من الجانيين، الإسلاميين الواعين والغربيين المتطلبين، حتى يضع كل جانب نقاطه على حروفه، وفي جو مفعم بالحب وتحري الحقيقه، ينتهي المؤتمر إلى النتائج المرضيه.

إنك إذا أردت هدايه إنسان فليس عليك إلا أن تتعاون مع من تريد هدايته، ((وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) (٢).

أما غير ذلك فإن الإسلام إذا أراد النفوذ على غير بلاده، احتاج الأمر إلى بحر من الهدوء والتوءده والصبر والإقناع وتحري الحقيقه.

وليس الكلام الآن في أن يسلم الغربيون، بل في أن يشاهدوا الطريق السوى الذى ينجيهم من وخز الضمير واليأس عن طريقتهم فى الحياه، ومن الواضح أنه إذا جعل هذا التغيير فى الغرب يكون العالم الإسلامى قد حل نصف مشكله تخلفه، إذ تخلف هذا العالم له سببان:

((أسباب تخلف بلاد المسلمين))

((أسباب تخلف بلاد المسلمين))

السبب الأول: الغرب، لأن الغرب لا يدع العالم الإسلامى أن ينهض.

والسبب الثانى: تخلف نفسه، كالإنسان الذى سقط فى هوه وله من الضعف ما لا يسمح له بالنهوض، فإذا فرض أنه تمكن من النهوض

١- سورة الحشر: ١٩.

٢- سورة آل عمران: ١٥٩.

كان هناك من يكفخه حتى لا يتمكن من النهوض.

((إصلاح الأمة الإسلامية))

((إصلاح الأمة الإسلامية))

الأمر الثاني: الإصلاح فى داخلنا نحن المسلمين، فـ { إِنَّ اللَّهَ } سبحانه { لا يُعَيِّرُ ما بَقَّومِ حتى يُعَيِّرُوا ما بأنفسهم } ((١))، وإذا لم يغيروا ما بأنفسهم فى جهة الإصلاح يأتى الشرط الثانى من الآيه المباركه، حيث قال سبحانه: ((وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ)) ((٢)).

إنه سبحانه لا يريد اعتباراً السوء، بل أجرى سننه الكونيه على أن من لا يصلح نفسه لا بد وأن ينتهى إلى السوء فى دنياه وآخرته.

إن المفاهيم التى انطوت عليه نفوس كثير من المسلمين هى مفاهيم لا أخلاقية، من الكبر والغرور واتباع الجهل والأنانيه وعدم التعاون، والتشتت والاستبداد، وتطلب الماده، واللذاه العاجله، وعدم التفكير، وعدم الإلتقان، وما أشبه ذلك، وهذه الصفات النفسيه جرت على أعمالهم الخارجيه مما سبب هذا التخلف المشين، وإذا لم تترك هذه الصفات المشينه مكانها إلى الصفات الجميله الحيويه لا يكون أمر فى صالحهم بأن ينقذهم من التخلف، ويبقى التخلف على ما كان، بل يزدادون تخلفاً.

وقد ذكرنا شطراً من القسمين من الصفات الحسنه والسيئه فى كتاب (الآداب والسنن) من (الفقه)، حتى أن الإنسان لو نظر إلى ما ذكره المعصومون (صلوات الله عليهم أجمعين) من المحاسن وإلى حاله كثير من المسلمين لرأى البون الشاسع بينهما، وهيهات أن لا يحد الإنسان بحدود مفاهيمه الجاربه على أعماله، فإن الله سبحانه جعل لكل شىء حداً، وجعل لمن تعدى ذلك الحد حداً، كما فى الحديث ((٣))، والمراد بكل شىء فى القضيئه الأولى أعمال الإنسان الجوانحيه والجوارحيه، فإنه وإن كان لكل شىء فى عالم التكوين حد لا يتجاوزه، إلا أنه بقرنيه (من تعدى) فى القضيئه الثانيه ما

ص: ٢٥

١- سورة الرعد: ١١.

٢- سورة الرعد: ١١.

٣- .

ذكرناه، فتصرفات كل من العين والأذن واللسان وسائر الجوارح لها حد، وذلك يشمل الأحكام الخمسه.

مثلاً الربط بين الرجل والمرأه وهو عمل جارحى يحد تاره بالإيجاب وتاره بالمنع، وكل منهما إما مع المنع من النقيض أو بدون المنع مع الترجيح، مما يشكل الأحكام الأربعة، أما المباح فهو فى حد خاص من الفعل أو الترك ملوناً بلون التخيير فله حد أيضاً.

ثم الحد قد يكون فى كلا الطرفين، وقد يكون فى أحدهما، مثلاً السارق تقطع أصابعه، والزانى يجلد مائه جلده، فلا يجوز الزيادة على المائه ولا النقيصه عنها، كما لا يجوز قطع الأنامل، ولا القطع إلى الزند وهكذا.

أما التزويج بالأربع فالحد فى الزيادة لا فى النقيصه، فيجوز للإنسان أن لا يتزوج، أما أن يتزوج فوق الأربع فليس بجائز له، وفى عكسه إطعام عشره مساكين فى حنث الحلف، فإن الزيادة جائزه أما النقيصه فليست بجائزه، وهكذا.

أما الجملة الثانيه فى الروايه، فلا بد وأن يراد بالحد فيها الآثار الدنيويه والأخرويّه، لا الحد المصطلح فى كتاب الحدود، وذلك بقرنيه (كل شىء) فى الجملة الأولى.

مثلاً المباح الذى هو شرب الماء له حدان، لا يقلل منه إلى حد العطش، ولا يكثر منه إلى حد التملى، ومن تعدى أحد الحدين قد يصل إلى الحرام فعليه عقوبه ومرض، وقد لا يصل إليه وذلك يوجب الابتعاد عن الفضيله، بالإضافة إلى تأثيره فى الصحه ونحوها.

وبذلك تبين شمول الحديث لكل من الأحكام الخمسه، كما يشمل التعدى لكل من الزيادة والنقيصه فى الجملة، مما يصطلح عليه بالإفراط والتفريط أيضاً.

والحد فى الجملة الثانيه يشمل الآثار التكوينيّه والتشريعيّه.

نعم ربما يكون لشيء مرتبتان وحدان، مثلاً قال سبحانه: ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ)) (١)، فحد العطاء بين هذين الأمرين، لكن هذا في مرتبه العدل، ثم تأتي مرتبه الفضل، حيث قال سبحانه: ((وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) (٢).

لا يقال: (لا تبسطها) يناقض (يؤثرون).

لأنه يقال: الجملتان في الآية الأولى عبارته أخرى عن التوسط وذلك مرتبه العدل، مثل: {وجزاء سيئه سيئه} (٣)، ثم يأتي بعده مرتبه الفضل بالإيثار في الآية الأولى، والعفو في الآية الثانية.

وعلى أى حال، فاللازم على الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله تعالى، بل والتيار الإسلامى إذا أريد قيام الدوله الإسلاميه وحفظها بحيث لا- تسقط، الاهتمام بالأمر المذكوره، وإلا فلا تقوم دوله، وإذا قامت فرضاً تسقط بسرعته، بعد أن خلفت وراءها أبشع صورته للإسلام.

هذا بالإضافة إلى أن رساله الإسلام فى تعديل العالم ولو نوعاً ما، لا تتحقق بدون المؤتمرات التى ذكرناها بالنسبه إلى تغيير مفاهيم الغرب، وإذا قامت دوله إسلاميه صحيحه بإذن الله تعالى فسرعان ما يأخذ الغرب منها المناهج والبرامج، كما أخذت من المسلمين الأولين، فإن المثال الحسن خير محفز للأسوه.

ص: ٢٧

١- سورة الإسراء: ٢٩.

٢- سورة الحشر: ٩.

٣- سورة الشورى: ٤٠.

((الاقتصاد في الدوله الإسلاميه))

(مسأله): نتكلم في هذا المبحث حول مواضيع اقتصاديه تابعه للدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله تعالى، وإن كان بعض هذه المباحث ذكرناها في (فقه الاقتصاد) أو غيره:

((الجمارك))

((الجمارك))

الأول: مسأله الجمارك فهي محرمة في الشريعه الإسلاميه نصاً وإجمالاً.

ولا يقال: الدوله إذا لم تضع الجمرک يوجب ذلك تدفق البضائع الأجنبيه إلى البلاد، أو تدفق خروج البضائع من البلاد، وكلا الأمرين محذور لتعطل العمال والمعامل والمواد في الأول، وعدم توفر احتياجات الأمه في الثاني، وذلك لاختلاف المستوى الاقتصادي بين البلاد في بلاد العالم الحاضر غالباً، فإذا ارتفع المستوى في الخارج تدفقت بضائع الداخل إلى الخارج مما تبقى الأمه معطله الحاجات، وإذا ارتفع المستوى في الداخل تدفقت بضائع الخارج إلى الداخل مما يوجب تعطل عمال الداخل ومواده ومعامله، وكلاهما ضرر شائن على الأمه.

ومثل ذلك يبرر به حكومات بلاد الإسلام في الحال الحاضر في جعل الحدود حول البلاد، هذا بالإضافة إلى أنه إذا لم تكن حدود على البلاد تدفقت الأيدى العامله والعقول المفكره إلى الخارج، فيما كان الخروج أكثر رفاهاً، وبذلك تفتقر البلاد الإسلاميه، وفي عكسه تدفق الأيدى العامله والعقول المفكره من الخارج إلى الداخل، فيما كان بلاد الإسلام أكثر رفاهاً، وبذلك تكتظ البلاد بالناس مما يوجب أن يقعوا في ضيق وخرج من كافه الجهات الصحيه والأمنيه والثقافيه والمعيشيه وغيرها.

((الجواب عن شبهه الجمارك))

((الجواب عن شبهه الجمارك))

والجواب: أما عن الجمرک، فنقول: هناك أمور أربعه:

الأول: فروق التجاره، مثلاً البضاعه فى العراق بمائه، وفى الهند بخمسين، فالتاجر يأتى بالبضاعه من الهند إلى العراق بالريح.

الثانى: فروق التعب والصرّف، فإن التاجر الذى يحمل البضاعه من إيطاليا إلى ليبيا مثلاً يصرف من ماله ووقته لأجل الحمل والنقل، ولذا إذا كانت البضاعه بعشره فى إيطاليا والمصارف لتعب التاجر وحمله خمسه أخذ التاجر فى ليبيا خمسه عشر.

الثالث: ما يوجب تضرر بلاد الإسلام بالتصدير أو الاستيراد كما تقدم فى السؤال.

والأمران الأولان من حق التاجر فى تصديره أو استيراده، ولا حق للدوله فى أخذ شىء منه، فإن «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم».

أما الأمر الثالث وهو التضرر فذلك محتاج:

أولاً: إلى نظر شورى الفقهاء فى الموضوع، أى أصل التضرر وقدره، وكذلك متوقف على نظر من تبع شورى الفقهاء من المتدين العارف كوزير الاقتصاد كيف ينطبق على موازين الفقه إن فوضه شورى الفقهاء.

وثانياً: إلى الحيلولة دون قدر الضرر، وبذلك القدر يمكن جعل الضريبه، وبهذا لا يدخل شىء فى كيس الدوله إطلاقاً، كما لا يؤخذ من التاجر شىء من حقه إطلاقاً، حتى يكون مصداق الجمرك المحرم من ناحيه كونها أخذاً من أموال الناس بالإثم، وإدخالاً فى كيس الدوله بالإثم.

الرابع: الجمرك الذى يجتمع فيه الإثمان، كما هو المتعارف فى بلاد

والفرق بين الثالث والرابع أن في الثالث يلاحظ «لا ضرر» فهو المحور والمنطلق، بينما في الرابع يلاحظ ملئ كيس الدولة لأجل تضخيم جهاز الإدارات الكابته تضخيماً من جهة الكم والكيف، فهو ضرر أخذه، وضرر صرفه، وضرر نتيجته، إذ يتضرر المأخوذ منه أولاً وتتضرر الأمة، لأن الآخذين يكونون عاله على المجتمع حيث إن الآخذين يتحولون من قطاع الإنتاج إلى قطاع الاستهلاك ثانياً، وتتضرر الأمة ثالثاً، لأن الموظفين الذين يتوسعون على حساب الأمة بسبب ارتزاقهم بالضرائب الجمركية ونحوها يكونون آله لأجل كبت الأمة، فإن الموظف الزائد على قدر الضروره ليس له شأن إلا كبت حريات الأمة.

فإذا فرض أن الدولة الإسلامية خافت على اقتصاد الأمة يلزم أن تجعل المعيار عدم الضرر، فإلى حد عدم الضرر تسمح بالاستيراد والتصدير، والزائد على ذلك مما يكون ضرراً تقف دون الضرر، مثلاً البلاد بحاجة إلى ألف طن من البضاعات الفلانية، والزائد يوجب الضرر، والتجار يريدون استيراد ألفي طن، فتصبح الاستيراد إلى ألف طن بدون أي شيء من الجمرك، أما الزائد فتجعل عليه قدر الضرر حتى يحول الضريبه دون الاستيراد.

وحيث يرى التاجر حينئذ أن لا فائده مع هذا الضرر، وإذا أخذت الدولة هذا القدر _ على فرض استيراد التجار الألف الثاني _ يلزم عليها صرف المأخوذ على من تضرر من العمال الذين تضرروا بسبب هذا الاستيراد، ومن المواد الموجوده داخل البلاد التي تنزلت لكثره العرض بسبب استيراد أولئك التجار، ومن المعامل التي توقفت عن العمل، لوضوح أن المعمل لا بد وأن يربح إلى غير ذلك.

وحيث إنا نرى

اضطراب الاقتصاد فى كل العالم ارتفاعاً وانخفاضاً، فاللازم أن تكون هناك فرع فى وزاره التجاره الخارجيه المرتبط بهيئه دائمه، كهيئه البورصه تلاحظ ساعات البضائع فى قيمها، حتى لا تأخذ الدوله أكثر من قدر الضرر، ولا تترك قدر الضرر، حيث فى الأخذ الزائد ضرر المأخوذ منهم، وفى عدم الأخذ بقدر الحق ضرر على العمال الذين تضرروا والمعامل وأصحاب المواد.

((الجواب على شبهه الحدود المصطنعه))

((الجواب على شبهه الحدود المصطنعه))

أما مسأله الحدود، فقد أجبنا عنها فى بعض المباحث بأنها يمكن أن تكون بلاد الإسلام قبل قيام الدوله الواحده الإسلاميه حالها حال المحافظات فى قطر واحد، فكما أن المحافظين مختلفون ومع ذلك لا حدود بينها، فكذلك الأقطار الإسلاميه.

وخوف التضرر بانفضاض الناس من الداخل إلى الخارج أو بالعكس يمكن علاجه بعد فرض ضروره الحد من حريات الناس فى هذه الجبهه من باب الأهم والمهم، وإلا فكل إنسان له الحق فى أن يسكن أى بلد شاء، بأن تعين الدوله التى على رأسها شورى المراجع كماً خاصاً فى البلد للخارج أو بالعكس، فإذا وصل العدد إلى المذكور جعل الحد لعدم وصول عدد أزيد، أو خروج عدد أزيد يوجب الضرر.

ومن المعلوم أن الناس وقد رأوا أن مراجع التقليد الذين فى الحكم وفروا لهم الحريات الإسلاميه وكانوا معهم كما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) مع الناس لا- بد وأن ينصاعوا للأوامر تلقائياً، كما نشاهد المسلمين الآن ينصاعون لأوامر الإسلام، حتى المكلفه كالصلاه والصيام والحج والخمس وما أشبه ذلك.

وبذلك لا- حاجه إلى الحدود وما يتبعها من الجواز وغيره من عشرات الكاببات لحرية الأمة، والتى كلها على خلاف موازين الإسلام.

لا يقال: هب أن الأمر يكون على ذلك بالنسبة إلى بلد الإسلام، لكن سائر البلاد التي لها نظم الجوازات والحدود مما يتعارف الآن، لا تستعد لقبول ما تفعله البلاد الإسلامية، فإذا أراد ساكن بلاد الإسلام الخروج منها إلى بلادهم لا تقبله تلك الدول بدون الجواز ومراسم الجمارك والحدود وما أشبهه.

فإنه يقال: الأمر سهل، يمكن أن يجعل في بعض أنحاء بلاد الإسلام إداره لأجل تزويد من يريد الخروج بورقه عاديه تقع مقبوله من ناحيه غير بلاد الإسلام، فبمجرد هذه الورقه تسمح تلك البلاد بوصول المسافرين إليها من بلاد الإسلام.

كما أن الجمر ك في بلادهم حسب المعاهده بين بلد الإسلام وبلد غير الإسلام يكون شيئاً خفيفاً، إما حسب قانون «لا ضرر» على ما تقدم، وإما أكثر من ذلك لكنه أقل من الجمر ك المقرر في الحال الحاضر.

لكن هنا لا بد من إعطاء الزائد عن «لا ضرر» نفس المسافر، لأنه يقضى حاجته بهذا السفر، فليس على غيره هذا الضرر، ولا احتمال لإعطاء بيت المال له، بخلاف ما سبق الإلزام إليه من معاهده بلاد الإسلام مع بلد غير الإسلام في إعطاء كل طرف ديه المقتول حسب مكانته الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسيه ونحوها، كما هو متعارف في بعض قوانين البلاد الإسلاميه في الحال الحاضر، حيث إن الاحتمالات وإن كان دخول وخروج الزائد إذا قتلوا واحداً منا أو قتلنا واحداً منهم إلى كيس ذوى المقتول، ومن كيس القاتل مطلقاً، أو من كيس بيت المال وإلى كيس بيت المال مطلقاً، أو التفصيل بين الدخول فيالى كيس ذوى المقتول، والخروج فمن كيس بيت المال، إلا أن الأقرب من

الكل الاحتمال الأوسط، إذ الإسلام قرر قدر الدينه دخولاً وخروجاً، فمعاهده الدوله الإسلاميه أكثر دخولاً أو خروجاً يصرف من وإلى كيس المعاهد، لا القاتل وذوى المقتول.

((الربا))

إشاره

((الربا))

الثانى: الربا، ومن المعلوم أن البنوك فى كل العالم اليوم ربويه، والربا من أسوأ ما ابتلى به البشر، وقد جعله القرآن الحكيم حرباً مع الله ورسوله، قال سبحانه: ((فَأَذِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) (١).
وقد جعل فى قبالة المضاربه والقرض.

فباللزم على الدوله الإسلاميه اجتثاث جذور هذا الأمر المنحرف اقتصادياً، وتبديله إلى ذينك الأمرين، فمن يعطى المال للبنك إما يعطيه قرضاً ولا شىء له، وإما يعطيه مضاربه فله بالنسبه من الأرباح.

واللازم أن يكون قدر المال وتجاراات البنك وأرباحه تحت إشراف هيئه إداره منتخبه من قبل الناس، وينشر كل مرحله مرحله من مراحل التجاره والربح والضرر على المساهمين فى العطاء، حتى يكون الأمر جلياً عند المساهمين وعند غيرهم.

وكذلك من يأخذ من البنك، إما يأخذ قرضاً لحاجاته من تعمير دار لسكناه أو زواج ولده أو علاج بعض أقربائه أو ما أشبه ذلك، وإما يأخذ قرضاً للتجاره ويكون البنك شريكه فى الربح بالنسبه، مع كون الآخذ ثقه أو بضمان ثقه حسب الموازين العرفيه فى الاستيثاق.

كما أن من الضرورى على الدوله الإسلاميه تشجيع صناديق قرض الحسنه، والصندوق له الحق أن يأخذ من الناس بقدر مصارفه من إيجار المحل وأجره العمل ومصارف الأوراق والماء والكهرباء وما أشبه ذلك، وميزانه أنه لو وضع فى الصندوق أول السنه مليوناً من الدنانير، يكون فيه فى آخر السنه مليون فقط، أما إذا زيد عليه كان ذلك الزائد رباً.

وينظم الصندوق أمره حتى يعرف كم

ص: ٣٣

يحتاج من المصارف وكم يأتيه من النقود، حتى يتبين كم يحتاج من الأخذ لمصارفه، هل لكل ألف دينار ربع دينار، أو ما أشبه ذلك.

لا يقال: حتى إذا لم يأخذ البنك شيئاً يتوفر له في آخر السنه بسببه شيء، فهناك أمران:

((إشكالان وجوابان))

((إشكالان وجوابان))

الأول: إذا أخذ لكل ألف دينار ربع دينار مثلاً، فمن أين أن مصارف كل ألف ربع دينار، مع وضوح أنه يختلف المصارف لزياده صرف الوقت في ألف دون ألفين، مثلاً- مصرف الماء والكهرباء والإيجار ونحوها في إعطاء ألفي دينار ربع دينار، ومصرفها في إعطاء ألف دينار ربع دينار أيضاً، لتساوى الوقت في كليهما، فيكون البنك أخذ زائداً من صاحب الألفين لفرض أنه نصف دينار، وهذا يوجب الربا في القدر الزائد، وإن فرض أنه لم يبق في آخر السنه للبنك شيء.

الثاني: إذا أخذ المال المضاربي فإنه لا يعلم البنك كم ربح كلاً، إذ ليس مالاً واحداً يعلم أنه صرفه في تجاره كذا، بل أموال متعدده، فلعل مال زيد الذي أعطاه مائه اتجر به في السكر فربحه عشره، ومال عمرو الذي أعطاه مائه أيضاً اتجر به في الشاي الذي كان ربحه سته، فكيف يعطى البنك كلاً- منهما أربعة، لفرض أنه يأخذ النصف ويعطى النصف حسب اشتراطه في عقد المضاربه.

والجواب عن الأول: إن مثل ذلك لا يسمى رباً، بعد عدم رؤيه العرف له، والمواضيع تؤخذ من العرف وليس بالدقه العقليه، ويؤيده عدم كونه (فساد المال) الذي ورد في النص أنه العله في حرمه الربا.

وعن الثاني: إنه نوع عقد عقلائي، وإن فرض عدم تسميته بالمضاربه، وقد

ذكرنا في (الفقه) أن {أوفوا بالعقود} (١) تشمل المعاملات الحديثه، أو يقال: إنه مضاربه عرفيه فيشملها أدله المضاربه.

نعم ليست من النوع الذى هناك عامل واحد وصاحب مال واحد فقط، أو الدقى الذى يلاحظ فيه أن كل مال كيف أتجر به حتى يختلف العطاء لأصحاب الأموال، فيعطى صاحب العشره خمسه، وصاحب السته ثلاثه، ولا يضر ذلك بصدق المضاربه، كما لا- يضر بصدقها الاشتراك فى طرف العامل حيث العامل فى المقام جماعه البنك لا فرد واحد، كما كان المؤلف فى المضاربات سابقاً، وكذلك لا يضر بصدقها كون العامل هيئه متبدله لا فرد ثابت، لفرض أن البنك تتبدل فيه الهيئه المشرفه بالانتخابات كل عام مره مثلاً.

ومنه يعلم عدم ضرر ربح إحدى التجاريتين كالسكر مثلاً كل ستة عشر، وعدم ربح الأخرى كالشاي شيئاً أصلاً، بل أو ضررها كما إذا صارت مائه الشاي تسعين، أما السكر فربح ستة وعشرين، أو فرض أن كل مائه الشاي ذهب خساره لحرق أو غرق أو سيل أو ما أشبه وربح السكر على مائه وستة عشر.

((الضرائب))

إشاره

((الضرائب))

الثالث: الضرائب الماليه التى اعتادت الدول أخذها، سواء سميت بالإسلاميه أو بغير الإسلاميه.

فإن الضريبه فى الإسلام منحصره بالخمس والزكاه والجزيه والخراج، وهذه تكفى لإداره شؤون الدوله الإسلاميه فى غير الحالات الاستثنائيه فرضاً، ولو فرضت حاله استثنائيه كالحرب فالجهاد بالمال واجب، كما فى جمله من الآيات والروايات، ولا خصوصيه للحروب الدفاعيه حتى يتوهم أن الضريبه الخامسه خاصه بالحروب الدفاعيه، وذلك لإطلاق أدله بذل المال فى الجهاد الشامل لكل أقسام الجهاد.

وجه التوهم أن دفاع الإنسان عن ماله وعرضه

ص: ٣٥

ودمه واجب فيما إذا كان المال كثيراً، لا ما إذا أراد سارق مثلاً أن يأخذ من مال إنسان رطلاً من الحنطة أو عشرة فلوس مثلاً، فإذا توقف الدفاع على المال وجب بذله، وكذلك حال دفاع الإنسان عن عرض أو نفس أو المال الكثير لإنسان آخر، لإطلاق أدله رفع المنكر ودفعه، فإذا أراد جائر قتل عمرو وأمكن زيد دفعه ببذله مالاً وجب عليه بذل ذلك المال.

نعم مقتضى الجمع بين الأدله أنه يأخذه من مال عمرو، جمعاً بين دليلى رفع المنكر و«لا ضرر» زيد.

لا يقال: لا ضرر زيد معارض بلا ضرر عمرو، فكيف يأخذ من ماله، مع أن قاعده التعارض فى مثل المقام التساقط.

لأنه يقال: الضرر متوجه إلى عمرو، فلماذا يتحملة زيد، فهو مثل تعارض دليل لا- ضرر صاحب الحنطة والمضطر فى أكل المخمصة، وهل يقال بأنهما يتساقطان فلا شىء على المضطر.

وإنما قلنا: لا يتوهم، إذ فى الدفاع يجتمع دليلان فى بذل المال، دليل الجهاد المطلق حيث دل على وجوب إعطاء المال للجهاد الشامل لكل أقسام الجهاد الثلاثه، ودليل رفع المنكر ودفعه، بل يمكن أن يقال فى الجهاد الابتدائى أيضاً هناك دليلان، دليل الجهاد المطلق، ودليل وجوب الدعوه إلى الله سبحانه وإنقاذ المستضعفين.

قال سبحانه: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ)) (١).

وقال سبحانه: ((وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ)) (٢)، إلى غير ذلك.

ص: ٣٦

١- سورة النحل: ١٢٥ .

٢- سورة النساء: ٧٥ .

ثم فرض وجوب إعطاء المال لأجل الجهاد وهو شيء جديد غير الأموال الأربعة، إنما هو في صورته عدم وجود المال الكافي في بيت المال، وإلا لم تصل النوبة إلى الضريبه الخاصه أيضاً.

وعلى أى حال، فالأموال الأربعة كافيه لإداره شئون الدوله الإسلاميه، وفي جملة من الروايات النص على الكفايه:

فعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «إن الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم، ولو علم أن ذلك لا يسعهم لزد، إنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله عز وجل، ولكن أتوا من منع من منعهم حقهم لا مما فرض الله لهم، ولو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عاشرين بخير»^(١).

ومن المعلوم أن (الفقراء) من باب المثال مآلاً لسبيل الله، الذي يشمل الجهاد أيضاً، يكفيه ما وضع الله في أموال الأغنياء.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله عز وجل فرض الزكاة كما فرض الصلاة، ولو أن رجلاً حمل الزكاة فأعطاها علانيه لم يكن عليه في ذلك عيب، وذلك إن الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به، ولو علم أن الذي وضعه لا يكفيهم لزداهم، وإنما يؤتى الفقراء في ما أتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة»^(٢).

وعن معتب مولى الصادق (عليه السلام)، قال: قال الصادق (عليه السلام): «إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء، ومعونه للفقراء، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقى مسلم فقيراً محتاجاً، ولا استغنى بما فرض الله له، وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله أن يمنع رحمته من

ص: ٣٧

١-.

٢-.

منع حق الله في ماله، وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاه، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بترك التسييح في ذلك اليوم، وأقرب الناس إلى الله تعالى أسخاهم كفاً، وأسخرى الناس من أدى زكاه ماله، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله» (١).

وعن محمد بن سنان، عن الرضا (عليه الصلاة والسلام)، إنه كتب إليه في جواب مسأله:

«إن عله الزكاه من أجل قوت الفقراء، وتحصين أموال الأغنياء، لأن الله عز وجل كلف أهل الصحه القيام بشأن أهل الزمانه والبلوى، كما قال الله تعالى: ((لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ)) (٢)، في أموالكم إخراج الزكاه، وفي أنفسكم توطين الأنفس على الصبر، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل، والطمع في زياده والرافه والرحمه لأهل الضعف، والعطف على أهل المسكنه، والحث لهم على المواساه، وتقويه الفقراء، والمعونه لهم على أهل الدين، وهو موعظه لهم وعبره ليستدلوا على فقر الآخره لهم، وما لهم من الحث في ذلك على الشكر لله تعالى لما خولهم وأعطاهم، والدعاء والتضرع والخوف من أن يصيروا مثلهم» (٣).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، إنه قال: «إن الله عز وجل فرض على أغنياء الناس في أموالهم قدر الذي يسع فقراءهم، فإن ضاع الفقير أو أجهد أو عرى فيما يمنع الغنى، وإن الله محاسب الأغنياء في ذلك يوم القيامه ومعذبهم به عذاباً أليماً» (٤).

وعن جعفر بن محمد (عليهما السلام)، إنه قال: «إن الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء ما يكتفون به، فلو علم أن الذي فرض

ص: ٣٨

١- .

٢- سورة آل عمران: ١٨٦.

٣- .

٤- .

عليهم لا يكفيهم لزادهم، وإنما يؤتى الفقراء فيما أتوا من منع من يمنعهم حقوقهم لا من الفريضة لهم» (١).

وفى (نهج البلاغه) عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما منع غنى والله تعالى جده سائلهم عن ذلك» (٢).

وعن الرضوى (عليه السلام): «اعلم أن الله تبارك وتعالى فرض على الأغنياء الزكاة بقدر مقدور وحساب محسوب، فجعل عدد الأغنياء مائه وخمسه وتسعين، والفقراء خمسه، وقسم الزكاة على هذا الحساب، وجعل على كل مائتين خمسه حقاً للضعفاء وتحصيناً لأموالهم، ولا عذر لصاحب المال في ترك إخراجها، وقد قرنها الله بالصلاه» (٣).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال في حديث: «إن الله عز وجل نظر في أموال الأغنياء ونظر في الفقراء، فجعل في أموال الأغنياء ما يكتفى به الفقراء، ولو لم يكفيهم لزادهم» (٤).

ولا يخفى أن المراد بهذه الروايات الأعم من الفقراء، إذ لو لم يكن أريد الأعم لقال الراوى للإمام (عليه السلام) هؤلاء الفقراء، فأين المصالح الأخر، مثل: العاملين والمؤلفه وسبيل الله وغيرها.

هذا بالإضافة إلى روايات تدل على أنه ليس في غير التسعه زكاة، فقد روى الصدوق في الهدايه، إنه سئل الصادق (عليه السلام) عن الزكاة على كم أشياء، فقال: «على الحنطه، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضه، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك»، فقال له

ص: ٣٩

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

السائل: فإن عندنا حبوباً مثل الأرز والسمسم وأشباه ذلك، فقال الصادق (عليه السلام): «أقول لك إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عفا عما سوى ذلك فتسألني» (١).

وفى روايه أبى سعيد القمط، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، إنه سُئِلَ عن الزكاه، فقال: «وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله): الزكاه على تسعه، وعفا عما سوى ذلك، الحنطه، والشعير، والتمر، والزبيب، والذهب، والفضه، والبقر، والغنم، والإبل»، فقال السائل: والذره، فغضب (عليه السلام) ثم قال: «كان والله على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) السماسم والذره والدخن وجميع ذلك»، فقال: إنهم يقولون إنه لم يكن ذلك على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنما وضع على تسعه مما لم يكن بحضرتة غير ذلك، فغضب (عليه السلام) وقال: «كذبوا، فهل يكون العفو إلا عن شيء قد كان، ولا والله ما أعرف شيئاً عليه الزكاه غير هذا، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (٢) (٣).

وعن الفضلاء، عن أبى جعفر وأبى عبد الله (عليهما السلام)، قالوا: «فرض الله عز وجل الزكاه مع الصلاه فى الأموال، وسنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى تسعه أشياء، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سواهن، فى الذهب، والفضه، والإبل، والبقر، والغنم، والحنطه، والشعير، والتمر، والزبيب، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك» (٤).

وعن الحضرمي، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: «وضع

ص: ٤٠

١-.

٢- سورة الكهف: ٢٩.

٣-.

٤-.

رسول الله (صلى الله وآله وسلم) الزكاه على تسعه أشياء: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والذهب، والفضه، والإبل، والبقر، والغنم، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك» (١).

وعن على بن مهزيار، قال: قرأت في كتاب عبد الله بن محمد إلى أبي الحسن (عليه السلام): جعلت فداك روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزكاه على تسعه أشياء: الحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والذهب، والفضه، والغنم، والبقر، والإبل، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك»، فقال له القائل: عندنا شيء كثير يكون بأضعاف ذلك، فقال: وما هو، فقال له: الأرز، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «أقول لك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضع الزكاه على تسعه أشياء، وعفا عما سوى ذلك وتقول: عندنا أرز، وعندنا ذره، وقد كانت الذره على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فوقع (عليه السلام): «كذلك هو» الحديث (٢).

وعن زراره، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: «الزكاه على تسعه أشياء: على الذهب، والفضه، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك» (٣).

وعن زراره، قال: «في تسعه أشياء، وليس في غيرها شيء: في الذهب، والفضه، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم السائمه وهي الراعيه، وليس في شيء من الحيوان غير هذا الثلاثة الأصناف شيء» الحديث (٤).

ص: ٤١

.-١

.-٢

.-٣

.-٤

وعن الحسن بن شهاب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزكاة على تسعة أشياء، وعفا عما سوى ذلك، على: الذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم» (١).

وعن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألت عن الزكاة، فقال: «الزكاة على تسعة أشياء: على الذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك» (٢).

وعن محمد بن جعفر الطيار، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام)، عما تجب فيه الزكاة، فقال: «في تسعة أشياء: الذهب، والفضة، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك»، فقلت: أصلحك الله فإن عندنا حباً كثيراً، قال: فقال: «وما هو»، قلت: الأرز، قال: «نعم ما أكثره»، فقلت: أفیه الزكاة، فزبرني، ثم قال: «أقول لك إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عفا عما سوى ذلك، وتقول: إن عندنا حباً كثيراً أفیه الزكاة» (٣).

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الزكاة على تسعة أشياء، وعفا عما سوى ذلك، عن الفضة، والذهب، والحنطة، والشعير، والتمر، والزبيب، والإبل، والبقر، والغنم»، فقال له الطيار وأنا حاضر: إن عندنا حباً كثيراً يقال له: الأرز، فقال

ص: ٤٢

١-

٢-

٣-

له أبو عبد الله (عليه السلام): وعندنا حب كثير، قال: فعليه شيء، قال: «لا، قد أعلمتك أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عفا عما سوى ذلك»^(١).

وعن محمد بن الطيار، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن الزكاه إنما تجب جميعها في تسعة أشياء خصها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفريضتها فيها، وهى: الذهب والفضه، والحنطه والشعير والتمر والزبيب، والإبل والبقر والغنم، وعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عما سوى ذلك»^(٢).

وعن على بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر (عليهما السلام)، قال: سألته عن الصدقه فى ما هى، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «فى تسعه: الحنطه والشعير والتمر والزبيب، والذهب والفضه، والإبل والبقر والغنم، وعفا عما سوى ذلك»^(٣).

لا يقال: السنه لا يعترفون بالخمس فى المكاسب، وفرضكم أنكم تدعون إلى الدوله الإسلاميه الشامله لكلتا الطائفتين. لأنه يقال:

أولاً: السنه لا يعترفون بخمس المكاسب، ورواياتهم بذلك متظافره وإليك جمله منها:

ففى وصيه النبى (صلى الله عليه وآله) لبنى عبد القيس الذين قالوا له: إنا لا نستطيع أن نأتىك فى الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به

ص: ٤٣

١- .

٢- .

٣- .

الجنة، وسألوه عن الأشربة، إلى أن قال: «فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادته أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس»^(١). الحديث.

ومن راجع التاريخ رأى أن عبد القيس كانوا قبيلة ضعيفة حتى لا يتجرؤون على الخروج من بلادهم إلا في الشهر الحرام، حيث لا يكون هناك قتال، ولم يكن لهم قتال إطلاقاً حتى يراد بالخمسة خمس غنائم الحرب، بالإضافة إلى أن الخمس إنما يكون تحت اختيار القائد أو الأمير وهو المسؤول عنه، فيأخذ منه الخمس ويرسله ويقسم الباقي على الأفراد، وليس للخمس ارتباط بالأفراد، وإنما الخمس المرتبط بالأفراد هو خمس المكاسب ونحوها، ويؤيده سياق ذلك مع الصلاة والزكاة والصيام.

ومثله في الدلالة بالتقريب المتقدم ما كتبه (صلى الله عليه وآله) لعمر بن حزم حينما أرسله إلى اليمن، حيث كتب إليه كتاباً جاء فيه: وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله^(٢).

وكتب (صلى الله عليه وآله) لبني عبد كلال اليمانيين مع عمرو بن حزم يشكرهم على امتثالهم ما أمرهم به ويقول: فقد رجع رسولكم وأعطيتم من الغنائم خمس الله عز وجل^(٣).

أقول: وليس في التاريخ ما يدل على أنه وقع حرب، ولو وقعت حرب لذكرته التواريخ، فالظاهر أنه خمس المكاسب ونحوها.

كما أنه (صلى الله عليه وآله) كتب لقبيلتي سعد من

ص: ٤٤

١-.

٢-.

٣-.

قضاعه و جذام، إلى أن قال (صلى الله عليه وآله): وأمرهم أن يدفعوا الصدقه والخمس إلى رسولي أبي وعنيسه أو من أرسلاه.

مع وضوح أن هذه القبيله قد أسلمت جديداً ولم تخض حرباً بعد، ليكون المراد خمس المغانم الحربيه، بل المغانم التي هي معناه اللغوى، فإن الغنيمه كل فائده كما ذكره اللغويون.

وقد ذكر بعض العلماء فى سيرته (صلى الله عليه وآله) أنه قد أوجب (صلى الله عليه وآله) الخمس فى ستة عشر رساله أخرى، بل أكثر منه إلى القبائل ورؤسائها، وهى قبيله بقاء، وقبيله بنى زهير، و حدس، ولخم، وبنى جديس، ولإسبديين، وبنى معاويه، وبنى حرقه، وبنى قيل، وبنى قيس، وبنى جرمز، ولأجناده وقومه، وقيس وقومه، ولمالك بن أحمر، ولصفي بن عامر شيخ بنى ثعلبه والفتيج ومن تبعه، ونهشل بن مالك رئيس بنى عامر، ولجهينه بن زيد، وفى رساله لليمن، ولملوك حمير، ولملوك عمان (١).

وثانياً: إنهم يقولون الزكاه فى كثير من الأشياء، ففى (الفقه على المذاهب الخمسه):

اختلفوا فيما تجب فيه الزكاه، من الزرع والثمار (بعد أن ذكر التسعه المتقدمه) قال الحنفيه: تجب الزكاه فى كل ما أخرجته الأرض من الثمار والزرع، إلا الحطب والحشيش والقصب الفارسى، وقال المالكيه والشافعيه: تجب الزكاه فى كل ما يدخر للمؤنه، كالحنطه والشعير والتمر والزبيب، وقال الحنابله: تجب فى كل ما يكال ويدخر من الثمار والزرع، ثم قال: وزكاه التجاره واجبه عند الأربعة، ومستحبه عند الإماميه، وتخرج الزكاه من قيمه السلع التى يتجر بها، ومقدار المخرج عشر الربع أى واحد من أربعين.

ص: ٤٥

وفى كتابه فقه الزكاه المجلد الأول: (إن المستغلات وهى: الأموال الناميه فى عصرنا كالعمارات التى تعد للكراء والاستغلال، والمصانع التى تعد للإنتاج، والسيارات والطائرات والسفن التى تنقل الركاب والبضائع والأمتعه وغير ذلك من رؤوس الأموال الثابته أو شبه الثابته، بعبارة أدق رؤوس الأموال المغله الناميه غير المتداوله التى تدر دخلاً وبيعاً على أصحابها، فقد قال جمع بوجوب الزكاه فيها، فيقررون وجوبها فى الأشياء المذكوره من مصانع وعمارات ونحوها، وهذا هو رأى بعض المالكيه والحنابله، ورأى الهادويه من الزيدويه، كما هو رأى بعض العلماء المعاصرين أمثال أساتذتنا الأجلاء الزهره، وخلاف، وعبد الرحمن حسن، كما سنبين ذلك فى المبحث القادم وهذا التوسع هو الذى أرجحه).

وعلى أى، فلا يخرج الأمر عن الضرائب الأربع، ولو فرض عدم كفايه الضرائب الأربع كانت الدوله مكلفه بالاتجار ونحوها، حتى لا- تتصرف فى أموال الناس النافى لسلطنه الناس على أموالهم، ولما دل على حرمه الغصب، فعن أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام) قال: «الحجر المغصوب فى الدار رهن على خرابها»^(١).

قال أبو الحسن (عليه الصلاه والسلام) فى ذكر ما يختص بالإمام (عليه السلام): «وله صوافى الملوكة ما كان فى أيديهم على غير وجه الغصب، لأن الغصب كله مردود»^(٢).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله): «من غصب شبراً من أرض طوقه الله من سبع أرضين إلى يوم القيامة»^(٣).

وعن الغوالى، عن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «من

ص: ٤٦

١-.

٢-.

٣-.

أخذ أرضاً بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر» (١).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوق به يوم القيامة من سبع أرضين» (٢).

وفي حديث: «إن فوتها المغتصب أعطى العوض منها» (٣).

وفي روايه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال فى حديث: «لا يجوز أكل مال المسلم بغير طيب نفسه منه» (٤).

وفى روايه عن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جاداً ولا لاعباً، من أخذ عصا أخيه فليردها» (٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من اتخذ من الأرض شبراً بغير حق خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» (٦).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «أربعة يزيد عذابهم على عذاب أهل النار، رجل مات وفى عنقه أموال، فيكون فى تابوت من جمر» (٧).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من اقتطع مال مؤمن غصباً بغير حقه، لم يزل الله معرضاً عنه ماقناً لأعماله التى يعملها من البر والخير لا يشبتها فى حسناته حتى يتوب ويرد المال الذى أخذه إلى صاحبه» (٨).

وعن حسين بن زيد، عن الصادق، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبى (صلى الله عليه وآله)، فى حديث المناهى قال: «من خان

ص: ٤٧

١-.

٢- مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ١٠٥ ب ٧٨ ح ١٣٦٤١.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

جاره شبراً من الأرض جعله الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة مطوقاً إلا- أن يتوب ويرجع» (١).

وفي حديث عن صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه) قال: «لا يحل لأحد أن يتصرف في مال غيره بغير إذنه» (٢).

وعن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطب يوم النحر بمنى في حجة الوداع، وهو على ناقه عضباء، فقال: أيها الناس إنى خشيت أن لا ألقاكم بعد موقفى هذا، بعد عامى هذا، فاسمعوا ما أقول لكم فانتفعوا به، ثم قال: أى يوم أعظم حرمة، قالوا: هذا اليوم يا رسول الله، قال: فأى الشهور أعظم حرمة، قالوا: هذا الشهر يا رسول الله، قال: فأى بلد أعظم حرمة، قالوا: هذا البلد يا رسول الله، قال: فإن حرمة أموالكم عليكم وحرمة دمائكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، إلى أن تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت، قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد» (٣).

وفي حديث عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «فمن نال من رجل شيئاً من عرض أو مال وجب عليه الاستحلال من ذلك، وأن يتنصل من كل ما كان منه إليه، وإن كان قد مات فليتنصل من المال إلى ورثته، وليتب إلى الله مما أتى إليه حتى يطلع عليه عز وجل بالندم والتوبة والتنصل»، ثم قال (عليه السلام): «ولست آخذ بتأييد الوعيد فى أموال الناس، ولكنى أرى أن أؤدى إليهم إن كانت قائمه فى يدي من اغتصبها، ويتنصل إليهم

ص: ٤٨

١-

٢-

٣-

منها، وإن فوتها المغتصب أعطى العوض منها، وإن لم يعرف أهلها تصدق بها عنهم على الفقراء والمساكين، وتاب إلى الله عز وجل مما فعل» (١١).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يحلبن أحدكم ماشيه أحد إلا بإذنه، أيحب أحدكم أن يؤتى مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه، فإنما تخزن لهم ضرور مواشيهم، فلا يحلبن أحدكم ماشيه أحد إلا بإذنه» (١٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام»، إلى أن قال: «لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيب نفسه» (١٣).

هذا بالإضافة إلى النصوص الخاصة في أبواب متفرقه، مثل: آيات وروايات أكل أموال اليتامى.

قال سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا) (١٤).

وروى سماعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أوعد الله تعالى في أكل مال اليتيم عقوبتين، إحداهما عقوبه الآخرة النار، وأما عقوبه الدنيا فقولته عز وجل: ((وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ)) (١٥) الآيه، يعنى ليخش إن أخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى» (١٦).

وعن الرضوى: أروى عن العالم (عليه السلام) أنه قال: «من أكل مال اليتيم درهماً واحداً ظلماً من غير حق يخلده الله في النار» (١٧).

وروى: «إن أكل مال اليتيم من الكبائر التي وعد الله عليها النار، فإن الله عز وجل من قائل يقول: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

ص: ٤٩

١-.

٢-.

٣-.

٤- سورة النساء: ١٠.

٥- سورة النساء: ٩.

٦-.

٧-.

ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا» (١١) «(٢)».

إلى غيرها من الروايات الموجودة في أبوابها المتفرقة، مما لا داعى إلى ذكر جميعها.

هذا بالإضافة إلى أنه لا- تحتاج الدولة إلى مد يدها إلى أموال الناس، فإنه بالإضافة إلى ما تقدم يضاف عليها ما اكتشف في العصر الحاضر من المعادن وغيرها، كاستخراج الملح من ماء البحر، إلى غير ذلك.

وإلى إمكان جمع الدوله التبرعات، والناس يعطونها إذا كانت الدوله منهم على الشروط الشرعيه وباختيارهم، كما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يجمع التبرعات الاختياريه فى حروبه أو نحوها، مثل إعطائها للفقراء وغيرهم.

وإلى أن جملة من الأمور تتمكن الدوله من استرباح المال بسببها، كالبريد والقطار والمطار وما أشبه ذلك، ولا نقصد بذلك حصر الدوله لها فى نفسها، بل الدوله تدخل أيضاً فى هذه الميادين، وإلا فقد ذكرنا فى بعض الكتب المعنيه بهذا الشأن أن كل الأعمال يجب أن تكون حره فى الدوله الإسلاميه باستثناء المحرمات، فإذا أراد فرد أو جماعه فتح مطار أو قطار أو معهد أو بريد أو مستشفى أو ما أشبه ذلك لم يحق للدوله معارضته أو معارضتهم.

نعم للدوله الإشراف على المؤسسات الخاصه، حتى لا- توجب تلف أموال الناس إذا لم يكن للفرد أو الجماعه المذكورين الكفاءه، وعدم الإجحاف بالناس، لأنه حرام حسب أدلته الوارده فيه.

وعلى أى حال، فلا تصل النوبه إلى الضرائب المتداوله فى البلاد فى الحال الحاضر إطلاقاً.

ص: ٥٠

١- سورة النساء: ١٠.

٢- .

لا يقال: هب أن الدولة تكتفى بالضرائب الأربع لإداره شؤون نفسها، فإن من الواضح عدم كفايه الضرائب الأربع لتقديم الأمه إلى الأمام.

فإنه يقال: إذا تركت الدولة الناس وشأنهم حسب حرياتهم الممنوحة لهم من الله سبحانه وتعالى قدمت الأمه نفسها بنفسها، بفتح المعاهد والمستشفيات والمعامل والمصانع وصنع الشوارع والبيوت وغيرها، بل ترك الأمه لمزاولة هذه الأمور فى نفسها ترفع الثقل عن كاهل الدولة، حتى لا تحتاج إلى مزيد من عملها فتصرف إلى إداره الأمه إدارةً كامله بدون نقص أو تلكؤ.

((الضرائب وأسبابها))

((الضرائب وأسبابها))

وعلى أى حال، فإن الدول الحديثه إنما احتاجت إلى الضرائب الخارجه عن الأمور الأربعة:

((جهل الحكام))

((جهل الحكام))

أولاً: لجهلها، فزادت الدوائر حسب الجهل لا حسب إرادته الواقع، فقد كانت فى مصر إبان كونها إسلاميه ونفوسها عشره ملايين، عشره آلاف موظف، كما سجلها التاريخ، بينما ترى الآن ونفوس مصر خمسين مليوناً، فيها ما يقارب مليونى موظف، بينما اللازم حسب ذلك الإحصاء أن يكون موظفوها خمسين ألفاً فقط، فكم فرق بين الأمرين.

وليس المقصود تصحيح عشره آلاف أو خمسين ألفاً، لأن ذلك مما يحتاج إلى الخبراء حتى يرون أن الدوله إذا كانت مشرفه فقط، كما هى شأنها، كم تحتاج من الموظفين، مثلاً إنا نرى فى زمان على (عليه الصلاه والسلام) كان قاض واحد هو شريح، ولعل نفوس أهل الكوفه فوق سته ملايين، لأن البلد كان من جانب كربلاء فقط خمسه فراسخ، كما ذكره المؤرخون، ومن الطبيعى أنه إذا كان مسجد الكوفه وسطاً، كما ذكره المؤرخون أيضاً، يكون طول الكوفه

عشره فراسخ، نعم عرضها لم يكن بذلك المقدار، لأن طرف النجف كان يباباً، بدليل دفن الإمام (عليه الصلاة والسلام) خارج الكوفة، وطرفه الآخر كان نهر الفرات وإن لم يستبعد أن يكون الطرف الثاني من النهر أيضاً عامراً، وهذا غير مستبعد حيث إن وسعه بلاد الإسلام ومركزيه الكوفة لانتقال أهالي عاصمه كسرى المدائن إلى الكوفة، وعدم وجود الحدود الجغرافيه، وسهوله السفر والإقامه، لعدم الجواز وما أشبه من الأمور الكابته للناس، يوجب انتقال الناس إلى الكوفه.

وقد رأينا أن عاصمه كوريا الجنوبيه قبل الحرب العالميه الثانيه كان نفوسها ثلاثمائه ألف، وبعد الحرب حيث أراد الغربيون قوتها وثقلها في قبال كوريا الشيعيه قفزت النفوس فيها إلى أربعه ملايين في عرض فرسخ.

وعلى أى حال، لنفرض عشره فراسخ طولاً فلا بد وأن يحتوى مثل هذا البلد على ما ذكرناه من النفوس أو أكثر، ويؤيده أن الدربندى (رحمه الله) ذكر أن بعض الأقوال فى الجيش الذين جاؤوا إلى كربلاء كانوا مليوناً وستمائه ألف، فإذا فرض أنهم كانوا ربع نفوس أهل الكوفه، لأن البقيه كانوا من النساء والأطفال والعجزه، والذين كانوا فى السجون أو هربوا إلى البساتين والخارج، كان مجموع النفوس قريباً مما ذكرناه، وعلى أى حال فقد كان للكوفه من زمان الخليفه الثاني إلى زمان الأمويين قاض واحد هو شريح، ويدل بعض الروايات على عدم وجود المعاصى إلا نادراً فى زمان الإمام (عليه الصلاة والسلام).

كما يدل أيضاً على قله المشاكل جداً فى زمان الإمام (عليه السلام) ما قاله سلمه: سمعت علياً (عليه السلام) يقول لشريح: «انظر إلى أهل المعك والمطل ودفع حقوق الناس من أهل المقدره واليسار ممن يدلى بأموال الناس إلى الحكام فخذ للناس بحقوقهم منهم وبع فيها العقار والديار، فإنى سمعت رسول الله

(صلى الله عليه وآله) يقول: مظل المسلم الموسر ظلم للمسلمين، ومن لم يكن له عقار ولا دار ولا مال فلا سبيل عليه، واعلم أنه لا- يحمل الناس على الحق إلا- من ردعهم عن الباطل، ثم واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك، حتى لا- يطمع قريبك في حيفك، ولا- يئأس عدوك من عدلك، ورد اليمين على المدعى مع بينته، فإن ذلك أجلى للعمى وأثبت للقضاء، واعلم أن المسلمين عدول بعضهم على بعض، إلا مجلود في حد لم يتب منه، أو معروف بشهاده زور، أو ظنين، وإياك والتضجر في مجلس القضاء الذى أوجب الله فيه الأجر، ويحسن فيه الذخر لمن قضى بالحق، واعلم أن الصلح جائز بين المسلمين إلا صلح حرم حلالاً أو أحل حراماً، واجعل لمن ادعى شهوداً غيباً أمداً بينهما، فإن أحضرهم أخذت له بحقه، وإن لم يحضرهم أوجبت عليه القضية، وإياك أن تنفذ قضيه فى قصاص أو حد من حدود الله أو حق من حقوق المسلمين، حتى تعرض ذلك على إن شاء الله، ولا تقعدن فى مجلس القضاء حتى تطعم»(1). الحديث.

فإن قوله (عليه الصلاة والسلام): «واعلم أن المسلمين عدول بعضهم على بعض» إلخ، يدل على عدم وجود المعاصى إلا نادراً، كما أن قوله (عليه الصلاة والسلام): «حتى تعرض ذلك على إن شاء الله»، يدل على قله المشاكل جداً فى زمان الإمام (عليه الصلاة والسلام)، ولم يكن ذلك إلا- بسبب الحريات الواسعه الإسلاميه، والإيمان الذى تحلوا به، والأخلاق الفاضله بسبب الإسلام، كما ذكرنا بعض ذلك فى كتاب (الصياغه).

وإذا علمنا أن مثل مدينه الكوفه فى الحال الحاضر بحاجه إلى عشرات القضاء بل مئاتهم، ظهر وجه تضخم الدوائر، ومن المعلوم

ص: ٥٣

أن تضخم الدوائر تضربنا ثلاث مرات:

مره لأن الموظفين ينتقلون من قطاع الإنتاج إلى قطاع الاستهلاك، فيكون كلهم على الناس.

ومره لأنهم يعطلون الناس عن الإنتاج بقوانينهم الكابته.

ومره ثالثة لأنهم لا يقتنعون بالكفاف والعفاف، وإنما يعيشون بالسرف والترف.

((دكتاتوريه الحكام))

((دكتاتوريه الحكام))

وثانياً: بدكتاتوريتها، لأنها تريد جمع المصنفين حولها، وحتى إذا فرض الأمر في الحكومات الديمقراطية فإنها تريد التدخل في شؤون الناس لملئ غرورها، وهذا لا يكون إلا بتكثير الموظفين، خصوصاً إذا كان الرئيس دكتاتوراً من النوع الشديد.

وقد ذكرت مجله المختار المصريه فى عدددها الرابع من السنه الأولى بتاريخ خمسه عشر ذى القعده ألف و ثلاثمائه وتسعه وتسعين هجرية ما يؤيد كثره موظفى الدول الدكتاتوريه، ونحن ننقل كل عبارته، فإن الكل وإن لم يكن مرتبطاً بهذا البحث الذى نحن بصدده إلا أن المقصود تحذير الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه من الانسياق وراء الدكتاتوريه التى تجر الدول إلى الخراب والدمار:

(قطع الأيدى بالمنشار الكهربائى، قلع العيون، الاعتداءات الجنسيه، إطفاء السجائر فى أجساد المسجونين، قمع المظاهرات بالرشاشات، كل ذلك يعتبر من وسائل التعذيب البسيطة التى استخدمها رجال السافاك، البوليس السرى الإيرانى أمام الوسيله البشعه التى أدخلوها إلى قاموس التعذيب وهى بستره الإنسان مثل اللبن، وتتلخص هذه الوسيله فى وضع المسجونين فى الزيت المغلى ثم

نقله مباشرة إلى الماء المثلج، ونتيجة للعوامل النفسيه التي كونت شخصيه الشاه، والعوامل السياسيه التي تتركز في الدعائم التي وضعها لنظامه كان لا بد من إنشاء جهاز السافاك ليقوم بدور البوليس السياسى، وقد تشكل بالفعل سنه ألف وتسعمائه وسبعه وخمسين، ونظراً لضخامه عدد رجال هذا الجهاز فإنه يحسب بالمقارنه إلى الشعب الإيراني، وقد تبين أن هناك سافاكي لكل ثمانية إيرانيين، وهى نسبة مذهله لا توجد حتى فى أعتى دول المخابرات الولايات المتحده والاتحاد السوفيتى.

وكان الشاه ينفق على هذا الجهاز مليار دولار سنوياً، لذا فقد كان القصور الطبيعى لدى المعارضه والجماهير الإيرانيه أن أجهزه القمع مثل السافاك وغيره يجرى تدعيمها على حساب المصالح الأساسيه للجماهير، وحذرا هذه الجماهير فى النهايه إذا ما تحركت، يضاف إلى ذلك أن الإنفاق على هذه الأجهزه كان يرتسم بطابع إسرافى، ليس فقط من ناحيه الأجهزه والمعدات، وإنما أيضاً من ناحيه المرتبات والمزايا، حتى يضمن الشاه ولاء رجال هذه الأجهزه، وقد وصل هذا الولاء إلى أن هتاف رجال الجيش والسافاك كان: (خدا، شاه، ميهن) أى: الله، الملك، الوطن.

ومن ناحيه أخرى فقد عمدت قيادات هذه الأجهزه، بالإضافة إلى قيامها بالتصفيه الجسديه للمعارضه الإيرانيه وإحباط حركه الجماهير، إلى تدعيم ما تحصل عليه من امتيازات سبقها عليه النظام، وإلى استغلال مناصبها ونفوذها، واقتسام المغانم التي تنتج عن البترول مع قطاعات الصفوه الأخرى، ولم تمنح محاولات إثراء قاده السافاك ورجاله من أن يخففوا عملياتهم ضد الشعب الإيراني، ولقد كانوا قبل البدء بأعمال ضد

الشعب وضد المناوئين لنظام الشاه يلبسون قمصاناً خاصه واقيه من الرصاص، وكانوا يأخذون حقائب تحوى أسلحه متنوعه، ويذهبون إلى العمليات الموكله إليهم.

وفى إحدى الصالات بسجن أوين الرهيب (سجن السافاك) وجدت سيارات مختلفه وحديثه، وأثناء تفقد تلك السيارات فتح الموجودون داخل السجن صندوق إحدى السيارات وفى مكان سجين بها عشر على أنواع متنوعه من الأسلحه لا يحملها إلا الجيش، بالإضافة إلى جهاز استقبال إرسال، وفى السياره زجاجان للباب الواحد، وكان رجال السافاك فى أثناء عمليات مطارده ضد المناوئين للنظام يرفعون أحد الزجاجين لأن الآخر كان ضد الرصاص، وكان رجال السافاك يستعملون سيارات خاصه لنقل المقبوض عليهم إلى السجن وكانت تلك السيارات فى الظاهر تشبه سيارات الإسعاف، وعند تفقد إحدى هذه السيارات تبين أن هيكل السياره من الداخل قد صمم بطريقه بحيث لا ينفذ منها أى صوت إلى الخارج.

ويقول مراسل بعض الصحف: إنه بسبب ضخامه الأقسام المختلفه لسجن أوين _ الذى يقع فى القطاع الشمالى الغربى من طهران _ لم يستطع أن يتفقد إلا الأقسام الأوليه، وقد اتسعت إداره السافاك لدرجه أن السجناء كانوا يشكلون من مختلف الطبقات من أفراد المجتمع، التلاميذ، وطلبه الجامعات، والتجار، والموظفين، والحرفيين، وغيرهم، وقد شملت صلاحيات السافاك الرقابه الشديده على الصحف ودور النشر علاوه على ذلك، فقد كانوا يصدرن كتباً ومجلات وصحفاً تسرب إلى الشعب على أنها صادرة من مؤسسات صحفيه، وذلك لتعمد تسريب معلومات معينه إلى المعارضين بنصب الكمائن لهم كما بسط السافاك نفوذهم على ستمائه من الاتحادات العماليه، ووصل نفوذ

السافاك إلى حد تشكيل مكاتب في جميع الإدارات الحكوميه وغير الحكوميه، وقد أوجد السافاك في استراتيجيته الخاصه في البلاد سوراً محيطاً يسوده سوء الظن بين الناس، وكان كل فرد يظن أن الآخر من السافاك، حتى فقد الناس ثقتهم في أنفسهم.

وكان القسم الخارجى لعمليات السافاك قد عهدت إليه الوظائف التاليه: التجسس، العمليات السريه، والارتباط بالمنظمات الدوليه للجاسوسيه في العالم، مراقبه الإيرانيين في الخارج، التعاون مع المنظمات الجاسوسيه المشابهه للسافاك في دول العالم، وكان للسافاك نشاط كبير في دول شرق آسيا، وتقول وكاله المخابرات المركزيه الأمريكيه: إن السافاك كان له نشاط كبير في دول الخليج والشرق الأوسط، كما تعاون مع المنشآت الإسرائيلييه، وهى منظمه المخابرات والمهام الخاصه التى أقامتھا إسرائيل.

وعثر على مستندات وأدله تثبت أن رجال السافاك في أثناء عملياتهم بأروبا كانوا يقومون بمراقبه تليفونات المعارضين لسياسه الشاه، وقد نشرت الصحف الأمريكيه والأوروبيه في عام سبعة وستين تلك الوثائق، وقامت الحكومه السويسريه بطرد سفير إيران من بلادها بتهمة التجسس، وفي تلك المستندات أدله كافيه على أن سفارات إيران في الخارج تحولت إلى مراكز وشعب للسافاك، وكذلك تحولت وزاره الخارجيه الإيرانيه إلى مركز هام للسافاك.

وهناك إحصائيه عن عدد المقبوض عليهم من قبل السافاك، تبين مدى اشتداد عملياتهم، فقد ذكر مراسل وكاله أسوسيتيرس: إنه لم يلتق بشاب إيرانى تجاوز العشرين دون أن يكون قد اعتقل ولو مره واحده، وقد بلغ عدد الذين ألقى القبض عليهم بتهم سياسيه من عام

اثنين وستين إلى عام خمسة وسبعين عشرات الألوف من الشباب فقط، وقد ربت المخابرات الأمريكية رجال السافاك، وخمسة وستون ألفاً من أبناء الشعب الإيراني قتلتهم يد السافاك الآثم.

وهذه الإحصائيات تعتبر غير دقيقة نظراً لوجود أعداد ضخمة من القتلى الذين زهقت أرواحهم في سجون السافاك ولم يعلم أهلهم عن وفاتهم شيئاً إلا بعد نجاح الثورة، وقد كانت قوات السافاك تنزل إلى اشوارع الإيرانية لإسكات مظاهرات الشعب، وتستخدم في ذلك كل وسائل حصد البشر، من رشاشات وقنابل يدويه، ولم تكن تفرق في ذلك بين رضيع أو طفل أو شاب أو شيخ مسن، بل لقد بلغت القسوة أنه عند ما كان يرى أحد رجال السافاك متظاهراً أصيب برصاصه ولكن روحه لم تفض إلى بارئها يظل يضربه بدكشه البندقيه، ويظل يصرخ وتعالى صرخاته لكي يسمعها باقي المتظاهرين ويحاولون تخليصه، ولا يكون مصيرهم وهم قادمون إلا- وتنطلق الرشاشات عليهم من كل جانب فتحصدتهم، ولقد وصلت قمة البشاعة لرجال السافاك إنهم كانوا يتركون جثث ضحاياهم من أبناء الشعب الإيراني حتى تتعفن.

ويكون ذلك تحت نظر زملائهم المعتقلين، وكانت رائحة الجثث لا تطاق، ولكنها كانت وسيله يسعد بها رجال السافاك، حيث إنهم يعذبون المعتقلين بزملائهم، ولكن أبشع من ذلك ما هو آت، فقد كان رجال السافاك يطلبون من المعتقلين أن يأكلوا لحم زملائهم، وقد أوشكت جثثهم إلى أن تتحلل، ونظراً لتشبع الجثث بالمكروبات والجراثيم فقد كان هناك من المعتقلين من ماتوا بتسمم، وآخرين أصيبوا بهستيريا، والبعض الآخر رفض الانصياع لطلب أكل جثته زميله فكانت

النتيجة أن أجريت له عملية (بستره) كما ذكرنا من قبل)، انتهى ملخصاً.

وعلى ما ذكرته هذه المجلة لو فرض أن نفوس إيران كان ذلك الوقت أربعين مليوناً يكون عدد السافاك الذين وظفهم لأجل حفظ شخص الشاه فقط خمسة ملايين، إنه لا شك أن العدد مبالغ فيه، ولكن من غير الشك أيضاً أن العدد كان كبيراً جداً.

((ترف الحكام))

((ترف الحكام))

وثالثاً: إن الموظفين في أمثال هذه الدول الحاضرة يعيشون حياة السرف والترف والبدخ بما لا مثيل له حتى في عهود الخلفاء المسرفين، فالشاه وحده أخذ من إيران حين أخرج خمسين ملياراً من الدولارات، مما كان قد أودعها في البنوك الأجنبية، حسب بعض الإحصاءات، أما ذووه وأقرباؤه وأركان نظام حكمه فكم أخرجوا من المال، يحتاج ذلك إلى إحصاء دقيق.

وأبوه من قبل كان يملك ألفي قرية عامره من قرى إيران، بينما لما وصل إلى الحكم بالقوه بسبب البريطانيين لم يكن يملك حتى قوت يومه، وأخرج حين أخرج إلى (موريس) ومعه أربعمائه صندوق من المجوهرات والذهب والأشياء الثمينه جداً، مما لا يعلم قيمتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولما نقلوه من سفينه إلى سفينه ببعض الأعذار الواهيه ذهبت سفينه المجوهرات إلى البلاد الغربيه، بينما ذهب هو بسفينه خاصه وبعض مرافقيه إلى جزيره موريس.

ومن المعلوم أنه لا يكفي لأمثال هذه المصارف والبدخ الضرائب الأربع المذكوره سابقاً، نعم إذا مات الحاكم ودرعه رهن لثمن خبز شعير لقوته وقوت عائلته، كما ورد بالنسبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد كان

يحكم تسع دول فى خريطه اليوم، أو مات وعليه ثمانمائه ألف دينار، كما ورد بالنسبه إلى على (عليه الصلاه والسلام) وقد كان يحكم أكثر من أربعين دوله فى خريطه اليوم، لا يحتاج الأمر حتى إلى الضرائب الأربع، ولذا كان الرسول (صلى الله عليه وآله) وعلى (عليه السلام) يقسمان الزائد على كل المسلمين.

((الأرض لله ولمن عمرها))

إشاره

((الأرض لله ولمن عمرها))

الرابع: الأرض، فإن الله سبحانه خلق الماء والهواء والشمس والأرض ونحوها لاستفاده البشر، وكلها مجانيه فى منطق الإسلام، فكما أن الثلاثه الأول لا يؤخذ مال من أجلها إلا إذا عمل إنسان عليها، كما إذا منح الماء من البئر، أو جاء بالماء فى وسيله إلى الدور ونحوها، أو جعل الهواء فى إطارات السيارات، أو حصر نور الشمس فى البطاريه وما أشبه، يلزم أن تكون الأرض كذلك.

وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «عادى الأرض لله والرسول، ثم إنها لكم منى أيها المسلمون»^(١).

وقد ورد فى التاريخ أن قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) كانت الأرض حكراً على المستولين عليها من دوله أو عشيره أو ما أشبه وإن كانت بدون عماره، ولما قال الرسول (صلى الله عليه وآله) ذلك فرح المسلمون فرحاً كثيراً، واخذوا فى عماره أراضي أطراف المدينه، حتى توسعت توسعاً كبيراً.

وعن محمد بن مسلم، قال: سألته (عليه السلام) عن الشراء من أرض اليهود والنصارى، قال: «ليس به بأس»، إلى أن قال: «وأىما قوم أحيوا شيئاً من الأرض أو عملوه فهم أحق بها وهى لهم»^(٢).

ص: ٦٠

١-.

٢-.

وعنه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «أَيُّ قَوْمٍ أَحْيَا شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ أَوْ عَمَرُوهَا فَهَمَّ أَحَقُّ بِهَا» (١).

وعن الفضلاء، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ أَحْيَى أَرْضاً مَوَاتاً فَهِيَ لَهُ» (٢).

وعن زراره، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ أَحْيَى أَرْضاً مَوَاتاً فَهِيَ لَهُ».

وعن الصدوق، قال: «قَدْ ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) عَلَى خَيْرِ فِخَارِجِهِمْ عَلَى أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَ فِيهَا وَيَعْمَرُونَهَا، وَمَا بَأْسٌ لَوْ اشْتَرَيْتَ مِنْهَا شَيْئاً، وَأَيُّ قَوْمٍ أَحْيَا شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ فَعَمَرُوهَا فَهَمَّ أَحَقُّ بِهِ، وَهُوَ لَهُمْ» (٣).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مَنْ غَرَسَ شَجَرًا، أَوْ حَفَرَ وادِيًا بَدِيًّا لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ، أَوْ أَحْيَى أَرْضاً مَيْتَةً، فَهِيَ لَهُ قِضَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (٤).

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن شراء الأرضين من أهل الذمة، فقال: «لَا بَأْسَ، وَبَأْنَ يَشْتَرِيهَا مِنْهُمْ إِذَا عَمَلُوهَا وَأَحْيَوْهَا فَهِيَ لَهُمْ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حِينَ ظَهَرَ عَلَى خَيْرِ وَفِيهَا الْيَهُودُ خَارِجَهُمْ عَلَى أَنْ يَتْرَكَ الْأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ يَعْمَلُونَهَا وَيَعْمَرُونَهَا» (٥).

ص: ٦١

١-.

٢-.

٣- من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٢٣٩ ح ٣٨٧٦.

٤-.

٥-.

وروى السيد الرضى عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «من أحيى أرضاً ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق» (١).

وعنه (صلى الله عليه وآله)، قال: «موتان الأرض لله ورسوله، فمن أحيى منها شيئاً فهو له» (٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله)، قال: «من أحاط حائطاً على أرض فهي له» (٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله)، قال: «من سبق إلى ما لا يسبقه إليه مسلم فهو أحق به» (٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله)، إنه قال: «عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم منى، فمن أحيى مواتاً فهي له» (٥).

وعن جابر الأنصاري، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من أحيى أرضاً ميتةً فله فيها أجر، وما أكلت الدواب منه فهو له صدقه» (٦).

وعن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن شري أرض اليهود والنصارى، قال: «لا بأس، قد ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أرض خيبر فحالفهم على أن يترك الأرض في أيديهم ويعمرونها، وما بها بأس إن اشترت، وأى قوم أحيوا منه فهم أحق به وحق لهم» (٧).

ثم إن القانون الإسلامي بقي على حاله من كون الأرض لمن عمرها إلى ما قبل نصف قرن، حيث إننى أذكر أن كثيراً من أرضى النجف الأشرف وكربلاء المقدسه بنى الناس عماراتهم فيها بدون إعطاء مال أو اشتراء، أو رخصه من الدوله، وكذلك كانت حال البساتين،

ص: ٦٢

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

أو رخصه أو ما أشبهه، نعم استثنى من ذلك أراضي المفتوحة عنوه، كما أذكر أنها كانت تشجر أو تزرع على الأراضي غير العامره بدون ثمن كما فصل في (الفقه).

كما أنه لا يحق لإنسان أن يمنع الآخرين من الحيازه، لأن كل إنسان له الحق في إطار {لكم} (١١) المذكوره في الآيه الكريمه، وحتى إيجار المفتوحه عنوه كان بشيء بسيط جداً، حتى أنى أذكر أن الحكومه العراقيه كانت تأخذ من البيوت في النجف الأشرف لكل بيت في السنه روبيه واحده، قوتها الشرائيه خمسه وسعون رغيفاً من الخبز أو أقل من ذلك، وكانت كثير من البيوت كبيوت العلماء والأوقاف ونحوها مستثناه عن هذه الضريبه، ولما جاء عملاء الاستعمار إلى بلاد الإسلام جعلوا للأرض قيمه، ووقفوا دون تعمير الأرض بهذه الوسيله، بينما إذا كانت الأرض على حالتها الإسلاميه توسع العمران توسعاً كبيراً، والله المنجى.

((شروط إحياء الأرض))

((شروط إحياء الأرض))

وعلى هذا فلاإنسان أن يحيى ما شاء من الأرض بشروط:

الأول: أن يكون في إطار {لكم} (٢٢) كما أشرنا إليه، لا أن يأخذ أكثر من حصته، فإذا كانت هناك أرض بقدر ألف جريب وكان هناك ألف عائله يحتاج كل واحد إلى جريب، فلا حق لعائله من تلك العوائل أن تأخذ ألفي جريب مثلاً، كما مثلنا سابقاً بغرف المدرسه الموقوفه للطلبه، وفي صيد البحر ونحوهما للذين يعيشون في ساحل البحر كذلك.

الثاني: أن لا تكون محياه لأناس آخرين.

الثالث: أن لا تكون مشعراً، كمنى وعرفات والمشعر وما أشبهه.

ص: ٦٣

١- سورة البقره: ٢٩.

٢- سورة البقره: ٢٩.

الرابع: أن لا يكون حريماً، والمراد بالحریم فی كلامنا أعم من حریم البئر والبستان وشوارع المدینه وما أشبه.

الخامس: أن لا يكون محجوراً لشخص آخر سبقه إلى تلك الأرض، بناءً على أن الحجر لا يوجب الملك كما هو المشهور، أما على ما رأيناه في (الفقه) من أن الحجر يوجب الملك، فليس هذا شرطاً جديداً.

أما ذكر الفقهاء شرطاً آخر لأن لا يكون مما أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلام) أو الإمام (عليه السلام) لشخص، فمن غير المحتاج إليه في الحال الحاضر، وإن كان نائب الإمام (عليه السلام) لو أعطى شيئاً من الأرض لشخص حسب المصلحه تحقق مصداق هذا الشرط.

((خطأ الحكام في الأراضي))

((خطأ الحكام في الأراضي))

وبذلك تبين خطأ الشرق والغرب التي أجراها عملاؤهم في بلاد الإسلام أيضاً، فإنها مخالفه لقوانين الإسلام من جهات:

الأولى: إنهم يدعون ملكيه الأرض للدوله، وأن الناس يجب أن يشتروا من الدوله وإلا نالهم العقاب، بل رأينا أن بعضهم كان يرسل السيارات الثقيله لهدم الدور وما أشبه بمجرد أنهم لم يشتروها من الحكومه.

الثانيه: إنهم يحددون مقدار العمران وكيفيته.

الثالث: تحديد مالكيه الأرض، مثلاً في العراق لا يصلح لغير العراقي ملكيه الأرض، وهكذا في أفغان، ومثله في غيرها.

الرابعه: تحديد بعض أهالي البلد بالملكيه أيضاً، أي إن الدوله في بعض البلاد لا تشترط فقط كون من يملك الأرض صاحب جنسيه

ذلك البلد، بل تشترط شروطاً آخر، مثل أن يكون صاحب الجنيه من فئه (ألف) أو ما أشبه ذلك.

الخامسه: الضريبه المستمره على الأراضى المعموره، داراً أو عقاراً أو محل معمل أو ما أشبه.

وبعض الدول تخطت خطوه أخرى حيث قننت عدم ملكيه الأرض للناس إطلاقاً، وإنما هي ملك الدوله، والناس لهم حق الإيجار فقط، هذا بالإضافة إلى عشرات المشكلات التي أوجدها قوانين عملاء الغرب والشرق لبيع المستغلات وشرائها ورهنها وإيجارها وإرثها، حيث يأخذون من الأرض ضرائب مرهقه، وأن الإجازة تحتاج إلى مراجعه دوائر وهدر الوقت وصرف الأموال، إلى غير ذلك.

فعلى الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه إسقاط هذه القوانين، وإرجاع الأرض على ما ذكره الإسلام.

هذا موجز في الأمر، والتفصيل في كتاب (إحياء الموات) و(المزارعه) و(المساقاه)، كما ذكر الأخ الصادق (عليه السلام) (دام توفيقه) طرفاً منها في كتاب (الإصلاح الزراعي في الإسلام).

ص: ٦٥

١- هو المرجع الديني آيه الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دامت بركاته.

((الدولة الإسلامية وسياسه اللاعنف))

(مسأله): من أهم ما يجب على الدولة الإسلامية المرتقبه إن شاء الله، والتيار الإسلامي قبلها، التزام حاله اللاعنف.

فقد ورد في جمله من الروايات كما في الوسائل والمستدرک ذم العنف.

كما ورد أن العنف من جمله جنود الجهل أيضاً، وقد تقدم بعض رواياته.

كما تقدم الروايات المادحة لضده الذي هو الرفق.

وليبيان نسبة العنف إلى اللاعنف نذكر مقدمه، وهي:

إن الحكماء القدامى كانوا يعتقدون بأن الكون مركب من عناصر أربعة، هي الماء والتراب والنار والهواء، وأنها كلها تتكون من عنصر واحد هو الأصل في جميعها، وكانوا يسمونها بالهولي، والأربعة المذكوره صورها المتبادل، ولذا يتبدل بعضها إلى بعض، حالها حال ما نرى من الصور المتبادل على الطين تريبعاً وتخميساً وثمانياً وتدويراً وما أشبه ذلك، والحال أن الجوهر واحد وهو الطين.

وعلماء الاجتماع يقولون بمثل ذلك في القدره، فهي عندهم جوهره تتجلى تاره في العشيره، وأخرى في المال، وثالثه في الدوله، ورابعه في العلم، وخامسه في الرأي العام، وهكذا، وكلها تتبدل بعضها إلى بعض، مثلاً صاحب العشيره قادر ويتمكن أن يحول قدرته إلى الرأي العام، ويتمكن أن يحول الرأي العام إلى الدوله، حيث نرى أن الانتخابات التي وراءها الرأي العام لزيد يأتي بزيد إلى الحكم، كما أن الدوله تأتي بالمال حيث يعطيها الناس الأموال لإصلاح أمورهم، أو هدايا لنفسه، والمال يأتي بالعلم، حيث يفتح به المعهد للعلم، وهكذا دواليك.

والحقوقيون يقولون بمثل ذلك في العرف والقانون، فكلاهما من جوهر واحد، يتبدل أحدهما إلى الآخر، مثلاً إذا كان العرف يسير في الشوارع من اليمين يضغطون على نواب المجلس أن يصوبوا لذلك قانوناً، كما في العكس، فإذا جاءت السياره إلى البلد جديداً

فالقانون يوضع بالوقوف عند الإشارة الحمراء، وحيث يستعملها الناس يكون ذلك عرفاً.

وفى الشرعيات قال سبحانه: ((فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)) (١)، فنفس السيئه تصبح حسنه وبالعكس، لأن الجوهر واحد، مثلاً- الشجره فى الجنة والنار كلتاهما جوهر واحد، لكن إحداهما تعطى رطباً أو عنباً، والأخرى تعطى حراً وثماراً كأنها رؤوس الشياطين.

ومثاله فى الدنيا ما ذكره سبحانه: ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا)) (٢)، حيث يجعل العنب خمراً، أو الخمر خلاً فى عكسه.

وفى الفقهيّات قالوا: تحول الملح كلباً موجب لتطهره، وتحول اللحم الطاهر إلى نطفه الكلب ثم الكلب موجب لتنجسه، إلى غير ذلك.

وبعد وضوح هذه المقدمه أقول: العنف واللاعنف من جوهر واحد، وهما إرادة الإنسان دفع الضرر وجلب الخير فى مال أو عرض أو نفس، فقد يفرغ ذلك فى العنف وقد يفرغه فى اللاعنّف، والثانى أسلمهما، ولذا فالواجب على التيار الإسلامى، والدوله الإسلاميه بالنسبه إلى التيار، وإبقائها بالنسبه إلى الدوله القائمه، حتى تتسع وتطرّد فى بعدى الكم والكيف.

والمراد باللاعنف الذى يجب أن يجعله الإنسان شعاراً، اللاعنّف الملكى (نسبه إلى الملكه) لا القسرى، فإن اللاعنّف على ثلاثه أقسام:

((أقسام اللاعنّف))

((أقسام اللاعنّف))

الأول: اللاعنّف الملكى، أى يكون نفسيته نفسه لا عنفيه تظهر على الجوارح عن ملكه، كما أن الشجاعه والكرم والعفه والعداله وأشباهها كذلك.

الثانى: اللاعنّف القسرى قسراً خارجياً، أى إن الضعف أوجب ذلك، فإن الضعيف يلتجئ إلى اللاعنّف للوصول إلى هدفه، فإذا

ص: ٦٧

١- سورة الفرقان: ٧٠.

٢- سورة إبراهيم: ٢٨.

صفعه ظالم جبار لم يتمكن أن يقابله بالمثل فيصبر، وهذا أسوأ أقسام اللاعنف، فهو كالإنسان الذى يعفو عن مقابله السب بالسب لأنه أبكم.

الثالث: اللاعنف القسرى العقلانى، أى أن يرجح اللاعنف على العنف من باب الأهم والمهم، وهذا قادر على العنف لا كالثانى، ولا- ينبع اللاعنف عن ضمير فضيله، وإنما يرجحه حيث إنه يراه طريقاً للوصول إلى هدفه، مثلاً يرى أنه إذا عنف مع شريكه اضطر إلى الانفصال عنه، أو عنف فى درسه تفرق طلابه أو ما أشبه ذلك، لذا يرجح اللاعنف على العنف.

لا- يقال: إن القسم الثانى لا- يسمى لا- عنفاً، بل هو من باب السالبه بانتفاء الموضوع، فهل يقال للطفل الرضيع الذى لا يقابل الإساءه إليه بمثلها إنه من اللاعنف.

لأنه يقال: لا يراد بالقسم الثانى ذلك، بل فى ممكن العنف الذى يوجب عنفه سقوط هدفه، كمن يسب من يصفعه أو يصفع من يرميه بالرصاص إلى غير ذلك.

((أقسام العنف))

((أقسام العنف))

وحيث إن اللاعنف على ثلاثه أقسام فالعنف أيضاً كذلك، بقانون التضاييف.

واحتمال أن العدم واحد فلا- يمكن أعدام فى قبال وجودات غير تام، فالوجود المطلق يقابله العدم المطلق، أما الوجودات الخارجيه فإنما يقابلها الأعدام الخاصه، وإلا لزم مقابله المطلق بالخاصه أو العكس وهو مستحيل، فوجود زيد يقابله عدم زيد، لا أنه يقابله العدم المطلق، كما أن الوجود المطلق يقابله العدم المطلق لا عدم زيد، فإن لكل المطلقين أفراداً، فكما هما فى التقابل كذلك أفرادهما.

ومن نافله القول: إن الفردين المتقابلين يلزم تساويهما في كل شيء إلا في الوجود والعدم، فوجود زيد لا يقابله عدم عمرو، وهذا بحث فلسفي ليس المقصود الخوض فيه، وإنما الكلام في لزوم اتصاف التيار والدوله باللاعنف من القسم الأول، فإنه بالإضافة إلى الوصول إلى الهدف الهنيء المستمر البقاء، فضيله يوجب ارتياح النفس إليها، وكم فرق بين من يفعل شيئاً أو يترك شيئاً عن رغبه، وبين من يفعلهما قسراً.

((إشكال وجواب))

((إشكال وجواب))

لا- يقال: إذا كان الأمر على ما ذكرتم فلماذا نرى الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا يجنحون إلى العنف، قال سبحانه: ((وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثِيُونَ كَثِيرًا)) (١)، وقال تعالى: ((جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ)) (٢)، وعلى والحسن والحسين (عليهم السلام) حاربوا.

لأنه يقال: ذلك كان من باب الأهم والمهم، حيث إن الأمر كان دائراً بين الأعتفين، وهم قدموا اللاعنف الأهم على اللاعنف المهم، كما يقدم المريض على إجراء عمل جراحي على بدنه فراراً من فساد كل بدنه إن لم يجر العمليه.

وإن ترك الرسول (صلى الله عليه وآله) الكفار وشأنهم، كان يؤدي بحياه عشرات الألوف أو الملايين، بينما الدفاع كما فعله (صلى الله عليه وآله) أودى بحيات ألف وأربعمائه فقط أو أقل كما ذكره المؤرخون، ففي طرف عنف في العشرات والمئات والملايين وفي طرف عنف في ألف وأربعمائه فقط، ومن الواضح أن الثاني لا يسمى عنفاً بالنسبه إلى الأول.

((اللاعنف الفكري والتربيه النفسيه))

((اللاعنف الفكري والتربيه النفسيه))

ثم اللاعنف بحاجه إلى تربيه نفسيه كبيره وشاقه، ((مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) (٣)، ولها مظاهر كثيره، فليس هو أن لا تسب من سبك، وأن لا

ص: ٦٩

١- سوره آل عمران: ١٤٦.

٢- سوره التوبه: ٧٣، وسوره التحريم: ٩.

٣- سوره فصلت: ٣٥.

تصفع من صفعك، ولا ترمى الرصاص إلى من رماك به فقط، بل من العنف أن تقف على رأيك في جماعه لهم آراء تخالفهم ولا تستعد تحكيم الشورى، فإن وقوفك على رأيك نوع من العنف.

وكذلك من أنواع العنف أن تقطب للناس وجهك، أو تسيير بلا سلام على الذى تمر عليه، إلى غير ذلك، فإنها كلها أمثله من مظاهر العنف.

ولذا جعل الإسلام (أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك) من الفضائل المرغوب فيها، وإليك جملة من الروايات فى هذا الصدد.

((روايات فى مظاهر اللاعنف))

((روايات فى مظاهر اللاعنف))

فعن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى خطبه: «ألا- أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمن ظلمك، وصله من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»^(١).

وفى روايه أبى حمزه الثمالى، عن على بن الحسين (عليهما السلام)، قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الأولين والآخرين فى صعيد واحد، ثم ينادى مناد: أين أهل الفضل، قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: ما كان فضلكم، فيقولون: كنا نصل من قطعنا، ونعطى من حرمانا، ونعفو عمن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة»^(٢).

وعن حمران بن أعين، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة، تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك»^(٣).

وعن جابر، عن أبى جعفر (عليه السلام)، قال: «ثلاث لا يزيد الله

ص: ٧٠

.-١

.-٢

.-٣

بهن المرء المسلم إلا عزاً، الصّبح عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصله لمن قطعه» (١).

وعن زيد بن علي، عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن ربي بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطى من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعود إليه» (٢).

وفي وصيه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى محمد بن الحنفية، قال: «لا يكون أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقدم منك على الإحسان إليه» (٣).

وعن زراره، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إنا أهل بيت مروتنا العفو عمن ظلمنا» (٤).

إلى غيرها من الروايات.

((نماذج من العنف في التاريخ))

((نماذج من العنف في التاريخ))

وهنا ننقل جملة من كتاب (ظاهرة انتشار الإسلام) حول العنف في الحروب الإسلامية واللاعنف فيها، فقد قال:

إن كتب التاريخ التي تناولت سير المعارك والحروب بوجه عام تحدّثنا: إن العنف ظاهره ملازمه للحروب، والجيش عند ما تهاجم ديار قوم لا تعرف شفقه، ولا رحمه، ولا ترعى حرمه، ولا تفرق بين كبير ولا صغير، ولا تترك دابه ولا شجره، وذلك لأن هدفها هو الانتقام والتشفى وإسكات كل صوت يعارض وجودها، أو يرفع السلاح في وجهها، وهذا ليس شأن الجيوش الغازية لأجل منافع اقتصاديه وسياسيه فحسب، بل ساد ذلك العنف حتى بعض الديانات التي

ص: ٧١

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

سبقت الإسلام، وقد ورد في الإصحاح الثالث عشر من تثنيه الاشتراع: (فضرباً تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرقها بكل ما فيها من بهائها بحد السيف تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كامله للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبني بعد).

وورد في الإصحاح العشرين: (إذا خرجت للحرب على عدوك وأريت خيلاً ومراكب قوم أكثر منك فلا تخف منهم، لأن معك الرب إلهك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويتسعد لك، وإن لم تسالمك وعملت معك حرباً فحاصرها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك، فتأكل غنيمه أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل في جميع المدن البعيده جداً، أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما).

ويقول جيبون: (إن الحملة الصليبية الأولى تركت في التاريخ أفسى ما عرف من التعصب لا ضد المسلمين فحسب، بل ضد مسيحي الشرق، فإن الصليبيين خدام الرب يوم أن استولوا على البيت المقدس رأوا أن يكرموا الرب بذبح سبعين ألف مسلم، لم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال، فقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران، وألقوا الأطفال الرضع من أسوار المعقل والحصون، وشيوا الرجال على النار، وبقروا بطون الحوامل ليروا هل ابتلع أهلها الذهب، واستمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام، ولم تنته إلا لما أعياهم الأجهاد من القتل، وقد شوهد القاصد الرسولي مندوب البابا وهو يشارك في هذا الانتصار).

ويروى ابن الأثير هذه المذبحة فيقول: (وقتل الفرنج في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعه كثيره من أئمه المسلمين وعلماهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخره نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثه آلاف وستمائيه درهم، وأخذوا تنوراً من فضه وزنه أربعون رطلاً بالشامى، وأخذوا من القناديل الصغار مائه وخمسين قنديلاً، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء).

وهذه الوحشيه فى الحروب لا زالت مستمره إلى يومنا هذا، فالحروب الكونيه فى هذا القرن كانت مثلاً مروعاً للتدمير والهلاك، وما جرى لمدينتى هروشيما ونجازاكي خير شاهد على ذلك، كما أن مذابح للصهيونيه فى فلسطين ولبنان برهان آخر على أن الحروب فى منطوق غير المسلمين إباده لا تعرف رحمه، وقتل للمحارب وغيره على حد سواء.

((منطق المسلمين فى الحروب))

((منطق المسلمين فى الحروب))

أما منطق المسلمين فى الحرب فهو المنطق الذى ينبثق من دينهم، دين الإخاء والمساواه، والحق والعدل، واحترام آدميه الإنسان، ومن ثم كانوا فى حروبهم أبعد الناس عن ممارسه العنف والإباده، لأن الديانه الحقيقيه لا تأمر أتباعها بالتشفى والانتقام، بل تأمرهم أن يدافعوا عن أنفسهم، وينتصروا لمبادئهم، دون أن يخرجوا عن حدود إنسانيتهم.

والتاريخ الإسلامى ملئ بالصور الرائعه للأخلاق الإسلاميه فى الحرب، وهى صور تتجلى فيها الإنسانيه بكل معانيها، والرحمه بكل صورها، وكانت تلك الصور سبباً قوياً من الأسباب الكثيره التى جعلت الشعوب تقبل أفواجاً على اعتناق الإسلام، انظر

إلى الأهالي المسيحيين في الأردن، ماذا قالوا للجيش الإسلامي عند ما بلغ الأردن وعسكر به، لقد كتبوا يخاطبون العرب: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرثف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولايه علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا.

ولم يكن مهمه المسلمين إكراه الناس على اعتناق الإسلام، ولو أراد النبي (صلى الله عليه وآله) ذلك لما كانت هناك حاجة لأن يبرم عهوداً ومواثيق مع اليهود في المدينه، وماذا يمنع من أن يكره اليهود على اعتناق الإسلام، أو أن يبسدهم عن آخرهم، إنه رجل الدوله الأول، والمسلمون هم القوه الأولى في الجزيره العربيه، لا شىء يمنع من فعل ذلك إلا الأمر الإلهي: ((لا إكراه في الدين))^(١).

لقد جاء في عهده (صلى الله عليه وآله) لليهود حين قدم المدينه: (وإن يهود بنى عوف أمه مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأموالهم وأنفسهم، إلا من ظلم أو أثم، فإنه لا يرتغ إلا نفسه وأهل بيته)^(٢).

تلك هي حربه العقيدته في الإسلام التي تنجلي في مواقف كثيره للرسول (صلى الله عليه وآله) وغيره من الصحابه.

ولعل من بينها أيضاً ذلك العهد الذي أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله) لنصارى نجران في اليمن، حين قال: بأنها وحاشيتها في جوار الله وذمه رسوله، على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيتها، ولا كاهن عن كهانته، ومن سأل حقاً منهم بينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين^(٣).

ومن أعظم الدلائل وأقواها على تأكيد انتشار الإسلام بالحجه والإقناع، وأن السيف لم يكن له دور في نشر الديانه الإسلاميه ما حدث

ص: ٧٤

١- سوره البقره: ٢٥٦.

٢- .

٣- .

فى القرن السابع الهجرى من حوادث هدت الكيان الإسلامى؁ وزعزت الدوله الإسلاميه؁ وذلك عندما هجم المغول والتر على البلاد الإسلاميه؁ وأعملوا فى أهلها القتل والسلب والنهب؁ ودمروا مدنها وقراها؁ ونسفوا كل مظاهر الحضاره التى شيدتها الدوله الإسلاميه؁ وكانت تلك الحوادث من أكثر ما نزل بالمسلمين من خطوب؁ بل ما نزل بالإنسانيه عامه.

ولقد بدأ ابن الأثير كلامه على هذه الحوادث بمقدمه حزينه؁ تدل على عظم الفادحه وجسامه الخطب؁ فقال:

(لقد بقيت عدّه سنين معروضاً عن ذكر هذه الحادّته استعظماً لها؁ كارهاً لذكرها؁ فأنا أقدم إليه رجلاً وأؤخر أخرى؁ فمن الذى يسهل عليه أن يكتب نعى الإسلام والمسلمين؁ ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك؁ فيا ليت أمى لم تلدنى؁ ويا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً؁ إلا أنى حثنى جماعه من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف؁ ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعاً؁ فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادّته العظمى والمصيبه الكبرى التى عقمت الأيام والليالى عن مثلها؁ عمت الخلائق وخصت المسلمين؁ فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً؁ فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها) انتهى.

ومع أن المغول استطاعوا أن يفنوا الملايين من البشر ويهدموا مئات المدن وآلاف القرى؁ إلا أنهم لم يستطيعوا أن يطفئوا شعله الإسلام التى ضلت مشتعله فى نفوس من بقى من المسلمين الذين استطاعوا وهم مغلوبون أن يصارعوا مبشرى البوذيه والمسيحيه؁ وينافسوهم فى اكتساب قلوب هؤلاء العجر الذين كانوا يدينون بالشامانيه.

والشامانيه عباره

عن دين بدائي من أديان شمالي سيبيريا يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن هذا العالم لا- يستجيب إلا- للشاهان، وهو كاهن يستخدم السحر لمعالجه المرضى ولكشف المخبأ ولليسطره على الأحداث، والشامانيه تعتبر أيضاً دين بعض الطوائف من هنود أمريكا الحمر.

وما هي إلا سنوات حافله بالمساجلات والمناقشات الدينيه بين أنصار تلك الديانات حتى استطاع أولئك الدعاه القله الذين كسر المغول شوكتهم وأزالوا كيانهم، أن يجذبوا إلى حظيره الإسلام أولئك الفاتحين الجدد، محطمين بذلك كل التهم والأباطيل التي يروجها أعداء الإسلام، من أنه دين انتشر وقام على السيف.

انتهى ما في كتاب (ظاهره انتشار الإسلام).

أقول: ويؤيد ما ذكره من عدم حس الانتقام عند المسلمين، أن الرسول (صلى الله عليه وآله) أدبهم على ذلك، كما فعله هو في حروبه وغير حروبه مع أعدائه، وإليك بعض الروايات في ذلك، منقوله عن الوسائل والمستدرک:

((الحروب والسيره النبويه العطره))

((الحروب والسيره النبويه العطره))

فعن أبي حمزه الثمالي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه، ثم يقول: سيروا باسم الله، وبالله وفي سبيل الله وعلى مله رسول الله، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأه، ولا تقطعوا شجراً، إلا أن تضطروا إليها، وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظرا إلى أحد من المشركين وهو جار حتى يسمع كلام الله، فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن أبي فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله» (١).

وعن مسعده بن صدقه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

ص: ٧٦

«كان إذا بعث أميراً له على سريه، أمره بتقوى الله عز وجل في خاصه نفسه، ثم في أصحابه عامه، ثم يقول: اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا- تغدروا، ولا- تغلوا، ولا- تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا متبتلاً في شاهق، ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجره مثمره، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرن لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم ما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله، وإذا لقيتم عدواً للمسلمين أَدْعُوهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، ادعوهم إلى الإسلام فإن دخلوا فيه فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وادعوهم إلى الهجره بعد الإسلام فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن أبوا أن يهاجروا واختاروا ديارهم وأبوا أن يدخلوا في دار هجره كانوا بمنزله أعراب المؤمنين، يجرى عليهم ما يجرى على أعراب المؤمنين، ولا يجرى لهم في الفء ولا في القسمه شيئاً إلا أن يهاجروا في سبيل الله، فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عز وجل عليهم» (١)

الحديث.

وفي حديث مالك بن أعين، قال: حرض أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس في صفين، فقال: «إن الله عز وجل قد دلکم على تجاره تنجيکم من عذاب أليم، ويشرف بکم على الخير: الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله، وجعل ثوابه مغفره للذنوب، ومساكن طيبه في جنات عدن، وقال عز وجل: (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (٢)، فسوا صفوفکم كالبنیان المرصوص» إلى

ص: ٧٧

١- .

٢- سورة الصف: ٤.

أن قال (عليه السلام): «ولا تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رجال القوم فلا تهتكوا سترًا، ولا تدخلوا دارًا، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأه بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسبين أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ناقصات القوى والأنفس والعقول، وقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة فيعير بها وعقبه من بعده» (١).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) أنه سار في أهل الجمل لما قتل طلحة والزبير، وقبض على عائشه، وانهزم أصحاب الجمل، هكذا نادى مناديه: «لا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مدبراً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن»، ثم دعا ببغله رسول الله (صلى الله عليه وآله) الشهباء فركبها، ثم قال: «تعال يا فلان، وتعال يا فلان»، حتى جمع إليه زهاء ستين شيخاً، كلهم من همدان، قد شكوا الأترسه، وتقلدوا السيوف، ولبسوا المغافر، فساروا هم حوله حتى انتهى بهم إلى دار عظيمه، فاستفتح، ففتح له فإذا هو بنساء تبكين بفناء الدار، فلما نظرن إليه صحن صيحه واحده وقلن: هذا قاتل الأحبه، فلم يقل لهن شيئاً وسأل عن حجره عائشه، ففتح له بابها، ودخل وسمع بينهما كلام شبيه بالمعاذير، لا والله وبلى والله، ثم إنه (عليه السلام) خرج فنظر إلى امرأه فقال لها: «إلى يا صفيه»، فأتته مسرعه، فقال: «ألا تبعدين هؤلاء النساء يزعمن أنى قاتل الأحبه، ولو كنت قاتل الأحبه لقتلت من فى هذه الحجره، ومن فى هذه، ومن فى هذه»، وأوماً (عليه السلام) بيده إلى ثلاث حجر، فذهبت إليهن، فما بقيت فى الدار صائحه إلا سكنت، ولا قائمه إلا قعدت، قال

ص: ٧٨

الأصمغ، وهو صاحب الحديث: وكان في إحدى الحجرات عائشه ومن معها من خاصتها، وفي الأخرى مروان بن الحكم وشباب من قريش، وفي الأخرى عبد الله بن الزبير وأهله، فقبل للأصمغ: فهلا بسطتم أيديكم على هؤلاء، أليس هؤلاء كانوا أصحاب القرحة، فلم استبقيتموهم، قال: قد ضربنا بأيدينا إلى قوائم سيوفنا، وحددنا أبصارنا نحوه لكي يأمرنا فيهم بأمر، فما فعل وواسعهم عفواً (١)، انتهى.

والكلام في هذا الباب طويل، وإنما اكتفينا منه بهذا القدر للإلماع إلى لزوم تبني الدولة الإسلامية وقبلها التيار الإسلامي اللاعنفي حتى في حال السيطره والقوه والمنعه.

((اللاعنف أقوى تأثيراً))

((اللاعنف أقوى تأثيراً))

ولا يخفى أن سلاح اللاعنف أمضى من سلاح العنف، فكما أن الروح أقوى من الجسد فكذلك اللاعنف، لأنه سلاح الروح، ولذا فهو أقوى من سلاح الجسد الذي هو من الماده، ولهذا السبب أسقط لا عنف إبراهيم (عليه السلام) عنف نمرود، ولا عنف موسى (عليه السلام) عنف فرعون، ولا عنف عيسى (عليه السلام) عنف هيردوس، ولا عنف الرسول (صلى الله عليه وآله) عنف صناديد المشركين، إلى غير ذلك.

وإذا تمكن الإنسان من سلاح اللاعنف لابد وأن يخضع له عدوه مهما كان قوياً وعاتياً، ولعله لذا يسمى مثل ذلك بالتواضع من باب التفاعل، حيث إنه بمجرد أن وضع الإنسان نفسه أمام الآخرين يضعون هم أنفسهم أمامه، فيسمى بالتواضع وهو أبلغ من باب المفاعله، فضارب معناه ضرب أحدهما الآخر فضربه الآخر، أما تضارب فمعناه أن كليهما تقابلا بالضرب في وقت واحد، وفي دعاء الكميل: «وفي جميع الأحوال متواضعاً» (٢)، ولهذا

ص: ٧٩

١- .

٢- .

السبب نرى أن عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام) يأمر بتقديم الطرف الأيسر من الوجه إلى الصافع خده الأيمن، فإنه لم يرد بذلك تشجيع الظالم، بل يريد سحب الظالم إلى دائره العدل والفضيله، حيث إن مثل هذا العمل يوجب فى نفس الصافع عاصفه قويه من الهيجان إلى جانب المصفوع، وينتهى إلى تواضع الظالم أمام المظلوم، ويا لها من حكمه متعالیه أن يتمكن الإنسان من الانتصار الهنيء المستمر بسبب معاناه قليله، فيسحب الخصم اللد إلى جانب مبادئه، وقد ذكرنا فى كتاب (إلى حكم الإسلام) جملة بهذا الصدد نذكرها هنا تمييزاً للفائده:

... واللاعنف هو ثالث الأثافي التي تبنى عليه الدعوه إلى حكم إسلامي، وهذا أيضاً فى مكانه بالغه الأهميه، واللاعنف يحتاج إلى نفس قويه جداً تتلقى الصدمه بكل رحابه ولا- تردها وإن سمحت الفرصه، واللاعنف يتجلى فى كل من اليد واللسان والقلب، وأحدها أسهل من الآخر، فاللاعنف فى اليد أسهل من اللاعنّف فى اللسان، واللاعنف فى اللسان أسهل منه فى القلب، ومعنى اللاعنّف أن يعالج الإنسان الأشياء سواء كان بناءً أو هدماً بكل لين ورفق حتى لا يتأذى أحد من العلاج، فهو بمثابة البلمس الذى يوضع على الجسم المتألم حتى يطيب، أما اللاعنّف فى اليد، فهو أن لا يمد الإنسان يده نحو الإيذاء ولو بالنسبه إلى أقوى خصومه، ولو كان له رد الاعتداء، قال سبحانه: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى) (١٢)، فلا يلطم خصمه إن لطمه، ولا يضربه إن ضربه، ولا يجر عليه آله ناريه أو خشبه أو ما أشبه.

نعم ليس من معنى اللاعنّف أن لا يقى الإنسان جسمه من الصدمه الموجهه إليه، فهو وقايه لا عنف، والوقايه من اللاعنّف، وهذا اللاعنّف اليدوى ضروره محتمه بالنسبه إلى من لا قوه له لنجاح الدعوه، وقد كان هذا

ص: ٨٠

سبيل كل مصلح عظيم أو صاحب مبدأ عاقل، ففي تعليم عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام) كما في الأحاديث المرويه عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أن لا يرد لطمه بلطمه، بل إذا لطم على خده الأيمن فليأخذ خده الأيسر استعداداً للطمه الثانيه.

((إشكال وجواب))

((إشكال وجواب))

هنا ينبرى أناس ليقولوا: إن ذا مما يجرؤ المجرم.

والجواب: إن ذا مما يردع المجرم، أرأيت أى عكس عمل ينشأ هذه الحاله فى نفوس ألد الخصماء، تصور أنك ضربت شخصاً ضربه، فقال بكل رحابه: وإن شئت ضربتني ضربه أخرى، فأى انفعال نفسانى يحدث هذا الكلام خصوصاً إذا تبعه الاستعداد لتلقى ضربه أخرى فى نفسك أنت أيها الضارب.

إن من يستشکل على هذه الحكمة البالغه ليس عليه إلا من يقيس حاله فى الاعتداء عليه بحال عيسى (عليه السلام) العظيم الذى أحاط به الأعداء، وكان لا بد له من إنجاز دعوته.

ودعنا عن عيسى (عليه الصلاة والسلام) فما تقول فى نبى الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله) هل كان يرد الإيذاء فى مكه، إن التاريخ يشهد بأنه كان يتجرع الاعتداءات اليدويه بكل رحابه، فحين كان أبو لهب يحصبه بالحجاره، وأم جميل تلقى فى طريقه الأشواك، وكافر آخر يفرغ على رأسه الكريم سلا الشاه وهو فى الصلاه، ومشرك يبصق فى وجهه الطاهر، وزائغ يلقي القذاره فى طعامه، ومولى أبى جهل يشج رأسه بقوس، وفلان وفلان، كان يقول: «اللهم أهد قومى فإنهم لا يعملون» (1)، وهكذا كان نوح ولوط وإبراهيم وإسماعيل (عليهم السلام)، فهل سمعت أن نوحاً (عليه السلام) رفع يده ليضرب من كان يضربه حتى يغمى عليه، أو هل وجدت فى تاريخ

ص: ٨١

أن لوطاً (عليه السلام) رد اعتداء قومه باليد، أو هل قرأت أن إبراهيم (عليه السلام) رد لطمه أبيه آزر بلطمه مماثله، أو هل رأيت أن إسماعيل (عليه السلام) صادق الوعد رفع يده على من كشط فروه رأسه، إلى غيرهم وغيرهم، إن ذلك ليس إلا لأن الدعوه تحتاج إلى إتباع سبيل اللاعنف الذى أول مظهره فى اليد.

واللاعنف اليدوى سلاح يجلب إلى الداعى النفوس، ويؤلب على أعدائه الناس، أرأيت لو ضرب شخص إنساناً آخر بمحضر منك ثم لم يرد المضروب الاعتداء فمع من يميل قلبك، إن الميل إلى المظلوم حقيقه كونه اتخذها المصلحون العظام لوصول سفينتهم إلى شاطئ الإصلاح.

ويحكى عن غاندى الذى هو أحد محررى الهند قوله: (تعلمت من الحسين عليه السلام أن أكون مظلوماً فانتصر).

إن عدم رد الاعتداء للمصلح لا- أنه يبعث بالرحمه فى قلوب سائر الناس فقط، بل يبعث بالرحمه فى قلب المعتدى أيضاً، فإذا اعتدى إنسان على آخر فلم يرد المعتدى عليه كيلاً بالمثل انقلب قلب المعتدى ليحمل شفقه ورحمه بعد ما كان مليئاً بالغضب والعنف، وقد يخلط أناس بين آيتى: (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) (١) وآيه (خذ العفو) (٢) مع أن لكل منهما مجالاً غير مجال الآخر، فيقول: كيف يمكن أن يؤمر الإنسان بعدم رد الاعتداء فإن ذلك مما يسبب غلواء المعتدين أو فسادهم أكثر فأكثر، ويستشهد بالبيت الفارسى الذى ترجمته (إن الرحمه على النمر الحاد الأنياب) (ظلم على الأغنام).

لكن لكل شىء مجال، فالدعوه تحتاج إلى قدر كبير من السلم، وبالأخص إذا قاومتها قوى هائله، بينما لا تملك الدعوه شيئاً إلا الحق، وفى هذا المجال يصدق

ص: ٨٢

١- سورة البقره: ١٩٤.

٢- سورة الأعراف: ١٩٩.

إذا لم تجد غير الأسنه مركباً

فما حيله المضطر إلا ركوبها

أرأيت لو اعتدى على صاحب الدعوه إنسان يملك سيفاً، فإذا رد الاعتداء بالمثل أو أقل من المثل أليس يجر ذلك إلى أن يرفع صاحب السيف سيفه ليضرب الداعى، وأيهما تراه خيراً، أن يتلقى الصدمه إبقاءً على روحه ودعوته، أم يردّها ليزهق روحه وتبطل دعوته، ولذا نرى نبى الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله) كان يصبر باللاًـ وخباباً وسميه وعماراً وغيرهم ممن ترد عليهم الصدمات المرهقه من الكفار، ليس ذلك لأن رد الاعتداء غير صحيح، بل ذلك لأن رد الاعتداد لصاحب الدعوه ينقض الغرض.

ولذا حين قبض الإسلام على السيف وضع حداً للفوضى والاعتداءات الوحشيه وإن تبرع بالعفو فى كثير من الأحيان حين لم يكن ضاراً، وقد تقدم أن ذلك من باب الأهم والمهم، وهب أنك فى دعوى مع خصم مشاكس تريد إنقاذ دارك من يده واعتدى عليك، ثم علمت أنه لو رددته سبب انهيار الدعوى واستملك الدار، فهل من العقل أن تملك أعصابك بأن لا ترفع إليه يداً أم الأصوب أن ترد الاعتداء، إن العقل والمنطق يؤيدان الأول تأييداً مطلقاً، وهذا وجه الجمع بين آيتي: ((لا إكراه فى الدين)) (١)، و((براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)) (٢)، إلى سائر آيات القتال.

إن المبدأ حين لا يحمل قوه أو يريد تقدماً يكون من السخف أن يكره أحداً على اعتناق المبدأ، فإنه يسبب الفشل الذريع، أما إذا حمل القوه أو اشتغل بالأهم فمن السخف حينئذ أن يهمل المفسد يعيث فى الأرض فساداً وطغياناً، وهناك تفسير آخر للآيه الكريمة.

١- سورة البقره: ٢٥٦.

٢- سورة التوبه: ١.

أما اللاعنف اللساني فهو أصعب بكثير من اللاعنف اليدوي، ولذا ترى كثيراً ما لا يستعد الإنسان على أن يضرب أحداً أو يطلق عليه النار، بينما يستعد أن يسلقه بلسان حاد ويهمزه ويلمزه، وذلك لأن اللسان لا عواقب له في الدنيا غالباً حتى يخاف الإنسان من شروره إذا أطلقه بالسباب والطعن وما إليهما، بينما اليد لها من العواقب الوخيمة الشيء الكثير.

أرأيت في كثير من الأحيان يطلق الرجل لسانه على الجهاز الحاكم بينما إذا وقع في مخالاب الشرطه فانقض عليه ضرباً ولطماً لا يرد الاعتداء.

ولا يخفى أنه فرق بين عدم الاعتداء تحفظاً على المبدأ والدعوه وبين عدم الاعتداء خوفاً من الاعتداء الأكثر، فإن الثاني شأن كل ضعيف في مخالاب قوى إلا أن يكون بحيث لا يتمالك على أعصابه، وإلا فأى عاقل يقدم على ضرر أكثر بمجرد شهوه الانتقام، وهذا ما يمارسه الإنسان في أيدي الشرطه بخلاف الأول، فإنه فضيله نفسه يركبها الإنسان خوفاً من انهيار الدعوه لا خوفاً من العقاب.

فاللاعنفى أقوى نفساً، وأربط جأشاً، وأرفع ضميراً ممن ينقض عليه ضرباً وصدمةً، بخلاف الضعيف في مخالاب القوى.

وعلى أى حال، فاللاعنف اللساني هو أن يزم الإنسان لسانه ويلجم كلامه عن النيل من المعتدى، سواء كان معتدياً بيد أو لسان، وهو فضيله كبرى يلزم على أصحاب الدعوه أن يمارسوها وإن خشن مركبه، وصعب قياده.

وأقوى من جميع الذين يردون الاعتداء، من إذا كيل له السباب والتهم التجأ إلى الصمت والتنكب عن طريق المقابله تحفظاً على الدعوه أن تتقدم، والإسلام أن يعلو، وأما قول الشاعر:

لسانك لا تبدى به سوء امرئ

فكلك سوءات وللناس ألسن

وعينك إن أهدت إليك معايًا

من الناس قل يا عين للناس أعين

فهو يرمى إلى غير اللاعنفي، وبينه وبين اللاعنفي بون شاسع.

وفي القرآن الحكيم: (اذْفَعِ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (١)، إنه حظ، يسميه إله الكون حظاً عظيماً، إذ كيف يقدر إنسان أن يرد السب بالمدح، والقدح بالثناء، والتنقيص بالإطراء إلا إذا كان صابراً، وإلا إذا كان ذا حظ عظيم.

وفي دعاء الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) المعروف بدعاء مكارم الأخلاق: (اللهم صل على محمد وآل محمد وسددني لأمن أعارض من غشني بالنصح، وأجزى من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنه، وأغضبي عن السيئه) (٢).

فالمسلم بما هو مسلم ينتدبه الإسلام إلى أن ينصح من غشه، ويبر من هجره، ويبذل لمن حرمه، ويصل من قطعه، ويشن على من اغتابه، فكيف بالداعى المصلح الذي يريد تطهير بلاد الإسلام من الاستعمار الفكري والعسكري والاقتصادى والثقافى وغير ذلك، فإنه يحتاج إلى هذا السلاح أكثر من كل أحد، وهذا هو السلاح الوحيد للأعزل فى قبال المتسلحين الذين أغرقوا أنفسهم فى الحديد والنار والذره والهيدروجين.

ويروى عن عيسى المسيح (عليه الصلاة والسلام) أنه كان يسيح مع بعض تلاميذه، فمروا بجماعه من اليهود فقالوا فيه سوءاً، فقال فيهم خيراً، قال بعض التلاميذ: يا روح الله إنهم يسبونك فتقول فيهم خيراً، قال المسيح (عليه السلام): (نعم كل ينفق مما عنده) أعظم

ص: ٨٥

١- سورة فصلت: ٣٤ _ ٣٥.

٢- .

بها من كلمه، وأكبر بها من حكمه، فمن امتلأ سباً وقذاره لا يخرج من فيه إلا السب والوقيعه، أما من انطوى على الخير والحكمه والفضيله والرفعه فلا يخرج من فيه إلا اللطف والثناء والمدح والإطراء.

هكذا كانت تعاليم الأنبياء، من غير فرق بين المسيح والكليم ومحمد وإبراهيم وسائر الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)، وبهذه الخطه نجحت دعوات الإصلاح، وشقت طريقها في مزدحم الماده والجاه والقوه والسلطه، لتبقى خالده خلود الإنسان، حيث تتبخر الأموال والسلطات، وإنها وحدها مصباح الإنسان الوضاء الذى ينير الطريق أمامه فى ظلمات الحياه الحالكة التى تنشرها الجبابره والطغاه ظلماً واعتداءً.

ولولا تسليح الأنبياء ومن إليهم بهذا السلاح كانت الدعوه جديره بأن تقبر فى مهدها على يد أصحاب الماده والقوه.

وانظر إلى الإمام الحسن (عليه الصلاه والسلام) فى قصه معروفه أن شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه ويلعن أباه (عليهما الصلاه والسلام) والحسن (عليه السلام) لا يرد عليه، فلما فرغ أقبل الإمام (عليه السلام) عليه فسلم عليه وضحك فى وجهه وقال: «أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عارياً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجه قضيناها لك»، فلما سمع الرجل كلامه بكى وقال: أشهد أنك خليفه الله فى أرضه (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١).

والقصص المماثله لرد الاعتداء بالإحسان فى سيره الأنبياء والأئمه (عليهم السلام)

ص: ٨٦

أكثر من تحصى فى هذه العجالة، ولا نزال نرى فى القرآن الحكيم خير دعوه علميه وعمليه إلى اللاعنف والسلم:

قال سبحانه: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) (١).

وقال: ((وَإِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) (٢).

وقال: ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) (٣).

وقال: ((فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) (٤).

وقال: ((خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)) (٥).

وقال: ((وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)) (٦).

وقال: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)) (٧).

وقال: ((وَلْيَغْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)) (٨).

إلى غيرها وغيرها، من الآيات والروايات.

((اللاعنف القلبي))

((اللاعنف القلبي))

أما الثالث: وهو اللاعنف القلبي، فهو أصعب الأقسام الثلاثة: اللاعنف يداً ولساناً وقلباً.

ومعنى ذلك أن لا- يملأ- الإنسان الداعى قلبه بالعنف بالنسبة إلى خصومه ومناوئيه، وكثيراً ما يسرى العنف القلبي إلى ملامح الوجه وحركات الأعصاب، فما نوى امرؤ شيئاً إلا- ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه، كما فى الحديث (٩)، فليواظب الإنسان على أن لا يزاول العنف لساناً ولا يداً، ولا يزاول العنف قلباً، فلا يكون مصداقاً لقول الشاعر:

أما اللسان فمطلى به عسل

أما القلوب زنابير وحيات

ثم هل يتمكن عنيف القلب أن يخفى عنفه أبداً، كلا بل لا بد

ص: ٨٧

- ٢- سورة الفرقان: ٦٣.
- ٣- سورة العنكبوت: ٤٦.
- ٤- سورة آل عمران: ٦٤.
- ٥- سورة الأعراف: ١٩٩.
- ٦- سورة الأنعام: ١٠٨.
- ٧- سورة آل عمران: ١٥٩.
- ٨- سورة النور: ٢٢.
- ٩- .

وأن يظهر عنفه ولو في حاله غير اعتياديه، كما يلمح إليه الشاعر:

للسر نافذتان السكر والغضب

فإن إخفاء ما في القلب من المستحيل عادة على حد قول الشاعر:

ومهما يكن عند امرئ من خليقه

وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ص: ٨٨

((الاهتمام بالشباب))

(مسألة): من أهم ما يلزم على الدولة الإسلامية، والتيار الإسلامي قبل قيام الدولة: الاهتمام بالشباب، فإنهم على ما ذكره بعض علماء الاجتماع ثلث المجتمع غالباً، ونشاطهم أكثر من الثلث، لحيويتهم واندفاعهم المتزايد، مما ليس للإنسان تلك الحالة قبل سن الشباب ولا بعده، فالمهم من العاشرة تقريباً إلى فوق الثلاثين، بل إلى ما يقارب الأربعين، وترك هؤلاء يؤدي إلى الكوارث المتعددة:

الأول: ضياع هذه الطاقة الهائلة بنفسها، وفي الحديث: «لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن حينا أهل البيت» (١).

الثاني: عدم استفادة المجتمع من مواهبهم وطاقاتهم الكامنة فيهم.

الثالث: انحرافهم إلى الهدم، إما بالفساد بسبب الأعمال اللاأخلاقية ونحوها مما يعقب الأعراض والأمراض، واستعمال المواد المخدرة، والانجذاب إلى الأحزاب الشرقية والغربية، بما فيها من الأديان المزيفة التي صنعها المستعمرون في بلاد الإسلام، وبالنتيجة تكون آله هدم الإسلام والمسلمين وبلاد الإسلام في سبيل المستعمر الشرقي أو الغربي.

ولذا فمن الواجب الاهتمام بشأن الشباب من البنين والبنات، اهتماماً متزايداً بإعطائهم حاجاتهم، وتوجيه طاقاتهم إلى حيث صلاح أنفسهم، وصلاح بلادهم، وصلاح مجتمعهم، وذلك ليس بالشىء اليسير، بل بحاجة إلى عشرات المناهج البناءة وانعقاد

المؤتمرات الاستشاريه وما إلى ذلك، وذلك ممكن باتباع الأمور التاليه:

أولاً: تكوين الأحزاب الإسلاميه التابعه للمراجع، فيكون لكل مرجع حزب من شباب مقلديه ومريديه، ويكون لدى المرجع جماعه من المثقفين الدينيين والزمنيين الثقات النزيبين ليأخذوا زمام أولئك الشباب الذين ينخرطون في منظمه المرجع، ويكون شأن أولئك الثقات لأمر الشباب إداره هذه الجبهه الخاصه.

وهذا شيء غير سائر شؤون المرجع، حيث لكل مرجع جماعات يحفون به لإداره شؤون المسلمين، بعضهم لأجل إداره الحوزه العلميه، وبعضهم لأجل إداره شؤون الوكلاء، وبعضهم لأجل جواب المسائل الوارده، وبعضهم لأجل أمور المؤسسات الدينيه كالمساجد والمدارس وما أشبهه، وبعضهم لأجل الأمور الماليه وهكذا، فيكون هذا البعض المقترح لأجل إداره أمور الشباب، ويتعاون بعض هذه الجماعات مع بعض.

ومن الواضح أن الشاب إذا رأى طعاماً طيباً لا يجنح إلى الطعام الآسن الذي يهيئه له شبكات الغرب والشرق والفساد، شأنه شأن كل جائع حيث يتناول الفاسد إذا لم يجد الطيب من الطعام والشراب، وهذا الأمر الأول يكون عماداً للأمور التاليه التي نذكرها.

ثانياً: تهيئه المكتبات والكتب اللائقه بشأن الشباب حسب مختلف مستوياتهم العمريه والثقافيه والاجتماعيه وهكذا، وكذلك بالنسبه إلى سائر أنواع الثقافه من المنابر والإذاعات والتلفزيونات والجرائد والمجلات والأشرطه والفيديوات وما أشبه ذلك.

ثالثاً: إعطاؤهم الحاجات الثقافيه من الروضه إلى الجامعه في

مختلف شؤونها وخصوصياتها.

رابعاً: إعطاء من يريد العمل منهم ولا مال له رأس المال المناسب له ليقوم بالاكْتساب والاتجار والامْتِهان.

خامساً: إعطاؤهم حاجاتهم الجسديه من الزوج أو الزوجه بالنسبه إلى البنين والبنات، ودار السكنى ومحل الكسب وما أشبه ذلك.

سادساً: عقد التنظيمات لهم من قبيل اتحاد الطلبة فى المدارس، واتحاد المحامين، والأطباء، والحقوقيين، والنقابات العماليه، وما أشبه ذلك.

سابعاً: توفير مكانات العباده والنشاط الدينى لهم من قبيل المساجد والحسينيات ونحوها.

ثامناً: إعطاؤهم الحاجات الصحيه من قبيل المستوصفات والمستشفيات والصيدليات، وهكذا إعطاؤهم دور الرضاعه والحضانه ودور الولاده وما أشبه هذه الأمور.

تاسعاً: جعل أفراد لحل مشاكلهم العائليه والاجتماعيه والسياسيه والاقتصاديه وغيرها.

عاشراً: تعليمهم الكتاب والحكمه، وتزكيتهم من المهد إلى اللحد كما فى الحديث، فإن الإشراف على الشباب يستلزم ذلك.

فلا- يقال: إن قبل حاله الشباب أو بعدها لا شأن للمرجع بهم بالنسبه إلى هذا البُعد، لوضوح أن الشاب تحت التنظيم المرجعى لابد أن يتزوج، وأن يولد، وأن يهرم، وأن يقبر، وفى قبال هذه الإعطاءات

للشباب يلزم على المرجع الأخذ منهم، فإن كل واجب في قبال حق، وكل حق في قبال واجب، ويكون ذلك بهذه الأمور:

أولاً: تنظيم شؤون عباداتهم من قيامهم بالصلوات والحج والصيام وغير ذلك.

ثانياً: إلزام من كان قابلاً منهم بأخذ القلم والكتابه لدفع الإسلام والمسلمين إلى الأمام، فإذا تدرّبوا وألّفوا نفعوا وانتفعوا هم أيضاً.

ثالثاً: إلزامهم بصعود المنابر وجعلهم وكلاء وما أشبه لمن كان قابلاً منهم.

رابعاً: الاستفادة من حقوقهم الشرعيه كالخمس والزكاه وما أشبه مما يتفق نادراً، كالكفارات والندور والمظالم المردوده ومجهول المالك وما أشبه هذه الأمور، وصرفها في مصاريفها الشرعيه والتي منها بعض أمور الشباب أيضاً.

خامساً: صرف نشاطاتهم في البناء وال عمران لأجل أنفسهم ولأجل الآخرين.

سادساً: الاستفادة من عطاءاتهم كالتب والهندسه والحقوق وما إلى ذلك لنفع المسلمين، خصوصاً الفقراء والمعوزين منهم، ومن المعلوم أن الشباب جزء من هؤلاء أيضاً.

سابعاً: إدخالهم في الحوزات العلميه لأجل الاستفادة منهم في الأمور الدينيه بما للكلمه من معنى وسيع.

ثامناً: صب نشاطاتهم في مختلف مناحى الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسيه والتربويه والدينيه بالمعنى الأخص، وغيرها كالأحتفالات ومراسيم الأحزان الدينيه والحج ورمضان وما أشبه ذلك.

تاسعاً: إدخالهم في مختلف المراكز كالشورى من القرية إلى رئاسه الدوله مروراً بالشورى فى المعمل والمصنع والمطار والقطار والمستشفيات وغيرها.

عاشراً: تكليفهم برعايه مختلف المؤسسات المتواجده فى البلاد، دينيه كانت كالمساجد والمدارس والحوزات والمكتبات وما أشبه، أو سائر أقسام المؤسسات الاجتماعيه ونحوها.

وبذلك يكون الشباب آله بناء معنوى ومادى، لا آله هدم ولا طاقة حياديه عن الأمرين، وبذلك يسحب البساط تلقائياً عن تلك الأنظمه الفاسده الشرقيه والغريبه، وعن سائر المفاسد التى يقع فيها الشباب، ولو لم يكن داخلاً فى أحزاب فاسده، كما نجد كل ذلك فى كل بلاد الإسلام من غير استثناء.

((مما يحتاجه الشباب))

((مما يحتاجه الشباب))

ومن الغنى عن البيان احتياج الشباب إلى أمثال الدورات الرياضيه والمخيمات الكشفيه وما أشبه ذلك.

كما أن من غير المحتاج إلى البيان أيضاً لزوم اهتمام التنظيمات المرجعيه لترفيه مستوى الشباب إلى الآفاق الرفيعه دون المستويات الواطئه، فإنها وإن احتاجت إلى الملئ إلا- أن هذه المستويات غالباً تملأ من جهه قلبه همه كثير من الناس أو عدم وجدانهم المؤهلات الكافيه، فاللازم على المرجعيه المتوليئه لشؤون الشباب الاهتمام بجعل الشباب مثقفين وأصحاب مهن رفيعه إلى غير ذلك، فإن الاحتياج

الاجتماعى وإن كان إلى القسمين إلا أن الاحتياج إلى القسم الأول أشد وأكثر وعلى أكتافهم يمكن سد النواقص والسير بالأمه إلى تعالى والترفع، حتى يصل المسلمون إلى مقبض الزمام، كما كانوا فى أول الإسلام بإذن الله سبحانه.

ثم لا يخفى أن جمع الشباب يحتاج إلى أكبر قدر من الصبر والعلم، والتقوى والورع، والأخلاق الفاضله، والصبر جزء مهم بالنسبه إلى كل عمل، خصوصاً بالنسبه إلى هذا العمل الشاق، فإن الصبر مفتاح الفرج، والصبر يحتاج إلى إرادته قويه وعزيمه حديدية {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (١)، وهل يتمكن كل أحد من الصبر، كلا فالصبر أمر من العلقم، وإن أورث عاقبه أحلى من العسل، وبالصبر يتقدم كل متقدم من كل صنّف وجهه، سواء كان عالماً بارعاً، أو شاعراً قديراً، أو خطيباً مصقفاً، أو مهندساً أو طبيباً أو فلكياً أو مرجع تقليد أو غيرهم، فإذا كانت الأعمال الفرديه تحتاج إلى الصبر فكيف بالأعمال الاجتماعيه، خصوصاً فى هذا الأمر الوعر جداً، حيث شباك الشرق والغرب بكل أساليبها ومالها ورجالها ودعاياتها تريد الالتفاف حول الشباب، ولذا نرى فى القرآن والسنه تأكيداً بيناً حول الصبر، قال سبحانه: (إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٢).

وقال: (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (٣).

وقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٤).

ومن المعلوم أن المرابطه وتقوى الله أيضاً محتاجان إلى صبر

ص: ٩٤

١- سورة الشورى: ٤٣.

٢- سورة الزمر: ١٠.

٣- سورة البلد: ١٧، سورة النصر: ٣.

٤- سورة آل عمران: ٢٠٠.

متزايد، وقال سبحانه: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ) (١).

وقد قيل لأبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية بماذا ظفرت بالأمر، قال: بالصبر والكتمان، ومساعدته الزمان (٢).

وقد ورد في الحديث: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، وكما لا خير في جسد لا رأس فيه كذلك لا خير في إيمان لا صبر معه» (٣).

وفي صدد ذلك يجب جعل المراكز المرجعية كالوكلاء ونحوهم في كل بلد، بحيث تجمع تلك المراكز شباب كل بلد وقرية، وتربطهم بالخط الإسلامي الصحيح، وبذلك يمكن الوصول إلى الهدف المذكور بإذن الله سبحانه وتعالى، فإن الله سبحانه: ((مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)) (٤). وقد وعد المسلمين النصر على شرط نصرهم الله تعالى، قال سبحانه: ((إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)) (٥)، والله صادق في وعده، فإنه لا يخلف الميعاد.

ومن الواضح أن الجهد الذي تريد جمع الشباب وإدخالهم في الخط الإسلامي تحتاج إلى نوعين من الصبر أساسيين:

صبر الأذى وتكبد المشاق، وصبر على الاستمرار والثبات، وكثيراً ما يتحمل الإنسان أحد الصبرين فيستمر على السير، لكنه لا يصبر على تحمل المشاق، فيقابل الإساءة بمثلاً أو أزيد منها، وبذلك ينفلت الزمام من يده ولا يحصل على النتيجة، والله المستعان في ضبط النفس وتحمل الصبرين إلى الوصول إلى النتيجة.

ص: ٩٥

١- سورة النحل: ١٢٧.

٢-

٣-

٤- سورة النحل: ١٢٨.

٥- سورة محمد: ٧.

((المرأه وتولى الأمور))

((المرأه وتولى الأمور))

(مسأله): حول تولى المرأه شرعاً بحث طويل يحتاج إلى كتاب مستقل، لكن نحن فى هذا المقام نذكر بعض الأمر فيه إجمالاً، وهو يشتمل على أمرين:

الأول: الموضوع.

والثانى: الحكم.

أما الأول: فلا- إشكال فى أن بعض أمور الدوله من (التولى) مثل الإمارة والرئاسه والقضاء، وبعضها ليس من (التولى) مثل أن تكون مديره مدرسه للبنات، أو مديره التعليم العالى لهن، أو مديره مستشفياتهن، أو مديره شؤونهن.

كما لا إشكال فى كونها إمامه جماعه لهن، أو ما أشبه من الأشغال من هذا القبيل.

وبعضها مشكوك فيه موضوعياً، والمرجع العرف إن كان العرف واحداً، وإن لم يكن عرف أو كان العرف مختلفاً فيه فالمرجع الأصول العمليه حسب الموازين الفقهييه.

وسبب الشك أن الإدارة إذا كانت موكله إليها بنفسها يكون من التولى، وإذا لم يكن كذلك بل هى عضوه فى الإدارة فهل ذلك من التولى أم لا، من جهه انصراف التولى إلى الاستقلال، فإذا قال المولى: عليك أن تطعم فلاناً، انصرف إلى الاستقلال، وهكذا سائر الألفاظ من هذا القبيل، ومن جهه أن العضويه فى شىء عباره أخرى عن كون الإنسان العضو مثل المستقل فى الأمر، كما إذا قال: من قتل مؤمناً، فإنه يشمل الشريك وإن لم يكن مستقلاً.

وأما الثانى: وهو الحكم، فالروايات التى يمكن أن يستدل بها غير واضحه الدلاله، وقد اختلفوا فى الدلاله وعدمها، بالإضافة إلى كونها ضعيفه السند، فلا يبقى إلا الإجماع المدعى، والسيره، والملاك،

والمركز في أذهان المتشرعة.

ولو نوقش في الإجماع حيث إن قليلاً من الفقهاء تعرضوا للإمارة والولاية، وإن تعرض أكثرهم على عدم قضائها مما يستفاد منه الملا-ك، إلا- أن الشهره محققه قطعاً، خصوصاً بين من تعرض له، والشهره تكفى في جبر الأخبار الضعيفه على ما نرى، وإن ناقش في اكتفائها بعض أعلام العصر تبعاً لغيره في أصل كفايتها لجبر الخبر الضعيف السند.

ويدل على ما ذكرناه من الجبر أو يؤيده:

آيه النبأ(١)، إذ الشهره من أقسام التبين، فإنه كلى له مصاديق منها الشهره.

وروايه: «والأشياء كلها على ذلك حتى يستبين أو تقوم به البينه»(٢)، حيث إن الشهره من الاستبانة عرفاً.

ولعل الفرق بين التبين والاستبانة، أن الأول يدل على ما إذا كانت المشقه في تحصيل الظهور لأنه من باب التفاعل، بينما الثانى من باب التدرج في الطلب لأنه من باب الاستفعال.

وروايه: «لا عذر لأحد من مواليها في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا»(٣)، بتقريب أن الوثوق بالمخبر طريقى إلى الوثوق بالخبر، فإذا حصل الوثوق بالخبر ولو من الشهره كفى.

روايه: «خذ بما اشتهر بين أصحابك»(٤)، بقرنيه ذيلها الدال على العليه، فلا- يخص الأمر شهره الروايه، بل يشمل الشهره الفتوائيه أيضاً.

أما العقل، فإنه يرى أن المشهور وإن كان ضعيف الطريق، أولى بالعمل لدى العقلاء من غير المشهور القوى الطريق الضعيف العمل به، مما يصطلح عليه بانكسار الروايه بسبب الشهره، كما هو المتعارف بين العقلاء، فإذا أراد أن يراجعوا الطبيب فرأوا أن هناك طبيياً يزدهم عليه

ص: ٩٧

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

العقلاء لكنه غير حائز على شهادة جامعيه، والآخر حائز لها لكن لا يراجعه العقلاء إلا قليلاً، فمن غير المشكوك فيه لديهم أنهم يراجعون الأول، وكذلك حال المهندس والمحامي والقاضي والخبير في سائر الشؤون الاجتماعيه أو الاقتصاديه أو السياسيه أو الزراعيه أو غيرها، واستقرار سيرتهم على ذلك بدون تغيير الشارع لها، وإلا لوصل إلينا، كاشف عن كونه ممضى من قبله.

والحاصل: إن الشهرة بين من تعرض له على عدم تولى المرأة الأمور الثلاثة المذكوره كافيه في المنع إذا تحقق الموضوع، وإن نوقش في دلالة الآيات وسند الروايات.

ومن الواضح أن عدم توليها هذه الشؤون الثلاثة إذا قورن بتوليها كل الشؤون الأخر غير ما يوجب الاختلاط المحرم، وإعطائهم حقهم في كل الحقول، لا- يوجب نفرتهم عن الإسلام، بل بالعكس، فإنه كما ذكرناه في بعض الكتب أن المرأة في العصر الحاضر بين امرأه تمشى تحت لواء الغرب والشرق اختياراً جهلاً، أو اضطراراً دفعاً، وهما جعلها بضاعه رخيصه وآله شهوه وفساد، ولذا فالمرأه في غايه الانزعاج منهما، وبين من جعلها مكبوتة لا يعطيها حقها من العلم والزواج والمهنه والكرامه الإنسانيه، فهي أيضاً منزعه منهم غايه الانزعاج، فإذا وجد القانون الإسلامي الذي هو وسط بين الأمرين، كما قال سبحانه: ((أُمَّةً وَسَطًا)) (١) ارتاحت، بل المرأة الغربية والشرقيه أيضاً تتمنى أن تكون مثلها.

وعلى كل، فالآيات التي استدلت بها للأمر، هي قوله سبحانه: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ)) (٢).

وقوله سبحانه: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ

ص: ٩٨

١- سورة البقره: ١٤٣.

٢- سورة النساء: ٣٤.

عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ»(١١).

وقوله سبحانه: (أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)(٢).

وقوله تعالى: (وَقَزْنَ فِي يُبُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)(٣).

أما الروايات، فهي ما رواه تحف العقول، مرسلًا عن النبي (صلى الله عليه وآله): «لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأه»(٤).

وفي الخلاف مرسلًا عنه (صلى الله عليه وآله): «لا يفلح قوم وليتهم امرأه»(٥).

وهما كما ترى ضعيفا السند.

وفي الخصال، بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول: «ليس على النساء أذان، ولا- إقامه، ولا- جمعه، ولا جماعه، ولا عياده المريض، ولا اتباع الجنائز، ولا إجهار بالتلبية، ولا الهرولة بين الصفا والمروه، ولا- استلام الحجر الأسود، ولا- دخول الكعبه، ولا- الحلق، إنما يقصرون من شعورهن، ولا تولى المرأه القضاء، ولا تولى المرأه الإمارة، ولا تستشار، ولا تذبح إلا من اضطرار»(٦)، ودالاتها ضعيفه.

ومثلها في الدلالة، ما رواه حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام) في وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «يا علي ليس على النساء جمعه، ولا- جماعه، ولا- أذان، ولا- إقامه، ولا- عياده مريض، ولا اتباع جنازه، ولا هرولة بين الصفا والمروه، ولا استلام الحجر، ولا حلق، ولا تولى القضاء، ولا تستشار»(٧).

ص: ٩٩

١- سورة البقره: ٢٢٨.

٢- سورة الزخرف: ١٨.

٣- سورة الأحزاب: ٣٣.

٤- .

٥- .

٦- .

٧- .

وفى نهج البلاغه: «يأتى على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الماغل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقه فيه غرماً، وصله الرحم مناً، والعباده استطاله على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشوره النساء وإماره الصبيان وتديبر الخصيان»(١).

وجه الدلاله أنه إذا كانت السطنه بمشوره النساء مذمومه، فتفويضها إليهن مطلقاً أولى بالذم، لكن فى الدلاله على المنع تأمل.

وفى (تحف العقول) مرسلاً عن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «إذا كانت أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كانت أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نساءكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»(٢).

وفى (نهج البلاغه) أيضاً: من كتاب على (عليه الصلاه والسلام) إلى ولده الحسن (عليه السلام) قال: «وإياك ومشاوره النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، وأكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب أبقي عليهن، وليس خروجهن بأشد من إدخالك من لا يوثق به عليهن، وإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل، ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانه وليست بقهرمانه، ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها فى أن تشفع لغيرها»(٣).

وفى (نهج البلاغه) أيضاً فى وصيه له (عليه الصلاه والسلام) لعسكره: «ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين

ص: ١٠٠

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .

أمراءكم، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأه فى الجاهليه بالفهر أو الهراوه فيغير بها وعقبه من بعده»(١).

أقول: (الفهر) عبارته عن الحجر الذى يكسر به الجوز أو بمقداره، و(الهراوه) بالكسر العصا أو شبه الدبوس من الخشب، ولعلهما كناية عن ضربها وإيذائها بهذه الأمور كما كانت عادة فى الجاهليه.

وعنه (عليه الصلاة والسلام) كما فى الكافى: «كل امرئ تدبره امرأه فهو ملعون»(٢).

ومن الظاهر أن اللعن بمعنى الابتعاد، ويطلق فى المحرم والمكروه، لأن كل واحد منهما ابتعاد عن الخير، أما أصل الخير أو الخير الكامل مع المنع من نقيضه أو بدونه، ولذا أكثر لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) لمن أكل زاده وحده، ونام فى سطح بغير محجر، أو ركب الفلاة وحده، أو ما أشبه ذلك، وقد ذكرنا تفصيلاً حول اللعن فى كتابى (البيع) و(الآداب والسنن)، ولم أجد من الفقهاء من حرّم تدبير أمور الزوج بسبب زوجته، أو الأب بسبب ابنته، أو الأخ بسبب أخته، أو ما أشبه ذلك.

وعن ابن عباس، كما فى (مستدرک الوسائل): «فناديت يا حواء»، إلى أن قال: «الآن اخرجى أبداً فقد جعلتك ناقصه العقل والدين والميراث والشهادة»، إلى أن قال: «ولم أجعل منكن حاكماً، ولا أبعث منكن نبياً».

وعن اختصاص المفيد، عن ابن عباس، فى مسائل عبد الله بن سلام للنبي (صلى الله عليه وآله) قال: فأخبرنى عن آدم خلق من

ص: ١٠١

١-.

٢-.

حواء، أو حواء خلقت من آدم، قال: «بل خلقت حواء من آدم، ولو أن آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء ولم يكن بيد الرجال»، قال: من كله أو من بعضه، قال: «بل من بعضه (١)»، ولو خلقت حواء من كله لجاز القضاء في النساء كما يجوز في الرجال (٢).

وفي (نهج البلاغه) بعد حرب الجمل قال (عليه الصلاة والسلام): «معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحفظ، نواقص العقول، فأما نقصان إيمانهن ففقدوهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حفظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر، ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر» (٣).

وقد ذكرنا معنى هذا الحديث في بعض الكتب الإسلامية، مما لا حاجة إلى تكراره.

هذا ما وجدته من الروايات في هذه العجالة، لكنها ضعيفه الدلالة أو السند.

ثم إنها مخصصة بما عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) كما في (كنز الكراچكى)، قال: «إياك ومشاوره النساء، إلا من جربت بكمال عقل، فإن رأيهن يجر إلى الأفن، وعزمهن إلى وهن» (٤).

وقد يستدل أيضاً بخبر أبي خديجه، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا، فاجعلوه بينكم، فإنى قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه» (٥).

لوجود لفظ (الرجل)، إلا أن يقال: إن

ص: ١٠٢

١- أى من بعض طينه.

٢- .

٣- .

٤- .

٥- .

المطلب مصبوب لنفى المحاكمه إلى أهل الجور، فلا دلالة فى الذيل.

ومنه يعلم حال كونها عضوه فى جماعه القضاء أو جماعه الأمراء الذين يعملون بالشورى، فهل الأدله منصرفه إلى الاستقلال أو تشمل العضو أيضاً.

وهكذا حال ما إذا كانت قاضيه للنساء فقط، كما أنها تكون إمامه للنساء حسب ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) حيث جعل أم ورقه إمامه للنساء.

وعن الصادق (عليه الصلاة والسلام): «لا تؤم المرأة الرجال وتصلى بالنساء»⁽¹⁾.

وتفصيل المسألة فى (الفقه) كتاب الجماعه.

لكن ربما يقال: كما أن غير العادل لا يكون إماماً لغير العادل ولا قاضياً ومجتهداً له، كذلك لا تصح أن تكون المرأة قاضيه للنساء، ولا أن تكون عضوه فى شورى القضاء، كما أنه كذلك فى عضويه غير العادل، أو المجتهد فى شورى المرجعيه.

وعلى أى حال، فقد عرفت الشهره المحققه، ولو اختلف فى شىء من الصغريات فالمرجع شورى الفقهاء.

ص: ١٠٣

((مراعاة حال المرأة))

(مسأله): من اللازم على الدوله الإسلاميه، والتيار الإسلامى قبلها: مراعاة حال المرأة، فإنها نصف المجتمع نصفاً عرفياً لا نصفاً هندسياً، إذ الأغلب زياده المرأة على الرجل كما دل على ذلك بعض الإحصاءات.

وقد خص القرآن الحكيم والسنة المطهره آيات وروايات حول المرأة، واهتم الإسلام بها كما اهتم بالرجل.

قال سبحانه: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصِدِّقِينَ وَالْمُتَصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)(١).

وقال سبحانه: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)(٢).

وقال سبحانه: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)(٣).

وقال سبحانه: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)(٤).

وقال سبحانه: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)(٥).

((إساءه غير الإسلام إلى المرأة))

وقد أساء الغرب والشرق بأنظمتها الحديثه إلى المرأة، كما أساء العالم قبل الإسلام إليها.

أما إساءه العالم السابق للمرأة فليس المهم فى كلامنا ذلك، فهو أمر قد انقضى ومعروف فى التواريخ وفى الألسنه والكتب.

وأما إساءه العالم الحاضر فيتجلى ذلك:

أولاً: فى جعلها آله شهوه الرجل، لا إنساناً لها كرامتها وعزتها،

ص: ١٠٤

١- سورة الأحزاب: ٣٥.

٢- سورة الأحزاب: ٥٣.

٣- سورة النور: ٣١.

٤- سورة الأحزاب: ٣٣.

٥- سورة البقرة: ٢٢٨.

ودعات السفور والتحلل إنما يريدونها للشهوه لا أكثر.

وثانياً: جعلها بضاعه ودعايه لتسويق بضاعتهم واكتسابهم، وأمورهم السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديّه وغير ذلك، ولذا ترى المرأة العاريه أو نصف العاريه على العلب والجرائد والمجلات، وفي التلفزيونات وما أشبه ذلك، وهل هذا احترام المرأة، ولذا لا يفعلون بالشباب ذلك.

وثالثاً: جعلها مومسه، كما يشاهد ابتداءً من طفلات المدارس إلى المواخير المنتشره في كل بلاد العالم علناً، وفي بعض البلاد التي لا يعطيها العفن فالمواخير منتشره سرّاً، والنتيجه واحده.

ورابعاً: جرها إلى الأعمال الثقيله الخشنه التي تنافي أنوثتها ولطفها، ثم يعطونها أجوراً أقل من أجور الرجل، كما ذكرنا ذلك في كتاب (بقايا حضاره الإسلام كما رأيت).

وخامساً: حرمانها من دفء العائله في كثير من الأحيان، حيث إنها توفرت عاريه أو شبه عاريه في كل مكان، فلا حاجه لكثير من الشباب في تحمل التكاليف للعلوله ونحوها.

وسادساً: إبقائهن عوانس في كثير من الأحيان.

وكل ذلك سبب أمراضها النفسيه والجسديه كما ذكروها في علم النفس وفي علم الطب، ومن يلاحظ إحصاءات أمراض المواخير وما إليها فإنها أصبحت بؤره للأمراض ومبعثاً لها في كل المجتمع، نعم أعطى الغرب والشرق إياها ما يساعدها على تلك الأمور المذكوره، وهل هذا يسمى إعطاءً كمن يعطى غيره طعاماً ملوثاً بالأوبئه والقذاره.

((ضروره الحجاب))

((ضروره الحجاب))

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الحجاب يقف سداً دون كثير من المفسد المذكوره من ناحيه،

ص: ١٠٥

ويوجب تزويج المرأة من جانب آخر، حيث إن الإنسان حريص على ما منع، وبذلك تصعد المرأة بسبب الحجاب إلى مصاف الإنسانية، وإلى كونها شق الرجل، ثم الحجاب بعد الزواج يوجب حب الرجل لزوجته، وعدم تعلقه بالنساء الأخريات، فتعيش العائلة في جو من الحب والهناء.

ومن قال:

إن هذا الحجاب شيء كثيف

حال بين النساء والنسمات

سجنوهن في البيوت فشلت

نصف عمرتهم بالحركات

ومن قال: إن الحجاب كيس على المرأة وإنه كفن عليها في الحياة.

لم يرد بذلك إلا- العبث بها، وإرضاء شهوته وغروره، فإن الشاعر الأول هو الذي كان يقول: كما أنه يحق للرجل أربع زوجات يحق للمرأة أربعة أزواج، ولما قيل له: فابدأ أنت بنفسك ودع زوجتك تذهب إلى ثلاثة رجال آخرين، غضب ودارت به الأرض الفضاء وسحب منشوره الذي نشره بهذا الصدد.

نعم:

إن هذا الحجاب شيء لطيف

هبّ منه على الورى نسمات

إن فيه عز النساء جميعاً

لا ترى في بلاده مومسات

وأما القائل الثاني، وهو شاه إيران، فقد أذل المرأة أيما إذلال، وكانت المواخير تملأ المدن الإيرانية، وحوادث الطلاق والعزوبه والعنس كانت كثيره جداً، مما هو معروف ومذكور في التواريخ.

فإذا أراد شعب احترام المرأة غلق المواخير، وإخراج النساء من ذل كونهن دعايه وإعلاناً وبضاعه، وطرد الأمراض عنهن، وجعلهن بمنى عن عبث العابثين، وضمنهن إلى دفء العائلة، أمماً وأختاً وبتناً وزوجاً، فاللازم أن

يهتم بالحجاب، لا بمعنى ما أشهره من أراد الشهوة واللذة العابره من سجنهن وشلهن، بل بالمعنى الإسلامى الذى قرره الكتاب والسنة، وطبقه الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمه (عليهم السلام): إن الحجاب عامل زواج الفتيات، وعامل حب الزوج لهن، وعامل ثبات العائلة، وعامل تربيته الأولاد تربيته حسنه، وعامل صحه المجتمع عن الأمراض الجسديه والنفسيه، وما إلى ذلك.

أما كونه عامل زواج الفتيات، فإن الشباب حيث لا يجدون بغيتهم من قضاء الجنس فى المدارس والأحواض والسينمات المختلطه والمواخير والملاهى وما أشبه، يدفعهم الأمر إلى الزواج.

وأما كونه عامل حب الزوج، فإن الزوج إذ لم ير غير زوجته فى أى مكان، يندفع نحوها اندفاعاً كبيراً، والاندفاع من أكبر وسائل الحب المتبادل، ولذا كره الإسلام ملامسه الزوجين عرياناً، وذلك حتى يبقى فى نفس الزوج شىء نحوها حتى بعد الملامسه.

وأما ثبات العائلة، فإن الزوج لا يرى نساءً أجمل من زوجته حتى يهدم العائلة بالطلاق أو بالمتاركة أو ما أشبه ذلك، ويذهب نحو غيرها، فتبقى العائلة فى أمن وسلام، كما يشاهد الأمرين فى بلاد الإسلام المحتشمه حيث الحجاب وثبات العائلة وقلة الطلاق جداً، وفى بلاد الغرب حيث الطلاق والمتاركة وما أشبه مما ضج منه عقلاؤهم، ومثل بلاد الغرب بعض بلاد الإسلام التى انتهجت منهج الغرب فى الميوعة والتحلل والفساد.

وأما كونه عامل تربيته حسنه للأولاد، فلأن المرأة التى لا تكون موضع عبث العابثين وإهدار الفاسدين تهتم بأولادها وزوجها اهتماماً

ليس نحوه اهتمام المرأة التي خلعت الحجاب وبادلت الحب والمصادقه لسائر الشباب واتخذ بعضهم بعضاً أخلاء وخليلات.

أما الأمراض فقد تقدم أن المواخير بؤره الأمراض، ومن الطبيعي أن تنشر هذه البؤره المنتشره فى كثير من بلاد العالم الأمراض والأوبئه، وقد دلت على ذلك إحصاءات لسنا بصدد ذكرها الآن.

((تعدد الزوجات))

((تعدد الزوجات))

ثم فى الإسلام مسأله تعدد الزوجات، ومسأله أقلية الإرث لها، ومسأله أقلية ديته عن ديه الرجل، ومسأله كون الرجل قواماً، ومسأله أقلية شهادتها من شهاده الرجل، ومسأله أنها لا تكون قاضيه ولا أميره ولا مرجع تقليد ولا إمامه للرجال، وفى كل ذلك إذا لم يقرر مثل هذه القوانين كان ظلماً للرجل والمرأه معاً، فهى من محاسن الإسلام وعكسها من مساوئ الأنظمه الشرقيه والغريبه.

أما مسأله التعدد، فنسأل هل أن الرجل يتزوج الثانيه والثالثه والرابعه وهن متزوجات أو يتزوج وهن خليات، من الواضح أنهن خليات، وأيهما أفضل أن تبقى الثانيه ومن بعدها بلا زوج أو أن تكون مع الزوج، فإذا لم يكن قانون التعدد كان ظلماً لها أولاً وظلماً للرجل ثانياً، حيث له طاقه الإدارة جسدياً ومادياً ونفسياً، فلماذا تهدر هذه الطاقه.

نعم بعض الرجال أساؤوا إلى النساء، فوقف ذلك دون هذه العداله، وتبدل الأمر إلى الظلم، وليس كذلك فى جملة من البلاد، ففى (تشاد) مثلاً التعدد سائد حتى فى المسيحيين، ولا تبقى زوجه هناك خليه، فإن البابا أجاز ذلك لهم استثناءً، ولذا لا ترى هناك امرأه سائبه حيث إن الرجال لا يظلمون غالباً المرأه الأولى إذ تزوجوا بالثانيه، وهكذا فهن كالأخوات والبنات فى عائله واحده، مما بينهن من الانسجام

ص: ١٠٨

((قله الإرث والديه))

((قله الإرث والديه))

وأما مسأله قله الإرث، فليست على الإطلاق، بل من راجع فقه الإسلام يرى إرثها أحياناً أقل من إرث الرجل، وأحياناً يساوى إرثه، وأحياناً أكثر من إرثه.

وثانياً: إن الإرث إنما شرع للرجل أكثر، لأن حمل الرجل أكثر، كما قال تعالى: ((لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ))^(١)، لأن المرأة بنت أو أم أو زوجة، ونفقه كلهن على الرجل، ولذا لزم إعطاء الرجل أكثر ليقوم بهذه المهمة، وإنما كانت نفقتهم على الرجل لأن الرجل فوض إليه العمل، والمرأة فوض إليها التربيه وإداره البيت أولاً- وبالذات، حسب الخلقه فى كليهما، فليس من العدل تساويهن فى الأمور الماليه.

وهو سبب أقلية ديتهما، فإنها لأمر اقتصادى لا لعدم تساوى الرجل والمرأة فى الإنسانيه، فمن عليه تكاليف أقل يكون ما يعطى أقل، حتى يتكافئ الأمران، رأيت من ينتج أقل أليس يعطى أقل.

((قواميه الرجل))

((قواميه الرجل))

وأما مسأله كون الرجل قواماً، فإن المجتمع يحتاج إلى قوام بأمره لإرادته شأنه، حتى فى المجتمع الصغير كالعائلة، فلا يخلو الأمر من قواميته، أو قواميتها، أو قواميتهما معاً، أو لا قواميه إطلاقاً.

والأول أمر حسب عقلانيه الرجل، والثانى معناه إعطاء الأمر العقلانى إلى الشخص العاطفى، والثالث معناه إيجاد المنازعه والتدافع، والرابع معناه عدم إعطاء المجتمع إلى الإدارة، فلم يبق إلا الأول.

((أقل شهادة))

((أقل شهادة))

أما مسأله أقلية الشهاده:

فأولاً: لما عرفت من أنها حسب عاطفيتها تصلح لإداره البيت وتربيه الأولاد والانجذاب نحو الزوج وسائر الأمور التى لا تحتاج إلى الصرامه والخشونه، والعاطفيه تنافى عقلانيه الشهاده، ولذا قال

سبحانه: ((أَنْ تَصِلَ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)) (١١).

((الإمارة والقضاء))

((الإمارة والقضاء))

ومن هذه الجبهه نبحت مسأله عدم صلاحيتها للإمارة والقضاء ونحوها، ويدل على ذلك أنها بعد حكم القانون بتساويها مع الرجل فى كل من الشرق والغرب لم تتمكن أن تقوم بهذه الأمور إلا نادراً ندره جداً، مع أن المجال مفسوح أمامها تماماً، والنادر لا يكون دليلاً ولا حجه.

((قوانين فى صالح المرأة))

((قوانين فى صالح المرأة))

ثم فى قبال عدم إعطائها مثل حقوق الرجل فيما ذكرناه بأنها عاطفيه ولأنها قليه الإنفاق، أعطيت عدم وجوب الجهاد عليها، وعدم وجوب صلاه الجمعة عليها، ولا تعاقب كعقوبه الرجل فى الارتداد، ولها المهر من الزوج، ولها النفقه على الأب والولد والزوج، ولها حق أجره الرضاع على الزوج، وتبلغ السن القانونى الشرعى قبل الرجل فإنها:

أولاً: حق فى نفعها، حيث إن شخصيتها الاجتماعيه والاقتصاديه وما أشبه يكون فى العاشره، بخلاف الشاب حيث يكون له تلك الحقوق فى الخامسه عشره ونحوها.

وثانياً: لأنها تتكسر جسمياً بعد الأربعين غالباً، لمكان لطافتها الجسميه، وليس الرجل كذلك.

((الأصل التساوى بين الرجل والمرأة))

((الأصل التساوى بين الرجل والمرأة))

أما فيما عدا المسائل المتقدمه، فالرجل والمرأة متساويان غالباً فى كافة العبادات من: طهاره، وصلاه، وصوم، وحج، وزكاه، وخمس، واعتكاف، وما أشبه، نعم يستثنى لها حاله الحيض والنفاس لمكان التكليف الذى عليها فى قبال إداره البيت وتربيته الأولاد وما أشبه، فإن كل حق يكون فى قبال واجب وبالعكس.

وكذلك هى مثل الرجل فى كافة المعاملات، وهكذا فى الأحكام كحيازته المباحات، والتعليم، والتعلم، والكسب، وكونها معلمه، أو مديره، أو طبيبه، أو

ص: ١١٠

مضمده، أو إمامه جماعه للنساء، أو ما أشبه ذلك.

وكذلك فى القصاص، والديات، والحدود إلا ما خرج، مما ألمعنا إليه سابقاً.

وهكذا فى الوصيه، والقيومه على الأولاد الذين مات أبوهم، إلى غير ذلك من حريات الرجل مما ألمعنا إليه فى كتاب (الصياغه)، ونذكرها هنا نقلاً من ذلك الكتاب:

وهى الحريه فى البيع، والشراء، والرهن، والضمان، والإجاره، والعقود الجديده المخترعه كالتأمين مما لم يمنع عنها الشارع، والكفاله، والصلح، والشركه، والمضاربه، والمزارعه، والمساقاه، وحيازه المباحات التى منها الأرض، والوديعة، والعاريه، والوكاله، والوقف، والصدق، والعطيه، والهبه، والسكنى، والعمرى، والرُقْبى، والسبق والرمايه بالنسبه إلى نفس النساء حيث لا رجال أجنبى يراهن، والوصيه، والنكاح، والطلاق إذا اشترطت أن تكون وكيله عن الرجل فى طلاق نفسها، والخلع، والفسخ فيما إذا كانت موجبات الفسخ، والرضاع، والسفر، والإقامه فيما إذا لم تكن مزوجه واختيارها بيد الزوج إذا اشترطت ذلك عليه، وفتح المحل، والإقرار، والجعاله، والطباعه، وقدر المهر، وسائر الخصوصيات المرتبطه بالنكاح، وامتهان أى مهنة شاءت فيما إذا لم يمنع الإسلام عنها، والثقافه بأن تطلب العلم النافع لها أو للبشر والحيوانات والنبات وغير ذلك، فيجوز أن تكون طبيبه أو مهندسه خبيره فى شأن من الشؤون، أو أن تكون فقيهه أو خطيبه أو مؤلفه.

نعم لا يصح تقليدها، كما ألمعنا إليه سابقاً.

وهكذا الحريه فى العهد، واليمين، والنذر، وتناول الأطمه المحلله بأيه كيفيه شاءت، وإحياء الموات، والأخذ بالشفعه، وكذلك لها

الإرث كما يرث الرجل حسب الموازين الإسلامية، وكذلك هي مورثته، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «من ترك ضياعاً فعلى، ومن ترك مالا فلورثته»^(١)، على الموازين المذكورة في كتاب الإرث.

ومن الحريات لها كالرجل، المراجعة إلى أى قاض شرعى، والشهادة، والاستشهاد، والحريه فى اختيار الديه أو القصاص أو العفو فى الموارد الخاصه، والحريه فى الزراعه، والصناعه، والعماره، وفى كون الإنسان بدون جنسيه ولا هويه ولا ما أشبهه من الرسوم المتعارفه الآن، مما لو أخذ الإسلام بالزمام لأبطلها كلاً، وقد سبق الإلجاع إلى ذلك.

وكذلك الحريه فى إصدار الجريده، والمجله، وامتلاك إذاعه أو تلفزيون، ولها الحريات العامه لإبداء الرأى، والتجمع، وتكوين النقابه النسويه، والجمعيه النسويه، وإنشاء المنظمه كذلك، والانتخاب فى النطاق الإسلامى.

وقد ذكرنا فى كتاب (الصياغه) أن لها حق أن تنتخب وأن تُنتخب للجمعيه النسائيه، كما أن لها الحق والحريه فى أيه وظيفه من الوظائف غير المنافيه للشريعه الإسلاميه، وإنجاب أى عدد من الأولاد، أى ليس للزوج جبرها على ذلك.

والحريه فى العقيدته فى النطاق الإسلامى، قال سبحانه: ((لا إكراه فى الدين))^(٢).

وكذلك فى كيفيه الأكل، والشرب، والملبس، والمسكن، والمركب، وما أشبهه، والحريه فى بناء المساجد، والمدارس، والحسينيات، والمستشفيات، والمستوصفات، ودور النشر، ودور الثقافه، وبناء الخانات، والفنادق، ودور الولاده، ودور العجزه، وفتح البنوك، والدخول فى اتحاد الطلبة فى المدارس النسويه.

كما أن لها الحق فى الخروج من أى مؤسسسه، أو وظيفه، أو ما أشبهه، إلا إذا ربطت نفسها بذلك بشرط ونحوه.

والحريه فى تأثيث الدكان والمنزل، والحريه فى ركوب أى نوع من أنواع

ص: ١١٢

١-.

٢- سورة البقره: ٢٥٦.

السيارات ونحوها، وفي كيفية المعامله فى الإقراض، والاقتراض، وفى إعطاء التوليه فى الوقف ونحوه لأى أحد، كما أنها حره أيضاً فى قبولها التوليه.

والحرية فى جعل الاسم لأى شخص أو لأى محل مرتبط بها، فلا يرتبط جعل الاسم بإجازة الدوله، كما هو المتعارف فى جملة من البلاد فى الحال الحاضر.

والحرية فى فتح حقول الدواجن، وفى تقليد أى مرجع جامع للشرائط شاءت، وكذلك الحرية فى انتخاب أى خطيب أرادت، والحرية فى ترتيب العقد ونحوه عند أى عالم، فى مقابل عدم الحرية فى ذلك بالنسبه إلى غالب الدول، حيث يقيدون الإنسان بتسجيل عقده نحوه عند دائره خاصه.

إلى غيرها من الحريات الكثيره الموجوده فى الإسلام، مما الرجل والمرأه فيها سواء حسب الموازين الإسلاميه، بينما نشاهد أن فى الغرب والشرق لا حرية عندهم لا للرجل ولا للمرأه فى الإجاره، والعماره، والصناعه، والزراعه، والتجاره، وحيازه المباحات، ولا- حرية للإنسان حيث يقيد بالجواز والهويه والجنسيه ونحوها، كما يقيد الإنسان رجلاً أو امرأه فى غالب بلاد العالم بتأشيرته الدخول والخروج، وكذلك يقيد بالجمارك والضرائب، وقيود دفن الميت، وقيود تسجيل الأملاك والزواج، وأيضاً تكبت الحريات بسبب أجهزه التجسس، كما أنهم لا حرية لهم فى فتح المحلات إلا مع إجازات خاصه مسموح بها من جهه ما يسمى بالقانون، وكذلك لا حرية بالنسبه إلى إنشاء المعامل إلا بقيود خاصه، إلى غير ذلك من مئات القوانين الكابته لمعاملات الناس، من رهن ومضاربه وزراعته وغيرها، ومن تحركاتهم، ومن كيفية معاملاتهم، وسلوكهم ومعاشراتهم.

وبهذا ظهر أن الإسلام أعطى للمرأه حقها الطبيعى وأكرمها بما لم

يعط مثلها لها القوانين الغربيه والشرقيه، فإنها بين إفراط وتفریط، بالإضافة إلى أن الغرب أهان المرأة إهانته بالغه لم يسبق لها مثل تلك الإهانته حتى في المجتمعات البدائيه.

لا يقال: إن الجاهليين كانوا يقتلون البنات.

فإنه يقال: كانوا أيضاً يقتلون الأولاد، كما في القرآن الحكيم، قال سبحانه: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ) (١١).

وفي آيه أخرى قال سبحانه: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا) (٢).

قال تعالى: ((وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)) (٣).

((ما يجب على الدوله الإسلاميه تجاه المرأة))

((ما يجب على الدوله الإسلاميه تجاه المرأة))

وبعد ذلك نأتى إلى ذكر ما يجب عمله على الدوله الإسلاميه تجاه المرأة، وكذلك بالنسبه إلى التيار الإسلامى قبل قيام الدوله، وهى أمور:

الأول: تعليم الفتيات و تثقيفهن بالثقافه الصحيحه الدينيه والزمنيه.

الثانى: تزويج الفتيات وعدم تركهن عوانس وبلا أزواج.

الثالث: تهيئه دور الحضانه ودور الولاده لهن.

الرابع: إشراكهن فى كل شؤون المجتمع غير ما ذكرناه، مما لم يجعله الإسلام لهن حسب المصلحه التى اقتضتها الخلقه والمجتمع الصحيح.

الخامس: تنظيم شؤونهن تحت المرجعيه، حتى لا يندعن بتنظيمات الشرق والغرب وبشبكات الفساد.

ص: ١١٤

١- سورة الأنعام: ١٥١.

٢- سورة الإسراء: ٣١.

٣- سورة التكوير: ٨ _ ٩.

السادس: ربطهن بصنعه أو اكتساب، حسب شؤونهن وبمقدار فراغهن، فإن الكرامه الاقتصاديه توجب الكرامه الاجتماعيه.

السابع: بناء مساجد وحسينيات ومراكز خاصه بهن، فقد جعل الرسول (صلى الله عليه وآله) أم ورقه تؤم النساء فى المدينه المنوره فى عرض نفسه المبارك (صلى الله عليه وآله)، كما كان فى زمن على (عليه الصلاه والسلام) مساجد خاصه للنساء فى الكوفه.

الثامن: إدخال جملة كافيه منهن فى سلك طلاب العلوم الدينيه، حتى يكون منهن خطيبات المنابر للنساء، ومؤلفات الكتب، ومرشدات للنساء.

التاسع: جعل وسائل خاصه للترفيه من كبار السن منهن، والتي يسميهن القرآن الحكيم بالقواعد، حتى لا يشعروا بالغربه والكثابه، ومن الخطأ جعل دور العجائز، بل اللازم أن يكن بين المجتمع، محترمات فى بيوتهن وبين ذويهن، فإن جعلهن فى أمثال تلك الدور تعبير عملى عن لفظ المجتمع لهن، وهذا أكبر إساءه لهن، كما أن الأمر كذلك بالنسبه إلى كبار السن من الرجال.

العاشر: عنايه خاصه بالنساء المطلقات حتى يتزوجن من جديد، وكذلك النساء اللاتي فارقهن أزواجهن بموت أو قتل أو فسح أو ما أشبه ذلك.

الحادى عشر: جعل صناديق خاصه لجعل الأموال لمختلف شؤون المرأه من حين الولاده إلى حين الموت.

الثانى عشر: إخراج الفاسدات منهن اللاتي وقعن فريسه لأنظمه

الشرق والغرب، وضحايا المجتمعات المتخلفة، عن الفساد وإلحاقهن بركب النساء الشريقات بتزويجهن، كما فعله علي (عليه الصلاة والسلام) في الكوفة.

الثالث عشر: الاهتمام لحل مشاكلهن مع ذويهن، سواء مع العائلة، أو الأزواج، أو في سائر المشاكل الاجتماعية ونحوها.

الرابع عشر: احترامهن احتراماً لائقاً بهن، وعدم إهانتهم كما اعتاده بعض، مثل إخراجهن عن الأعتاب المقدسه في أوقات خاصه، أو إخراجهن عن المساجد والحسينيات في أوقات الازدحام أو ما أشبه ذلك، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) هو الأسوه في كل قول وفعل وتقرير، وقد جعل الحج للرجال والنساء معاً، وكانت النساء يحضرن في مسجده مع الرجال للصلاه واستماع الخطبه، وإذا سافر حتى للحرب استصحبهن، في قصص مشهوره في الروايات والتواريخ إلى غير ذلك، مما يدور حول إكرامه (صلى الله عليه وآله) المرأة واحترامه لها.

وفي أخير هذه المسأله ننقل جملة من الروايات المرتبطه بمختلف شؤون المرأة، والله الموفق المستعان.

((روايات في المرأة))

((روايات في المرأة))

فقد روى السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نعم الولد البنات، ملطفات، مجهزات، مونسات، مباركات، مفلّيات»^(١).

وعن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة، فقيل: يا رسول الله

ص: ١١٦

واثنتين، فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة، فقال: وواحدة»(١).

وعن الصدوق، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من عال ابنتين أو أختين أو عميتين أو خاليتين حجبتاه من النار»(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) أيضاً قال: «من كن له ثلاث بنات، فصبر على لثوائهن وضرائهن وسرائهن كن له حجاباً يوم القيامة»(٣).

وعن ابن فهد، في (عده الداعي) قال: قال (صلى الله عليه وآله): «من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات وصبر على لثوائهن حتى يأتين على أزواجهن، أو يمتن فيصرن إلى القبور كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وأشار بالسبابه والوسطى، فقيل: يا رسول الله واثنتين، قال: واثنتين، قيل: وواحدة، قال: وواحدة»(٤).

وعن إبراهيم الكرخي، عن بعض الأصحاب، قال: تزوجت بالمدينه فقال لى أبو عبد الله (عليه السلام): «كيف رأيت»، قال: ما رأى رجل من خير امرأه إلا- ورأيتها فيها، ولكن خاننتي، فقال: «وما هو»، قلت: ولدت جاريه، فقال: «لعلك كرهتها، إن الله عز وجل يقول: ((آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا))»(٥)»(٦).

وعن حمزه بن حمران، في حديث قال: أتى رجل وهو عند النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبر بمولود أصابه فتغير وجه الرجل، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): «ما لك»، فقال: خير، فقال: «قل»، قال: خرجت والمرأه تمخض فأخبرت أنها ولدت جاريه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «الأرض تقلها،

ص: ١١٧

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥- سورة النساء: ١١.

٦-.

والسماء تظللها، والله يرزقها، وهي ريحانه تشمها»(١١)، الحديث.

وعن الجارود بن المنذر، قال: قال لى أبو عبد الله (عليه السلام): «بلغنى أنه ولد لك ابنه فتسخطها، وما عليك منها، ريحانه تشمها وقد كفت رزقها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبا بنات»(١٢).

وعن الحسن بن سعيد، قال: ولد لرجل من أصحابنا جاريه فدخل على أبى عبد الله (عليه السلام) فرآه متسخطاً، فقال له: «أريت لو أن الله أوحى إليك أن اختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول»، قال: كنت أقول يا رب اختر لى، قال: «فإن الله عز وجل اختار لك»، ثم قال: «إن الغلام الذى قتله العالم الذى كان مع موسى (عليه السلام) وهو قول الله عز وجل: ((فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا))»(١٣)، أبدلهما الله عز وجل به جاريه ولدت سبعين نبياً»(١٤).

وعن عمر بن يزيد، إنه قال لأبى عبد الله (عليه السلام): إن لى بنات، فقال: «لعلك تتمنى موتهن، أما إنك إن تمنيت موتهن ومتمن لم تؤجر يوم القيامة، ولقيت ربك حين تلقاه وأنت عاص»(١٥).

وعن سليمان بن جعفر الجعفرى، عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرق منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحه على امرأه بينه وبينها حرمه إلا فرحه الله يوم القيامة»(١٦).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من كان له ابنه فالله فى عونه ونصرته وبركته ومغفرته»(١٧).

ص: ١١٨

١-.

٢-.

٣- سورة الكهف: ٨١.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «من عال ثلاث بنات يعطى ثلاث روضات من رياض الجنة، كل روضه أوسع من الدنيا وما فيها»^(١).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «من كانت له ابنة واحده كانت خيراً له من ألف حجه وألف غزوه وألف بدنه وألف ضيافه»^(٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحده جعلها الله له سترًا من النار، ومن كانت عنده ابنتان أدخله الله بهما الجنة، ومن كن ثلاثاً أو مثلهن من الأخوات وضع عنه الجهاد والصدقه»^(٣).

وعن حذيفه بن اليمان، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خير أولادكم البنات»^(٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «ما من بيت فيه البنات إلا نزلت كل يوم عليه اثنتا عشره بركه ورحمه من السماء، ولا ينقطع زياره الملائكه من ذلك البيت، يكتبون لأبيهم كل يوم وليه عبادته سنه»^(٥).

وفى حديث عنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من عال واحده أو اثنتين من البنات جاء معى يوم القيامة كهاتين، وضم إصبعيه»^(٦).

وعن ابن عباس، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «من دخل السوق فاشترى تحفه فحملها إلى عياله كان كحامل صدقه إلى قوم محاويج، فليبدأ بالإناث قبل الذكور، فإنه من فرح ابنه فكأنما

أعتق رقبه من ولد إسماعيل، ومن أقر بعين ابن فكأنما بكى من خشيه الله، ومن بكى من خشيه الله أدخله جنات نعيم» (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «من كان له أنثى فلم يبدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة» (٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «خيركم خيركم لنسائكم وبناتكم» (٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «ما زال جبرائيل يوصيني في أمر النساء حتى ظننت أنه سيحرم طلاقهن» (٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «المرأه ریحانه وليست بقهرمانه» (٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول» (٦).

وعنه (صلى الله عليه وآله): «إنه نهى أن يشبع الرجل ويجمع أهله» (٧).

وفي حديث الحولاء بعد ذكر حقوق الرجال على النساء، قالت: فما للنساء على الرجال، فقال (صلى الله عليه وآله): «أخبرني أخى جبرائيل، ولم يزل يوصيني بالنساء حتى ظننت أن لا يحل لزوجه أن يقول لها أف، يا محمد اتقوا الله عز وجل في النساء فإنهن عوان بين أيديكم، أخذتموهن على أمانات الله عز وجل لما استحلتتم من فروجهن بكلمه الله وكتابه، من فريضتى وسنتى وشريعته محمد

ص: ١٢٠

.-١

.-٢

.-٣

.-٤

.-٥

.-٦

.-٧

بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) فإن عليهن حقاً واجباً لما استحلتتم من أجسامهن، ولما واصلتم من أبدانهن، ويحملن أولادكم في أحشائهن، حتى أخذهن الطلق من ذلك، فأشفقوا عليهن، وطيبوا قلوبهن حتى تقفن معكم، ولا تكرهوا النساء، ولا تسخطوا بهن، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا برضاهن وأهلهن» (١).

وعن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ليله ثلاثون امرأة كلهن تشكو زوجها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما إن أولئك ليسوا من خياركم» (٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «الرجل راع على أهل بيته، وكل راع مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على مال زوجها، ومسؤوله عنه» (٣).

وعن عبد الرحمان بن الحجاج، قال: بعث إلى أبو الحسن موسى (عليه السلام) بوصيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وساق الوصيه إلى أن قال: «الله الله في النساء وما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به نبيكم (صلى الله عليه وآله) أن قال: أوصيكم بالضعيفين النساء، وما ملكت أيمانكم» (٤).

وفي جملة من الروايات زياده بر الأم على الأب، وذلك لوضوح أن الأم عاطفيه تحتاج إلى مزيد من العناية.

وفي روايه عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: «جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، ما من عمل قبيح إلا قد عملته،

ص: ١٢١

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

فهل لى من توبه، فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهل من والديك أحد حى، قال: أبى، قال: فاذهب فبره، قال: فلما ولى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لو كانت أمه» (١).

وعن الرضوى (عليه السلام): «واعلم أن حق الأم أوزم الحقوق وأوجب، لأنها حملت حيث لا يحمل أحد أحداً، ووقت بالسمع والبصر وجميع الجوارح مسروره مستبشره بذلك، فحملته بما فيه من المكروه الذى لا يصبر عليه أحد، رضيت بأن تجوع ويشبع، وتظماً ويروى، وتعرى ويكتسى، وتظله وتضحى، فليكن الشكر لها، والبر والرفق بها على قدر ذلك، وإن كنتم لا تطيقون بأدنى حقها إلا بعون الله» (٢).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «تحت أقدام الأمهات روضه من رياض الجنة» (٤).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إذا كنت فى صلاه التطوع فإن دعاك والدك فلا تقطعها، وإن دعتك والدتك فاقطعها» (٥).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله)، إن رجلاً جاءه فقال له: من أبرر، قال: «أمك»، قال: ثم من، قال: «أمك»، قال: ثم من، قال: «أمك»، قال: ثم من، قال: «أمك»، قال: ثم من، قال: «أباك»، ثم الأقرب فالأقرب» (٦).

ص: ١٢٢

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .
- ٦- .

وفى حديث إنه قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله ما حق الوالد، قال: «أن تطيعه ما عاش»، فقيل: وما حق الوالده، فقال: «هيهات هيهات، لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا، قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته فى بطنها»^(١).

وفى حديث: إنه قال له (صلى الله عليه وآله) رجل: من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: «أمك»، قال: ثم من، قال: «أمك»، قال: قال: ثم من، قال: «أبوك»^(٢).

ص: ١٢٣

١- .

٢- .

((الإسلام والتأكيد على العمل))

(مسأله): قد أولى الإسلام العمل بالمعنى العام الشامل لكل عمل جوانحي أو جوارحي اهتماماً خاصاً، سواء كان عمل عباده أو عمل معاملته أو سائر أقسام الأعمال، فالثواب والعقاب في الآخرة دائران مدار العمل، قال سبحانه: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) (١).

وقال: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) (٢).

وربما نال الإنسان شيئاً بغير عمل، فهو مثل أن جاء إلى الدنيا بغير عمل، أو كون الكون له من غير عمل مما ينتفع بمختلف أنواع الكون من مائه وهوائه ونوره وناره وأرضه وخيرات هذه الأمور، فإن ذلك لا ينافي أغلبية القاعده، كما هي القاعده المطرده في غالب القواعد من أنها أغلبية.

ولذا اشتهر: (ما من عام إلا وقد خص)، بل قيل: إن نفس هذه القاعده أيضاً مخصصه، ولو على نحو السالبة بانتفاء الموضوع، قال سبحانه: (قُلْ أَتُتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ) (٣)، مع أنه ورد: ((عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ)) (٤)، وورد ((إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٥)، مع أن الجمع بين النقيضين ومصاديقه، من عدم تساوى الكل والجزء، أو أعظميه الثاني عن الأول، وعدم اجتماع ضدين، وعدم اجتماع ما لا ثالث لهما منهما، وعدم ارتفاع النقيضين وما أشبه، كلها محال خارج عن مرمى القدره.

وإنما قلنا (مصاديقه) لأن بناءهم على أن المستحيلات كلها ترجع إلى هذا لمحال، فهي مصاديق له، وعليه فكل من ((بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)) (٦)، و((عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٧) أيضاً خصصا لكن على نحو

ص: ١٢٤

- ١- سورة النجم: ٣٩.
- ٢- سورة التوبه: ١٠٥.
- ٣- سورة يونس: ١٨.
- ٤- سورة الأنعام: ٧٣.
- ٥- سورة البقره: ٢٠.
- ٦- سورة البقره: ٢٣١.
- ٧- سورة البقره: ١٠٦.

السالبه بانتفاء الموضوع، حيث لا شيء حتى يُعلم، أو لا شيء قابل للقدره حتى يُقدَّر، فإن الحكم فى التشريعات والصفه فى التكوينيات يتوقفان على الموضوع.

وعلى أى حال، فليس الكلام فى هذا البحث الفلسفى، وإنما فى أنه {لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} (١٢٢)، وذلك يراد به ما كان الوصول إليه بالسعى، أى على نحو القضييه المفروضه الموضوع.

فلا يقال: إن أصل خلقه الإنسان وسلامته فى الخلقه فى مقابل النقص، وكونه رجلاً أو امرأه مثلاً، وتتهيئه جوانب الكون له، وإرثه عن مورثه، وسقوط شيء عن ذمته بالإبراء، على قول المشهور حيث يروونه مسقطاً وإن لم يرض هو، وإن كنا ناقشنا فيه فى (الفقه) لأنه خلاف سلطنه الإنسان على نفسه، فكما فى السلطنه الإيجابيه لا يدخل شيء فى ملكه إلا بإرادته، أو نص خاص كالإرث، كذلك فى السلب لا يخرج شيء عن ملكه إلا بإرادته، أو نص خاص كالديه فى العاقله.

وعلى أى حال، لا يقال: إن هذه الأمور ليس من سعيه.

وليس الكلام فى هذه المسأله فى العمل بالمعنى العام بل بمعناه الخاص لا الأخص، فإن معناه الخاص يشمل كل عامل بيده، كالنجار والحداد والبناء وما أشبهه، فى قبال الفلاح، كما يشمل مثل المعلم وعمال البنوك وعمال المستشفيات والشرطه ونحوهم ممن عملهم يأتى بأجر محدود لهم، لا مثل التاجر والمهندس والدكتور ونحوهم ممن ليس لهم دخل محدود.

أما معناه الأخص فهو لا يشمل مثل المعلم إلى آخره، وإنما العمال ممن يصطلح عليهم بالعمال فى العرف الخاص، والمراد فى هذه المسأله العمال بالمعنى الخاص والفلاح.

ص: ١٢٥

وإن شئت قلت: الأقسام ثلاثة، بأن يجعل ذوى الدخل المحدود فى قبال العامل والفلاح، وعلى أى فلا مشاحه فى الاصطلاح.

(سؤالان وجوابان))

((سؤالان وجوابان))

وهنا سؤالان اقتصاديان اجتماعيان لا بأس بالإلماع إليهما، وإن كان تفصيل الكلام فيهما خارج عن مقصد البحث:

الأول: لماذا المعلم دخله محدود وليس التاجر كذلك، مع أن كليهما يبذلان جهداً متساوياً، والمعلم وصل إلى مرتبه التعليم بجهد اثنتى عشره سنه من الدراسه، بينما التاجر الذى لا يقرأ ولا يكتب وصل إلى التجاره والمراتب العاليه فى الثروه بدون مثل هذا الجهد.

الثانى: لماذا نرى أن المطرب مثلاً فى المجتمعات المنحرفه، والخطيب المصقع الموجه للأمه فى المجتمعات المستقيمه، لهما من الأجر أضعاف أضعاف الكاسب العادى، مع فرض أن كلا الطرفين يبذلان جهداً متساوياً.

والجواب عن الأول: إن الجهد ليس المعيار الوحيد للربح، بل قد ذكرنا فى الكتب الاقتصاديه أن شرائط الزمان والمكان وما يقع العمل عليه والموازن الاجتماعيه لها مدخله بالنسبه إلى الربح، إضافه إلى جانب الجهد، فالأمور خمس.

فإذا كان شخصان ذهبا إلى الغابه وعملا كل واحد ساعه لقطع الخشب لكن أحدهما قطع خشبه ثمينه والآخر رخيصه، تفاوت أجرهما، حيث يبيع الأول خشبته بألف والثانى بمائه، وكذلك إذا صاد صيدين أحدهما صيداً ثميناً والآخر صيداً رخيصاً، سواء بالنسبه إلى الأسماك أو الطيور أو الغزلان واليحامير أو غيرها، إلى غير

ذلك من الأمثلة، فالفرق بين المعلم ذى الدخل المحدود، والطبيب ذى الدخل غير المحدود، أن الأول بمنزله من يقطع الخشبه الرخيصه أو يصيد الصيد الرخيص، والثانى بمنزله من يقطع الخشبه الثمينه أو يصيد الصيد الثمين وهكذا.

أما ما يقوله الشيوعيون من أن كل الأموال للدوله، وكل عامل له الحق بقدر جهده فقط، فهو أسوأ مما يقوله الرأسماليون على الطراز الغربى، لأن الشيوعيين يسلبون الناس أموالهم وحریاتهم، بينما الرأسماليون يسلبون الناس بعض أموالهم ويبقون البعض كما يبقون على الحریات فى الجملة.

وقد ذكرنا فى جملة من كتبنا: إن الطريق الإسلامى خير من الطريقين، لأنه لا يسلب إنساناً شيئاً، لا مالاً ولا حريةً.

أما الجواب عن الثانى: فقد اعترف السائل أن المطرب والمغنى إنما يكونان فى المجتمع المنحرف فلا إشكال، ولو فرضنا أنا أردنا إقناع من لا يرى الأمر منحرفاً قلنا: إن المطرب بنظركم يحسن إلى عشره آلاف فله من كل أجر، بينما المعلم يحسن إلى خمسين طالباً، فله بقدر من أحسن إليه من الأجر.

لكن الجواب الواقعى: إن مثل هذا المطرب والمغنى يسيئان ولا يحسنان إطلاقاً، بينما المعلم يحسن ولا يسيء إطلاقاً، حيث إن مبنى المجتمع على الهندسه والطب وعلم الحقوق وما أشبهه، فكل البيوت التى هى محل سكنى الناس والدكاكين والحمامات وما أشبهه مبنيه على المهندس، وكل الأبدان الصحيحه بعد المرض بل بقاؤها صحيحه مبنيه على الطبيب، وكل المجتمع السالم بعد النزاع والحرب

مبنى على عالم الحقوق وهكذا، والمعلم يساهم في كل ذلك بتعليم المقدمات كالقراءه والكتابه في الابتدائيه، وما فوقهما إلى الدرجات الرفيعه كأستاذ الجامعه ونحوه.

أما الخطيب فله الحق في الزيادة عن المعلم، لأن المعلم يعلم خمسيناً والخطيب يعلم ألفاً، والمجتمع سالمًا أو فاسدًا مبنى على الخطباء، فالأخلاق والآداب والمعاشره الحسنه وتماسك المجتمع وغيرها في المجتمعات الصحيحه مبنيه على خطابه الخطباء وإرشاد المرشدين، سواء في مثل عرفنا أو في العرف الذى يرون حسن مبانيهم وإن نراه نحن منحرفاً، كعرف المسيحيين أو الشيوعيين، حيث إن اجتماعاتهم على الطرز الذى انتخبوه يستمر على عاتق خطبائهم، سواء سموا باسم الخطيب أو باسم آخر.

نعم لا بد من موازين عرفيه دقيقه حتى يرى هل أن المعلم يُعطى بقدر حقه أو أقل، أو أن الخطيب المصقع الذى ينهال عليه المال هل يُعطى بقدر حقه أو أكثر، وهكذا في كل ذى دخل محدود، وكل ذى دخل غير محدود.

((حق العامل والفلاح))

((حق العامل والفلاح))

ولنرجع إلى البحث الذى نحن بصدده، وهو: إن اللازم على التيار الإسلامى بقدر قدرته المحدوده، والدوله الإسلاميه بقدر قدرتها التى هى فوق قدره التيار أضعافاً مضاعفه، حتى لا يقاس قدره الأول بقدره الثانى إطلاقاً، ولعل النسبه بينهما أكثر من النسبه بين الواحد والألف، أن يراعى العامل بالمعنى الشامل لذوى الدخل المحدود، وفهم الفلاح مراعاةً دقيقه، فإنهما طبقتان كادحتان تفيدان المجتمع أكثر فائده، وليس لهما غالباً بقدر حقهما.

فإن أول حقهما: أن يعيشا حياةً حرة كريمة متوسطة، مع العلم أن الغالب ليس لهما مثل هذه الحياة، حيث إن جملة من الملاكين سواء كانوا مالكي أرض أو متجر أو نحوه.

وجمله من الحكومات بالنسبة إلى المعلم وعمال الإدارات كالمستشفيات والمطارات والقطارات وغيرها يظلمون العمال والفلاحين، إما ظلماً ناشئاً من القانون، حيث إن القانون وضع منحرفاً، أو ظلماً ناشئاً من الانحراف عن القانون، حيث فرض استقامه القانون، مثلاً ترى أن راتب المعلم ثلاثون ديناراً قبل ثلاثين سنة، والآن راتبه تسعون، مع أن التضخم خمسه أضعاف أو أكثر، وفي هذا الحال صيرورته ثلاثة أضعاف فقط معناه أن الحكومه ظلمتهم بقدر ثلثي راتبهم الحالي حيث الواجب أن يكون راتبهم الآن مائه وخمسين ديناراً.

وثانى حقهما: أن يعطيا بقدر حقهما الواقعي، الذي هو غالباً أكثر من مائه وخمسين في الفرض السابق، إلى غير ذلك من الأمثلة. وهكذا الحال للعمال والفلاحين عند المؤسسات الأهلية، وعليه فاللازم أن يكون لكل فئة منهم نقابه كفوءه اختياريه للحكومه الاستشاريه مزوده بالإحصائيين من الاقتصاديين والحقوقيين حتى يعينوا بالدقه قدر حق كل فئة من فئات العمال والفلاحين، ويقرروا ذلك حتى تستقيم القوانين، بأن تقرر لهم بقدر حقهم لا أقل، ويقف القضاء دون ظلمهم بسبب انحراف من يظلمهم عن القوانين المستقيمه فرضاً.

((روايات في حقوق العمال))

((روايات في حقوق العمال))

وننقل بهذه المناسبه جمله من الروايات الوارده في باب الأجراء مطلقاً، وإن كان لتفصيل الكلام الفقهي محل آخر:

فقد روى حسين بن زيد، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«من ظلم أجييراً أجرته أحبط الله عمله، وحرّم الله عليه ريح الجنه، وأن ريحها ليوجد من مسيره خمسمائه عام»^(١).

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصيه النبي (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام) قال: «يا على من انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنه الله، ومن منع أجييراً أجره فعليه لعنه الله»^(٢).

وعن (عقاب الأعمال)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ومن ظلم أجييراً أجره أحبط الله عمله، وحرّم عليه ريح الجنه، وريحها يوجد من مسيره خمسمائه عام، ومن خان جاره شبراً من الأرض طوقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين ناراً حتى يدخله نار جهنم»^(٣).

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله غافر كل ذنب إلا من أحدث ديناً، أو اغتصب أجييراً أجره، أو رجل باع حراً»^(٤).

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «أقذر الذنوب ثلاثه، قتل البهيمة، وحبس مهر المرأة، ومنع الأجير أجره»^(٥).

وعن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ملعون من ظلم أجييراً أجرته»^(٦).

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تعالى غافر كل ذنب إلا من جحد مهراً، أو اغتصب أجييراً أجره، أو باع حراً»^(٧).

ص: ١٣٠

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .
- ٦- .
- ٧- .

وعن الأصمغ بن نباته، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن لعنه الله ولعنه ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين، ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره» (١).

وعن الأصمغ بن نباته، قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) في مسجد الكوفة، فأتاه رجل من بجيله يكنى أبا خديجه، قال: يا أمير المؤمنين أعندك سر من سر رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحدّثنا به، قال: «نعم، يا قنبر ائسني بالكتابة، ففضضها فإذا في أسفلها سليفه مثل ذنب الفأره، مكتوب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، إن لعنه الله وملائكته والناس أجمعين على من انتمى إلى غير مواليه، ولعنه الله وملائكته والناس أجمعين على من أحدث في الإسلام حدثاً، أو آوى محدثاً، ولعنه الله وملائكته والناس أجمعين على من ظلم أجيراً أجره» (٢).

وفى روايه بإسناد الأئمه (عليهم السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ظلم الأجير أجره من الكبائر» (٣).

وفى روايه أخرى، عنه (صلى الله عليه وآله) قال: «ثلاثه أنا خصيمهم يوم القيامة، رجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره، ورجل أعطاني صفاقه فغدر» (٤).

وعن مسعده بن صدقه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يستعملن أجيراً حتى يعلم ما

ص: ١٣١

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .

أجره، ومن استأجر أجيراً ثم حبسه عن الجمعه يوء بإثمه، وإن هو لم يحبسه اشتركا في الأجر»^(١).

وعن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث المناهى، قال: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يُستعمل أجير حتى يعلم ما أجرته»^(٢).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من استأجر أجيراً فليعلمه أجره»^(٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «أعط الأجير حقه قبل أن يجف عرقه»^(٤).

وعن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الجمال والأجير قال: «لا يجف عرقه حتى تعطيه أجرته»^(٥).

وعن شعيب، قال: تكارينا بأبي عبد الله (عليه السلام) قوماً يعملون في بستان له، وكان أجلهم إلى العصر، فلما فرغوا قال لمعتب: «أعطهم أجورهم قبل أن يجف عرقهم»

بل في الإسلام الدقه المتزايد أن لا يضيع حتى جزء من عشرات الأجزاء من أجره الأجير.

وفى روايه عن الصادق (عليه السلام)، إنه سئل عن رجل قبل رجلاً حفر بئر عشر قامات بعشره دراهم، فحفر قامه ثم عجز، فقال له: «جزء من خمسة وخمسين جزءاً من العشره دراهم»^(٦).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) إنه سئل عن رجل قبل رجلاً أن

ص: ١٣٢

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

يحفر له عشر قامات بعشره دراهم، فحفر له قامه ثم عجز، فقال: «تقسم عشره على خمسه وخمسين جزءاً، فما أصاب واحداً فهو للقامه الأولى، والاثنان للثانيه، والثلاثه للثالثه، وعلى هذا الحساب إلى العشره»^(١).

هذا بعض الروايات في باب العمال، وهم أهم من الفلاحين.

((روايات في الفلاحين))

((روايات في الفلاحين))

وأما الروايات في باب الفلاحين صراحه، فقد روى الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يكتب إلى عماله: ألا لا تسخروا المسلمين، ومن سألكم غير الفريضة فقد اعتدى فلا تعطوه، وكان يكتب يوصى بفلاحين خيراً وهم الأكارون»^(٢).

وعن علي الأزرق، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «وصى رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) عند وفاته، فقال: يا علي لا يُظلم الفلاحون بحضرتك، ولا يزداد على أرض وضعت عليها، ولا سخره على مسلم يعنى الأجير»^(٣).

وعن الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن السخره في القرى وما يؤخذ من العلوج والأكره في القرى، فقال: «اشترط عليهم، فما اشترطت عليهم من الدراهم والسخره وما سوى ذلك فهو لك، وليس لك أن تأخذ منهم شيئاً حتى تشارطهم، وإن كان كالمستيقن أن كل من نزل تلك القرية أخذ ذلك منه»، قال: وسألته عن رجل بنى في حق له إلى جنب جار له بيوتاً أو داراً فتجول أهل دار جاره إليه أله أن يردهم وهم له كارهون، فقال: «هم أحرار ينزلون حيث شاؤوا، ويتحولون حيث شاؤوا»^(٤).

وعن ابن أبي يعقوب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)

ص: ١٣٣

١-

٢-

٣-

٤-

يقول: «من زرع حنطه في أرض فلم تزك أرضه وزرعه أو خرج زرعه كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبه الأرض أو بظلم مزارعه وأكرته لأن الله تعالى يقول: ((فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)) (١)» (٢).

وعن ابن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) إنه قال: «كان على (عليه السلام) يكتب إلى عماله: لا تسخروا المسلمين فتدلوهم، ومن سألكم غير الفريضة فقد اعتدى، ويوصى بأكارين وهم الفلاحون» (٣).

((روايات في الزراعة))

((روايات في الزراعة))

ثم كما أكد الإسلام على العمل مطلقاً أكد على الزراعة، وجعل للزارعين وهم الفلاحون مكانه رفيعه.

فعن سيابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سأله رجل فقال له: جعلت فداك أسمع قولاً يقولون: إن الزراعة مكروهه، فقال له: «ازرعوا واغرسوا، فلا- والله ما عمل الناس عملاً أحل وأطيب منه، والله ليزرعن الزرع وليغرسن الغرس بعد خروج الدجال» (٤).

أقول: مراده (عليه الصلاة والسلام) أن الزرع والغرس مستمران حتى قبيل ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وذلك عند خروج الدجال.

وفى روايه قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن الله جعل أرزاق أنبيائه في الزرع والضرع كي لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء» (٥).

وعن محمد بن عطيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله عز وجل اختار لأنبيائه الحرث والزرع كي لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء» (٦).

ص: ١٣٤

١- سورة النساء: ١٦٠.

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

وفى روايه: وسئل عن قول الله عز وجل: ((وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)) (١)، قال: «الزارعون» (٢).

أقول: الإمام (عليه السلام) أراد بيان مصداق من مصاديق الآيه المباركه، وذلك إشاره لأهميه الزراعه.

وفى حديث مسمع، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما أهبط آدم إلى الأرض احتاج إلى الطعام والشراب، فشكا ذلك إلى جبرئيل (عليه السلام) فقال له جبرئيل: يا آدم كن حراثاً» (٣).

وعن يزيد بن هارون، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «الزارعون كنوز الأنام، يزرعون طيباً أخرجهم الله عز وجل، وهم يوم القيامة أحسن الناس مقاماً، وأقربهم منزله، يدعون المباركين» (٤).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «سئل النبي (صلى الله عليه وآله): أى المال خير، قال: زرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدى حقه يوم حصاده» (٥).

وفى حديث عن علي (عليه الصلاة والسلام): «إن معايش الخلق خمسه، الإماره والعماره والتجاره والإجاره والصدقات»، إلى أن قال: «وأما وجه العماره فقوله تعالى: ((هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)) (٦)، فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعماره ليكون ذلك سبباً لمعايشهم، ثم يخرج من الأرض من الحب والثمرات وما شاكل ذلك مما جعله الله معايش للخلق» (٧).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه كان يعمل بيده، ويجاهد

ص: ١٣٥

١- سورة إبراهيم: ١٢.

٢-

٣-

٤-

٥-

٦- سورة هود: ٦١.

٧-

فى سبيل الله، فىأخذ فىئه، ولقد كان يرى ومعه القطار من الإبل وعلفه النوى، فىقال له: ما هذا يا أبا الحسن، فىقول: نخل إن شاء الله، فىغرسها فما فىغادر منه واحده((١)).

وعن النبى (صلى الله وآله) إنه قال: «ما من مسلم فىغرس غرساً أو فىزرع زرعاً فىأكل منه إنسان أو طبر أو بهىمه إلا كانت له به صدقه»((٢)).

وعنه (صلى الله وآله) إنه قال: «من غرس غرساً فأثمر أعطاه الله من الأجر قدر ما فىخرج من الثمر»((٣)).

وعنه (صلى الله وآله) قال: «إن قامت الساعه وفى يد أحدكم الفسىله فىإن استطاع أن لا- تقوم الساعه حتى فىغرسها فىلغرسها»((٤)).

وعنه (صلى الله وآله) إنه قال: «من بنى بنىناً بغير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرساً بغير ظلم ولا اعتداء، كان له أجراً جارىاً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن»((٥)).

وعن على (علفه السلام)، قال: قىل: يا رسول الله أى المال خىر، قال: «زرع زرعه وأصلحه صاحبه وأدى حقه يوم حصاده»((٦)).

وعن الصادق (علفه السلام) إنه قال: «ما فى الأعمال شىء أحب إلى الله تعالى من الزراعه، وما بعث الله نبياً إلا زراعاً، إلا إدرىس (علفه السلام) فىإنه كان خىاطاً»((٧)).

((مكانه العمل الإسلام))

هذا كما أن الإسلام جعل مكانه سامىه للعمل مطلقاً، كما فى جمله من الرواىات:

فعن أبى عبد الله (علفه السلام): «إن أمىر المؤمنىن (علفه السلام) أعتق ألف مملوك من كد يده»((٨)).

ص: ١٣٦

.-١

.-٢

.-٣

.-٤

.-٥

.-٦

.-٧

.-٨

وعن الصادق (عليه الصلاة والسلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمص النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وإن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعتق ألف مملوك من ماله وكد يده»^(١).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، قال: «أوحى الله إلى داود (عليه السلام) إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود (عليه السلام) أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى الحديد أن لن لعبدى داود، فألان الله عز وجل له الحديد، فكان يعمل في كل يوم درعاً فيبيعه بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً، واستغنى عن بيت المال»^(٢).

وعن زراره: إن رجلاً أتى أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: إني لا أحسن أن أعمل بيدي ولا أحسن أن أتجر وأنا محارف محتاج، فقال: «أعمل فاحمل على رأسك، واستغن عن الناس، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد حمل حجراً على عنقه فوضعه في حائط من حيطانه، وإن الحجر لفي مكانه ولا يدرى كم عمقه إلى أنه ثم»^(٣).

وعن علي بن أبي حمزه، عن أبيه، قال: رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل في أرض له قد استنقعت قدمه في العرق، فقلت: جعلت فداك أين الرجال، فقال: «يا علي قد عمل باليد من هو خير مني ومن أبي في أرضه»، فقلت: ومن هو، فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وآبائى كلهم (عليهم السلام) كانوا قد

ص: ١٣٧

١-

٢-

٣-

عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»(١).

وعن أبي عمرو الشيباني، قال: رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) وبيده مسحاه وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتصاب عن ظهره، فقلت: جعلت فداك أعطني أكفك، فقال: «إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة»(٢).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إني أعمل في بعض ضياعي حتى أعرق، وإن لي من يكفيني، ليعلم الله عز وجل أنني أطلب الرزق الحلال»(٣).

وعن إسماعيل بن جابر، قال: أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) وإذا هو في حائط له وبيده مسحاه وهو يفتح بها الماء وعليه قميص شبه الكرايس كأنه مخيط عليه من ضيقه(٤).

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمه (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز»(٥).

وعن الفضل بن أبي قره، قال: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في حائط له، فقلنا: جعلنا فداك دعنا نعمله لك أو تعمله الغلمان، قال: «لا، دعوني فإنني أشتهي أن يراني الله عز وجل أعمل بيدي وأطلب الحلال في أذى نفسي»(٦).

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ((وَأَنَّهُ هُوَ

ص: ١٣٨

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

أَغْنَى وَأَقْنَى»(١١))، قال: «أغنى كل إنسان من معيشته وأرضاه بكسب يده»(٢).

وعن الحسين بن علوان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «من وجد ماءً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله»(٣).

وعن زراره، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لقى رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) وتحتة وسق من نوى، فقال له: ما هذا يا أبا الحسن تحتك، فقال: مائه ألف عذق إن شاء الله، قال فغرسه فلم يغادر منه نواهً واحده»(٤).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يخرج ومعه أحمال النوى، فقال له: يا أبا الحسن ما هذا معك، فيقول: نخل إن شاء الله، فغرسه فما يغادر منه واحده»(٥).

وعن يزيد بن هارون، قال: سألت جعفر بن محمد (عليهما السلام) عن الفلاحين، فقال: «هم الزارعون كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعه، وما بعث الله نبياً إلا زراعاً، إلا إدريس فإنه كان خياطاً»(٦).

وفى روايه عن عيسى (عليه الصلاة والسلام): «إن الحواريين قالوا له: يا روح الله من أفضل منا، إذا شئنا أطعمتنا، وإذا شئنا سقيتنا، وقد آمنا بك واتبعناك، فقال: أفضل منكم من يعمل بيده، ويأكل من كسبه، فصاروا يفصلون الثياب بالكرء»(٧).

ص: ١٣٩

١- سورة النجم: ٤٨.

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

٧-

وفى (نهج البلاغه)، عن على (عليه الصلاه والسلام): «ولقد كان فى رسول الله (صلى الله عليه وآله) كاف لك فى الأسوه» إلى أن قال: «وإن شئت ثلثت بداود صاحب المزامير وقارئ أهل الجنة، فلقد كان يعمل سيف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفينى بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها»(١).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من أكل من كد يده مر على الصراط كالبرق الخاطف»(٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من أكل من كد يده حلالاً فتح له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء»(٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «من أكل من كد يده نظر الله إليه بالرحمه، ثم لا يعذبه أبداً»(٤).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من أكل من كد يده يكون يوم القيامة فى عداد الأنبياء، ويأخذ ثواب الأنبياء»(٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قيل له: أى كسب الرجل أطيب، قال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور»(٦).

وروى الديلمى، عن على (عليه الصلاه والسلام): «إنه كان لما يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم، فإذا فرغ من ذلك اشتغل فى حائط له يعمل فيه بيديه، وهو مع ذلك ذاكراً لله تعالى»(٧).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام): «إنه كان يعمل بيده ويجاهد فى سبيل الله» إلى أن قال: «وأقام على الجهاد أيام حياه

ص: ١٤٠

.-١

.-٢

.-٣

.-٤

.-٥

.-٦

.-٧

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومنذ قام بإمر الله إلى أن قبضه إليه، وكان يعمل في ضياعه ما بين ذلك، فأعتق ألف مملوك كل من كسب يده»^(١).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «ينبغي للمسلم أن يلتمس الرزق حتى تصيبه الشمس»^(٢).

إلى غير ذلك من الروايات.

((العامل ورب العمل))

((العامل ورب العمل))

وهنا أمور مرتبطة بالعامل من أى نوع كان، ورب العمل من أى نوع كان:

الأول: إنهما عضوان فى مجتمع واحد، لكل واحد منهما ما للآخر، وعليه ما عليه، فليساً طبقتين، وذلك لأن الأمه واحده، والمؤمنون أخوه.

الثانى: اللآزم أن يكون المعامله بينهما غير استغلاليه، لا أن يستغل هذا ذاك أو ذاك هذا، لا استغلالاً فردياً ولا استغلالاً أجوائياً، على ما ذكرنا تفصيل الاستغلال الأجوائى فى بعض كتبنا الاقصاديه والفكرية وغيرهما.

الثالث: لا يجوز أن يجحف أحد بحق الآخر، كما يوجد ذلك فى الرأسماليه المنحرفه بالنسبه إلى إجحاف رب العمل بالعمال.

الرابع: العقد بينهما يلزم أن يكون بالتراضى الكامل، فإنه لا يجوز العقد بدون رضا هذا أو ذاك، ولو عقد عقداً إكراهى كان باطلاً.

الخامس: وليس لأى منهما أن يبخس الآخر حقه، بأن يسرق

ص: ١٤١

١-.

٢-.

المالك من أجور العامل، أو يسرق العامل من ساعات المالك، أو ما أشبه ذلك.

السادس: وكل واحد من العامل ورب العمل له حقوق سياسيه واجتماعيه متساويه باعتبار أنهما في (أمه واحده).

السابع: والعامل يجب أن يلاحظ فيه قدر عمله، فلا يعطى أقل من كرامته الاقتصاديه، على ما تقدمت الإشارة إليه، ولو فرض أن عمله لا يسوى قدر كرامته الاقتصاديه المتوسطه في معيشته ومعيشه عائلته، فاللازم على بيت المال إعطاؤه التفاوت.

الثامن: وإذا كان أحد الطرفين من المالك والعامل غبن في عقده كان له خيار الفسخ.

التاسع: ولهما أن يتفقا على تعقيب شيء من أجوره لأيام شيخوخته ومرضه وما أشبه ذلك.

العاشر: كما أن للعمال أن يشكّلوا نقابه تحميهم عن نقص الأجور أو الإجحاف أو نحو هذه الأمور.

الحادى عشر: ولا يحق لصاحب العمل إضرار العمال ضرراً منفيماً في الشريعة، حيث قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «لا ضرر ولا ضرار»^(١)، كما لا يحق لنفس العامل أن يضر نفسه ضرراً منفيماً في الشريعة، وقد قال (صلى الله عليه وآله): «إن لبدنك عليك حقاً».

الثانى عشر: واللازم التعامل بينهما قبل العمل على قدر الأجور، سواء قدر العمل بالزمان أو بالمكان أو بالوحدات الإنتاجيه، أو بما أشبه ذلك،

ص: ١٤٢

مثل زمان ساعات من العمل فى كل يوم، أو زراعته الأرض من هنا إلى فرسخ، أو بقدر إنتاج ألف وحده صناعيه، كل ذلك بحيث لا يكون غرر فى البين، وفى الحديث: «نهى النبى (صلى الله عليه وآله) عن الغرر»(١).

الثالث عشر: ولا يجوز استخدام الأطفال إلا بأذن أوليائهم، وفى عمل لا يرهقهم.

الرابع عشر: لا يجوز استخدام النساء بما يرهقهن بالعسر المحرم فى الشريعة الإسلاميه، ولا يحق لأى من العامل والمالك التصدى له.

الخامس عشر: يحرم العمل فى المحرمات الشرعيه كصنع الخمر أو بيعها أو ما أشبه ذلك، وقد ذكرنا بعض الكلام فيه فى كتابى (التجاره) و(الوجبات والمحرمات).

السادس عشر: ولا يجوز لرب العمل تأخير الأجره عن وقتها، ولا عدم دفعها، ولو فعل ذلك حق للأجير الشكايه إلى قضاء عادل، فإن لم يرضخ المالك حق للحاكم الشرعى حبسه، وأن يأخذ من مال المالك ويعطيه تقاصاً، على تفصيل مذكور فى (الفقه).

السابع عشر: كما أن العكس كذلك، حيث إن العامل إذا لم يف بعقده كان للمالك الشكايه وأخذ حقه منه بالطرق المشروعه.

الثامن عشر: وإذا أصاب العامل بسبب العمل عطب، كسقوط جدار المنجم عليه أو ما أشبه ذلك، فإذا كان العقد بشرط تحمل المالك المصارف فيها، وإلا كان على بيت المال القيام بالمصارف إذا لم يقدر هو

ص: ١٤٣

على المصرف.

التاسع عشر: وضمان الخدمه يمكن جعله شرطاً في العقد، فلا يجوز إخراج المالك العامل عن الخدمه، وعليه فاللزام العمل حسب هذا الشرط.

العشرون: وإذا شرط أحدهما على الآخر شرطاً لا يخالف الكتاب والسنة، ولا يكون خلاف مقتضى العقد يكون الشرط نافذاً.

الواحد والعشرون: وللعامل أن يشترط مشاركته الأرباح على المالك علاوة على الأجر فله شرطه، كما له أن يشترط مشاركته فقط بدون أجره له فوق ذلك، كما أنه يصح له أن يكون العقد بالأجره بدون المشاركة في الأرباح.

الثاني والعشرون: وإذا تعاقدا السنه مثلاً ثم صار التضخم بما لم يكف أجر العامل لحياته الاقتصادية مما عد مغبوناً عرفاً، وحتى لو كان كافياً لحياته الاقتصادية المتوسطه، كان له الفسخ من جهة الغبن.

الثالث والعشرون: كما في العكس إذا صار التنزل بما يكون المالك مغبوناً كان له الفسخ.

الرابع والعشرون: والأخلاق الاجتماعية تقتضى تنظيم أجور العمال بما يرتفعون في حالتهم الاقتصادية إلى مستوى الغنى، وذلك ممكن بسبب عمل الدوله من بيت المال، أو عمل النقابه من مواردها الخاصه، أو عمل أرباب العمل المتصفين بالإنصاف والأخلاقية الرفيعه، وفي الروايات الوارده في باب الزكاه: «إذا أعطيته فأغنه»، وحيث ورد أن الخمس بدل من الزكاه فإننا نرى أن الحكم جار في

ص: ١٤٤

الخمس أيضاً.

الرابع والعشرون: من مصلحة نمو الصناعات والاجتماع بصورة عامه وسيره سيراً حسناً وآمناً أن تنظم العقود والشروط بحيث يقضى على الصراع بين العمال والملاكين، فيكون العمال من حملة الأسهم فى العمل وفى نموه، حتى يشاركوا المالكين، وذلك ممكن حسب العقد أو الشرط بدون إكراه فردى أو أجوائى، أو بمساعدة الحكومه التى تعطى العمال من بيت المال، أو بمساعدة النقابه حتى تعطىهم من صناديقها الخاصه.

الخامس والعشرون: اللازم على الحكومه أو النقابه أو أرباب العمل أو الجمعيات الخيرية الاهتمام ببناء المساكن للعمال، وتزويجهم ذكوراً وإناثاً، وإعطائهم كل حاجاتهم الناقصه، وذلك ممكن حسب العقد أو الشرط، أو توفر بيت المال.

السادس والعشرون: كما أن على الحكومه التدخل لفض النزاعات التى تقع بين العمال والمالكين، وفض النزاعات التى تقع بين العمال أنفسهم، والمالكين بعضهم مع بعض.

السابع والعشرون: للعمال حق الإضراب والمظاهرات إذا لم تصل إليهم حقوقهم إلى حين وصول الحق إليهم.

الثامن والعشرون: لا يجوز للحكومه سن القوانين الجائره على هذا الطرف أو ذاك.

التاسع والعشرون: وكذلك لا يحق لمالك أو عامل أو نقابه أو دوله أو تفرق بين المسلمين، فمثلاً لا يقبل المالك إلا العمال

ص: ١٤٥

العراقيين، أو العامل لا- يعمل إلا- عند المالك الإيراني، فإنه وإن كان لكل مالك وعامل الحق في اختيار الطرف الآخر، إلا أن ذلك محدود بما لا يسبب تفرقه المسلمين مما فهم من الشريعة الإسلامية إرادته عدمها.

الثلاثون: لا- يحق لأحد - دولة أو غير دولة - منع العامل أن يسافر إلى بلد آخر قطر آخر، فإن الإنسان حر في نطاق الشريعة الإسلامية.

الواحد والثلاثون: كما لا يحق لأحد أن يمنع من نقل المالك رأس ماله أو معمله أو ما أشبه ذلك إلى بلد آخر إذا كان عمله في نطاق الحرية الشرعية.

إلى غيرها من المسائل الكثيرة التي ذكرناها في (الفقه)، وإنما أردنا الألماع إلى ما يلزم عمله على التيار الإسلامي والدولة الإسلامية المرتقبه بإذن الله سبحانه، وإلا فالتفصيل في مباحثها الخاصة في (الفقه)، والله المستعان.

((الطغيان الحكام))

(مسأله): لقد أثبت التاريخ _ بالإضافة إلى قوله سبحانه: ((إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَكْبَرَ)) (١)، والمراد بالغنى أعم من الصحة والمال السلاح وغير ذلك ولو بالملاك _ أن الإنسان إذا رأى نفسه غنياً يطغى في جهه غناه.

إن الشاب الصحيح الجسم يغتر في أمر ماأكله ومشربه ومنكحه غروراً بما يؤدي بصحته.

وذو المال يطغى بماله في السرف والترف وغيرهما، فإن الفقير يسكنه الفقر بخلاف الغنى، حيث يقوده غروره بالمال إلى أن يقتحم المهالك اعتماداً على ماله الذي يظن أنه يحل له كل مشكله، قال سبحانه: ((الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ)) (٢)، فيقول: عندي مال، ولذا يحارب جاره في أقل مشكله اعتماداً إلى مراجعه الحكام والفوز بالقضيه وإن كانت باطله بسبب المال.

ولا- يهتم بصحته لغروره، حيث يظن أنه يعطى المال لشفائه إن مرض. وهكذا حال الغرور بالسلاح في اقتحامه المشاكل مما يخشاها الفقير الذي لا سلاح له.

والسلطه من تلك الأمور الموجهه للطغيان.

ولذا قد أثبت التاريخ أنه إذا لم تتعدد الدوله _ في غير المعصوم الذي يعصم بإذن الله سبحانه وتعالى وبمراقبه الملائكه بأمره سبحانه كما قال تعالى: ((فَبِأَنَّهُ يُسَلِّمُكَ مِنْ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصِيدًا، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ)) (٣) _ تبتدىء الدكتاتوريه حيث تنتهى إلى أمثال الحجاج، وابن زياد، وزياد بن أبيه، وهارون، والمأمون، والمتوكل، ويزيد، ومعاويه، ومن إليهم من الطغاه، سواء في المسلمين، أو في غيرهم ك- (لنين) و(ستالين) و(هتلر) و(موسليني) و(ماو) ومن أشبههم، وتعدد الدوله لا- يكون إلا- بتوزيع القدره، وتوزيع القدره أمر جذرى لا- فوقى، فيلزم أن تتقابل القدرات بعضها مع بعض من أصل الإنشاء، كالأحزاب المتعدده التي تنشأ وتنمو نمواً متقابلاً في مختلف فروعها الثقافيه

ص: ١٤٧

١- سورة العلق: ٦ _ ٧.

٢- سورة الهمزه: ٢ _ ٣.

٣- سورة الجن: ٢٧ _ ٢٨.

والإداريه والسياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والعسكريه وغيرها، حتى يكون في كل مجال قدرات متقابه، كل قدره تقابل في نفس مجالها قدره أخرى حتى تكون مراقبه بالكسر، ومراقبه بالفتح، وبذلك يكون نفس القدره في أمن وسلام، ويكون الناس منها في أمن وسلام.

أما نفس القدره، فإن الدكتاتور لا يمر به زمان حتى يسقطه الناس بالسلاح، كما رأينا كيف أسقط الناس الأمويين والعباسيين والعثمانيين ومن إليهم.

وأما الناس، فإن القدره المتمركزه تلعب بالناس، كما تلاعبت الصبيان بالأكر، فلا حرمة لمالهم ولا لدمهم ولا لعرضهم، سواء جاءت القدره باسم الدين أو جاءت باسم الدنيا.

وبعد تقسيم القدره جذرياً يأتي دور حفظ التقسيم بمقومات الحفظ، إذ من الممكن أن تكون القدره مقسمه ابتداءً ثم تطغى قدره على قدره في غفله من الزمن، وتتمركز القدره في استمراريتها بعد أن كانت مقسمه في ابتدائها أو شبه الابتداء، وقد رأينا في جملة من البلاد الإسلاميه بل والعالم الثالث والعالم الشيوعى كيف أن القدره كانت موزعه بين الأحزاب والمنظمات في ابتداء الدوله، ثم أخذت بعض القدرات بمختلف الأسامى والتكتلات الوقتيه تنمو على حساب سائر القدرات حتى سيطرت وأبادت القدرات الأخرى عن الوجود قتلاً وسجناً وتشريداً وتبديلاً.

ومن غير الصحيح أن يقال: إن الشعب الفلانى قابل للدكتاتوريه، إن أى شعب إذا أخذ بالموازن الاستشاريه يكون استشارياً، وإذا لم يأخذ بها يكون دكتاتورياً، كسائر أسباب الموت والحياء في مختلف الأبعاد الأخر،

كالأخذ بأسباب العلم والجهل، والغنى والفقر، والشجاعه والجبن، والتقدم والتأخر، فإن حال الشعب حال الفرد يكون كالصفحة البيضاء، إن رسم فيها الشجاعه كان شجاعاً، أو الجبن كان جبناً، أو الكرم كان كريماً، أو سوء الأخلاق كان سىء الأخلاق، إلى غير ذلك من الصفات المتضاده أو المتناقضه، ولذا نرى تتحول الأمم من حاله إلى حاله، فالهند مثلاً كانت تحت الاستعمار مئات السنين فلما وجدت قياده حزب المؤتمر تحولت إلى السياده، وبالعكس فى بعض الدول الإسلاميه التي تحولت من السياده إلى قبول الاستعمار لما تغيرت قيادتها من وعاه العصر على أقل تقدير إلى جهله به، وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس» (١).

إن الدكتاتور لا يتمكن من إعطاء الناس حقوقهم أو مثالياتهم التي يزعمون أنها من حقهم، وإن لم يوفرها لهم الحاكم لا يستحق الحكم، فيأخذ الناس فى سبه ومهاجمته، وهو فى رد فعله على هذه الحاله يلتجئ إلى القدره فى إسكات الناس، وتتوسع دائره تهجم الناس عليه، ورد فعل الناس التوسعه فى التهجم قبال توسعته، وهكذا إلى أن يسقطه الناس بقوه السلاح أو ما أشبهه، كقوه الإضرابات والمظاهرات، فإن هذه القوه تفوق قوه السلاح أضعاف الأضعاف.

أما غير الدكتاتور، فالناس لا يتوقعون منه المثاليات لأنه يقنعهم إقناعاً، وأما قدر حقوقهم الممكنه فإنه يعطيها لهم فلا يكون هناك تراشق بالتهجم ثم الانفصال ثم السقوط.

((المؤسسات الدستوريه))

((المؤسسات الدستوريه))

وعلى أى حال، فاللازم على التيار الإسلامى قبل الوصول إلى الحكم، والدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه، الإهتمام بالمؤسسات الدستوريه حتى تبقى القوى متقابله

ص: ١٤٩

ومراقبه بعضها لبعض، وهى عبارته عن: الأحزاب، والمنظمات، والجمعيات، والهيئات، وجماعات الضغط، والصحف، وسائر وسائل الإعلام، وصناديق المال التى ترفد الأمور المذكوره، وهكذا سائر النشاطات المتواجده فى مختلف الساحات.

ونظرة واحده إلى كل من العراق ولبنان تعطى دليلاً على ما ذكر بأجلى دلالة، فلبنان حيث المؤسسات الدستوريه لم يتمكن المستعمرون ولا الحرب القائمته منذ اثنتى عشره سنه أن تحد من حريات الناس، فهم بعد عشرات الألوف من القتلى والجرحى وخراب ألوف الدور والمحلات لم يزالوا أحراراً فى تجارتهم، وزراعتهم، وسفرهم، وإقامتهم، وعمارتهم، وصناعاتهم، وأبدانهم الرأى، وجرائدهم، ومجلاتهم، وإذاعاتهم، وتلفزيوناتهم حره، إلى غير ذلك، حتى أصبحت لبنان حتى فى حاله الحرب فى كل الشرق الأوسط مهوى قلوب الملايين فى مصر والعراق والسودان وغيرها.

بينما نجد العراق _ حيث إنها لم تكن لها مؤسسات دستوريه متجذره وإن كانت شكلية فى أيام الملكيين كأحزاب الدستور والأمة والاستقلال والديمقراط وغيرها _ أطاح بتقسيم القدره والديمقراطيه فيها جماعه صغيره من الضباط المرتبطين بالاستعمار البريطانى فى إنقلاب قاسم، والآن منذ ثلاثين سنه وقد تبدل الحكم من الشيوعيه إلى القومييه والبعثيه بمختلف أشكال الثلاثه أيضاً ترتطم العراق فى أبشع أنحاء الدكتاتوريه مما لم يشاهد ها حتى أيام الحجاج وهلاكو، كان الحجاج يحكم النصف الشرقى من العالم الإسلامى مده عشرين سنه ومع ذلك لم يكن له من القتل حتى ربع قتلى صدام الذى لا يحكم سوى العراق فيما يقارب عشر سنوات، والمغول فعلوا ما فعلوا لكنهم احتراموا النجف الأشرف وكربلاء المقدسه والحله باعتبارهم أنها مراكز الأئمه (عليهم السلام) والعلماء والعباد

والزهاد، مع أنهم ما كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولا بأى دين إطلاقاً، وكانوا فى غاية التوحش بينما لم يترك صدام لذى احترام احترامه.

وعلى أى حال، فالنهضة الحديثه للعالم الإسلامى لا تكون مثمره إلا بجدور من توزيع القدره، ومؤسسات دستوريه تحفظ هذه الجذور، وحيث قد امتلأت البلاد الإسلاميه فى الحال الحاضر بالأحزاب والمنظمات والصحف والنشاطات، وإن كانت غير كافيه، لا كما ولا كيفاً، إلا أنه من الممكن تطويرها فى الجهتين لتكون جذوراً قويه ومؤسسات دستوريه للدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله تعالى.

((التطور ومقوماته))

((التطور ومقوماته))

والتطور بأمور:

الأول: باهتمام الحركات فى مختلف أشكالها بالنظافه الاجتماعيه، فى صنعهم وسلوكهم، فإن بعض الحركات كما شاهدناها تجنح إلى الهامشيات والعنجهيات مما يسبب انفضاض الناس من حولها، فلا تقدر على احتواء الجماهير، ومثل هذه الحركات على إدعاءاتها العريضه لا تتمكن من شىء إطلاقاً.

الثانى: ترك كل شىء غير مرتبط بالوصول إلى الهدف.

الثالث: ارتباط الحركات والنشاطات بعضها ببعض حتى تصب الجميع فى تيار واحد فى قبال المستعمرين الذين هم تيار واحد على ما بينهم من توزيع القدره واختلاف الاتجاهات وتضارب المصالح، قال سبحانه: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)) (١).

وقال تعالى: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) (٢).

ص: ١٥١

١- سورة آل عمران: ١٠٣.

٢- سورة الأنفال: ٤٦.

وقال سبحانه: (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (١).

وقال (صلى الله عليه وآله): «المؤمنون يد واحده على من سواهم» (٢).

الرابع: التمسك الأكيد باللاعنف، فإن العنف أول ما يحطم الحركات، وقد تقدم تفصيل ذلك في مسأله العنف واللاعنف.

الخامس: جعل الاستشاريه فى داخل الحركات، فإن من لم يكن استشارياً مع نفسه كيف يكون استشارياً مع غيره.

وبذلك تتمكن الحركات من مقابله الدكتاتوريه الداخليه والاستعمار الخارجى، ولا يزعم أن ما ذكرناه شىء سهل، فإن السقوط دخل فى مختلف جوانب حياه المسلمين، فلم يبق حتى بلد واحد أو قوه واحده سالمه، فقد دخلت القوى المعاديه للإسلام إلى عمق البلاد الإسلاميه حتى أصبحت لها جذور فى كل بلد بلد، وفى كل جماعه جماعه، ولذلك كل الصراعات يكون بالإضافة إلى أنها خارجيه داخليه أيضاً، فلا توجد الآن حد محدود بوضوح بين الإسلام وبين الاتجاهات المنحرفه عن الإسلام.

مثلاً تجد فى العراق البعثى والشيوعى والقومى إلى جانب المسلم، وإن كان بعض الشيوعيين أو البعثيين أو القوميين أيضاً يصلون ويصومون ويزورون العتبات المقدسه، إن أعضاء المجتمعات الإسلاميه الذين يصرون على القبول بسياده الغرب السياسيه أو الاجتماعيه أو الثقافيه أو الاقتصاديه أو التربويه أو ما أشبه ذلك هم قد أصبحوا حكماً على البلاد الإسلاميه، كما أنهم أصبحوا فى بيوتنا أيضاً، فترى أحياناً بعثياً وأحياناً مسلماً، وهكذا فى جيراننا وأبناء بلدتنا، وما أشبه ذلك، وهذا هو السبب فى أن عنصر الصراع الذى دخل البلاد الإسلاميه صار ذا نتائج خطيره على المسلمين، وصعب على المسلم أن يختار لنفسه مخرجاً للتهرب

ص: ١٥٢

١- سورة المؤمنون: ٥٢.

٢- .

من نتائج هذا الصراع، وهذا الصراع بمختلف جوانبه ما ترك أحداً بدون أن يتأثر به، ولا خيار للمسلمين في تجنب هذا الصراع، فالمسلم الآن بين خيارين الدخول أو الهروب.

ومن الواضح أن هذا الشيء من أصعب الأمور، وإذا أردنا أن نمثل ذلك بما قاله الرسول (صلى الله عليه وآله): «إن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(١)، وعلمنا أن النفس كم تردى من الأفراد، عرفنا أن العدو الخارجى الذى دخل بلادنا بسبب هذه الأحزاب والمنظمات وشبكات الفساد وما أشبه كم تردى من المسلمين، وأنه كيف يكون سداً غريباً فى داخل بلاد الإسلام ضد الإسلام.

إن الذين يعادون الإسلام قد أعلنوا حربهم على الإسلام بالفعل، لكن بصوره ماكره، لا- كالحروب الصليبيه السابقه، وأعظم تجسيد لإعلانهم الحرب فى العصر الحاضر تعزيز التيارات المختلفه من شبكات الفساد والقوميات والشيوعيات والبعثيات والديمقراطيات، وإنما أتينا بصيغه الجمع لأن لكل واحد من هذه المبادئ ألوان لا لون واحد، كالاشرافيه العربيه والاشتراكيه الكرديه والاشتراكيه الإيرانيه وإلى غير ذلك.

ومن الواضح أنه لا حلول وسط بين الإسلام وغير الإسلام، ولا صورته للتوفيق والمجاملات على حساب الإسلام، ومن المعلوم أنه لا سلام فى عالم الإسلام ولا تتوحد الجهود والقوى وترجع الأمه إلى ما كانت عليها ما دامت فيه هذه الآثار، ولن يكون برنامج ما واقعياً مستنداً إلى القرآن الكريم والسنة المطهره ما لم ينطلق المسلمون بكل حيطة وحذر وتعقل وصبر لإنقاذ الأمه الإسلاميه من هذه السرطانات الناشبه فى جسم الأمه، سواء فى أمورها السياسيه أو الثقافيه أو الاقتصاديه أو الاجتماعيه أو التربويه أو العسكريه أو غيرها، فالأمر

ص: ١٥٣

يحتاج إلى بيان خطه واضحه المعالم تطابق العقل والشرع لتحويل الأمة الإسلاميه فى صورته مجموعه أهداف محدده قابله للتطبيق، لأجل نقل الأمة من حالتها الراهنه إلى الحاله الإسلاميه المتواجده فى الكتاب والسنة وما رأينا فى سيره الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام).

والفكر السياسى والاجتماعى والاقتصادى والتربوى فى البلاد الإسلاميه خلال قرنين من الزمان من حين الاستعمار يظهر عليه آثار رد الفعل بانحطاط القوه الإسلاميه فى السياسه والحضاره، وظهور الغرب كقوه سياسيه وحضاريه عالميه والمسلمون فى الانهزام المستمر، إلا- فى بقع صغيره من النور هنا وهناك، ومثل هذه البقع الصغيره لا- تتمكن أن تبدل ظلام المحيط بكل الشؤون الإسلاميه إلى نهار إسلامى شامل.

فقد أدهشت إنجازات الغرب العلميه والتقنيه والاقتصاديه وغيرها كثيراً من مفكرى المسلمين، ودفعتهم إلى تبنى مبدأ التقدم كما يحدده الغرب، وذلك بزعمهم أن هذا هو سبيل الخلاص للمسلمين، وجماعه منهم قد أنفق كثيراً من طاقاته لأجل التوفيق بين هذا التقدم وبين الإسلام، ومعنى ذلك أنهم يريدون ترقيع الإسلام بالتقدم الغربى، أو ترقيع التقدم الغربى بالإسلام.

كما رأينا فى العراق وفى غير العراق أن قسماً منهم كانوا يقولون: إن الإسلام شيعى، أو بعثى، أو ديمقراطى، أو قومى، أو وجودى، وكان يقول (سوكارنو): أنا مسلم شيعى ديمقراطى، ولذا نرى العالم الإسلامى قد انقسم فى اقتصاده إلى الرأسماليه الغربيه، والشيعيه الشرقيه، أو المزيج منهما مما تسمى بالاشتراكيه.

والحاصل: إن محاولات المسلمين للتوفيق بين الإسلام وبين الغرب على حساب الإسلام لا يكون من الإسلام فى شىء، لأن الإسلام يريد أن يكون الدين لله وحده، ولا يقبل بالتشريك، فإن التشريك يكون إلى غير الإسلام أقرب منه إلى

الإسلام، فتسميه التقدم الغربى أو الاقتصاد الشرقى ببرنامج تطبيق التشريعات الإسلاميه لا يغير من واقع الانحراف والتأخر شيئاً.

والأغرب من هذا الأمر: أن هناك إسلاميين يرون أن الغرب أصدقاء للمسلمين، أو أن الشرق أصدقاء لهم، وحتى فى هذه الآونه الأخيره التى غزت روسيا أفغانستان لم يستعد جملة من حكام المسلمين إدانته الغزو، فقسم منهم يقولون: إن الشرقيين أصدقاء المسلمين لأنهم ضد إسرائيل، وقسم منهم يقولون: إن الغرب أصدقاء المسلمين لأنهم ضد الشيوعيه المعاديه للإسلام، فاللازم علينا أن نرجع إلى أصولنا وجدورنا حسب ما يفهمه فقهاء المسلمين، وما ذكروه فى كتبهم منذ ألف سنه، وذلك لا يكون إلا إذا أدركنا جيداً أننا لا نستطيع أن نفكر فى إنهاض الأمه الإسلاميه إنهاضاً شاملاً بدون أن نصل إلى قناعه واضحه بأنه لا سبيل إلى التوفيق بين الإسلام والغرب أو بين الإسلام والشرق.

قال سبحانه: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) (١).

وعند هذه القناعه سنجد المناخ الروحى والمادى والتاريخى الذى يفرض تحول الأمه إلى مسلمين واقعيين خارجين من التأخر إلى التقدم.

ليس معنى ذلك أن نقول: إن كل شىء من الغرب أو الشرق خطأ، أو أن كل عاده تسربت إلى المسلمين صحيح، وإنما المعيار ما ذكرناه مما يعينه شورى الفقهاء العدول الذين هم مراجع الأمه، سواء كانوا من الشيعة أو كانوا من السنه كل بالنسبه إلى طائفته، مع الغض عن البحوث الأصوليه على ما ذكرنا تفصيل ذلك فى كتاب: (كيف نجمع شمل المسلمين).

فإذا حدد المسلمون أهدافهم والطرق إلى تلك الأهداف فى

ص: ١٥٥

ضوء الكتاب والسنة سيجدون طريقهم إلى الإنقاذ بإذن الله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك أن نبحت عن البدائل الإسلاميه والرأسماليه والاشتراكيه والديمقراطيه على الأسلوب الغربى والشيوعيه والقوميه وغيرها، وبذلك يكون قد وصلنا إلى حل مشكله التخلف، ومشكله عدم التنميه والفقير وتوزيع القدره وغير ذلك، فإنه لا سبيل إلى تطوير الطاقات الإسلاميه إلى الهدف الإسلامى وتعبئتها إلاّ- إذا كانت مصادر طاقتنا وأساليبنا ومناهجنا تنبع من داخل الإسلام نفسه.

وقد ذكرنا نحن كمثال لذلك فى بعض كتبنا: الجيش الإسلامى، فإن الجيش الإسلامى ليس بهذه الصوره التى هى الآن فى بلاد الإسلام، والتى هى صوره من الغرب، فإن الأسلحه التى تُشترى من الغرب أو التى يهديها الغرب بقصد الاستعمار لا- يمكن استخدامها لأجل عظمه الإسلام وتقديمه، وقد رأينا كل استعمال لتلك الأسلحه لا يعود إلى الإسلام والمسلمين إلاّ بشرّ، وكذلك الجيوش التى تتألف من الجنود والضباط المرتزقه على هذا الأسلوب، لا على الأسلوب الذى كونها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنها لم تحارب لأجل الإسلام مهما كانت الظروف، إلى غير ذلك من الأمثله الكثيره والتى ذكرنا جملته منهما فى كتبنا الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه وغيرها.

إن الحدود الجغرافيه التى مزقت الأمه شر تمزيق، سواء عند من يدعى الإسلاميه أو غير الإسلاميه، من أقوى السدود دون تقدم المسلمين والإسلام، وتحولهم من التخلف إلى مقبض الزمام.

وعلى أى فاللازم أن يهتم التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه إلى هذه الجبهه المهمه التى بدونها لا يمكن قيام الإسلام من جديد، والله الموفق المسهل.

((فلسفه التأخر))

(مسأله): قسم من الناس بينون حياتهم على الانحراف وفلسفه التأخر وفي ذلك المنطلق يسيرون، وإن كان لهم منتهى الأمل في التقدم، وكثيراً ما يحترقون شوقاً إلى أن يصلوا إلى هدف يرونه حسناً.

ومن بينى حياته على فلسفه التأخر لا يمكن أن يصل إلى الهدف مهما كان قريباً، فكيف بما إذا كان الهدف بعيداً. وعلى التيار الإسلامى والدوله الإسلاميه المرتقبه أن لا بينيا أمرهما على ذلك، بينما نشاهد أن الأغلب فى التيارات الإسلاميه ذلك، ولا نقول الكل.

وإن لم يصل أحدهم إلى ذلك الهدف المنشود، لأن فيهم بعض من ليسوا كذلك، وإنما عدم مساعده الظروف أخرتهم عن الوصول، كمن يهيو أسباب السفر إلى هدف خاص لكنه لا يصل إليه لمعوقات خارجيه، لا لعدم إعداده العده اللازمه، ونحن نذكر بعضاً من تلك الفلصفه للإلماع فقط، لا الاستيعاب، وقد ذكرنا فى (فقه الإدارة) ما يمكن أن يكون مرشداً إلى مثل هذا المبحث:

((الغرور))

((الغرور))

الأول: الغرور، فإن المغرور لا يصلح لأن يتقدم بنفسه، فكيف بأن يقدم غيره إلى الأمام، بله ما إذا كان تقديم الإسلام وهداياه الأنام ونشر الأحكام.

وليس الغرور ما يميزه الشخص بنفسه، بل ما يقوله الناس إنه غرور، فإن الموضوعات بنظر العرف، وإلا فأى مغرور يعترف أنه مغرور؟، فإن غالب الأخلاق الذميه لا يعترف بها أصحابها.

وليس الغرور خاصاً بمن يقصد تقديم الإسلام، بل يأتى فى طالب العلم، وطالب المال، وطالب الجاه وغيرها، فإن من يطلب العلم لكنه مغرور بما علم لا يكتسب المزيد حتى يصل، وهكذا غيره من طالب شىء وهو مغرور.

وفى الإسلام جمله وافيه من النصوص فى ذم الغرور.

الثانى: الكبر، وهو رؤيه النفس أرفع من الغير، سواء كان الغير إنساناً أو عملاً، قال سبحانه: ((وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ)) (١).

وقال سبحانه: ((لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) (٢).

وقال: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) (٣).

إلى غيرها من الآيات.

إن العمل كالعلم يحتاج إلى تواضع خاص، وقد قيل لأحد كبار العلماء: كيف وصلت إلى ما وصلت، قال: لأنى لم أتحاش أن أسأل عما لا أعلم.

وسألت امرأه عن عالم عن مسأله، فقال العالم بكل تواضع: لا أعلم، فقالت المرأة: فلماذا تأخذ هذه المبالغ الطائله من الناس، قال العالم: هذا لعلمى القليل ولو كنت أردت أن آخذ لأجل جهلى لم يكف كل ثروه العالم لذلك، حيث جهلى لا تعداد له.

ومثله ينقل عن عالم آخر كان على المنبر، فسأله إنسان عن مسأله فقال: لا أعلم، قال السائل: فلماذا جلست هذا المكان المرتفع، قال العالم: ارتفاع هذا المكان بقدر علمى القليل، ولو أردت أن أجلس مرتفعاً بقدر جهلى كنت أصل إلى السماء ارتفاعاً.

وعلى أى حال، فالإنسان الذى يتكبر منطو على فلسفه التأخر، ولذا ورد فى ذم التكبر جمله كبيره من الروايات:

فعن ليث المرادى، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله فى النار» (٤).

وعن زراره، عن أبى جعفر وأبى عبد الله (عليهما السلام) قالوا: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذره من كبر» (٥).

ص: ١٥٨

١- سورة الدخان: ١٩.

٢- سورة الحجرات: ١.

٣- سورة لقمان: ١٨.

٤- .

٥- .

وعن ابن بكير، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر، وقد شكى إلى الله عز وجل شدة حره وسأله عز وجل أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم» (١).

وعن داود بن فرقد، عن أخيه، قال: سمعت الصادق (عليه الصلاة والسلام) يقول: «إن المتكبرين يجعلون في صورته الذر تطوهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب» (٢).

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من عبد إلا وفي رأسه حكمه وملكه يمسكها، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، وإذا تواضع رفعه الله عز وجل، ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس» (٣).

وعن مسعده بن صدقه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام): «إن علياً (عليه السلام) قال: «ما أحد من ولد آدم إلا وناصيته بيد ملك، فإن تكبر جذبته بناصيته إلى الأرض، ثم قال له: تواضع وضعك الله، وإن تواضع جذبته بناصيته ثم قال له: ارفع رأسك رفعك الله ولا وضعك بتواضعك الله» (٤).

وفي روايه عن الباقر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن لإبليس لكحلًا ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الكبر» (٥).

وعن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

ص: ١٥٩

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .

«ثلاثه لا ينظر الله إليهم، ثانی عطفه، ومسبیل إزاره خيلاء، والمنفق سلعته بالأيمان، إن الكبرياء لله رب العالمين» (١١).

إلى غيرها من الروايات.

((كثرة الشكوى وبيان المشاكل))

((كثرة الشكوى وبيان المشاكل))

الثالث: تعداد مشاكله عند الناس، فإن بعض العاملين ينطوى على هذه الصفه السيئه، فلا يزال يعدد شكايته عند أصدقائه، أو فى صفحات ما يملكه من الجرائد والمجلات أو ما أشبه ذلك، فيقول: أنا فعلت كذا من الحسن والناس قابلوني بكذا من السىء.

وهؤلاء يذهبون إلى القاضى وحدهم، وأخيراً يصل أمثال هؤلاء إلى المهاترات، وكل ممن يعد شكايته ومظلمته للناس، ومن يهاتر لا يستحق تقدماً، إن التقدم له مشاكل، وفى المثل: ليس الطريق مفروشاً بالأوراد، وليست الأهداف تقدم إلى الهادين على طبق من ذهب.

نعم قد يقول الإنسان مشكلته لغيره فى سبيل الاستنجاذ به فى حلها، لكن هذا غير من يرى مشكلته كبيره، وأنه يريد بذلك بيان فضائل نفسه واستدرار العطف نحوها، ولذا وردت الروايات فى ذم الشكايه إلى الناس، إنها فى الإنسان العادى مذموم، فكيف بالإنسان الذى يريد التقدم والتقديم.

((كثرة التوقعات))

((كثرة التوقعات))

الرابع: توقع الرفاه والرخاء والمدح، فإن لم يحصل الإنسان عليها أخذ فى التأفف والتبرم، وكثيراً ما يسمع الإنسان عاملاً يقف عن العمل فيقال له: لماذا وقفت، أجب بأنه: برد من العمل بعد ما لم يقدر الناس عمله، ولم يتمكن من تحصيل الرفاه المطلوب، أو يقول: لماذا أعمل، أو لمن أعمل، كأنه يريد لعمله الجاه والمال وما أشبه لا

ص: ١٦٠

الهدف، ومثل هذا الإنسان حقيق بأن يتأخر، قال سبحانه: ((وَلَا تَمُنُّنَّ تَشْتَكِيْنَ)) (١).

وقال تعالى: ((يُمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)) (٢).

إن الطريق ملئ بالأشواك، فعلى من يريد تقديم الإسلام أن يعرف ذلك سلفاً، فإن لم يكن من رجاله فلا يتعب نفسه بسلوكه ليقف في وسط الطريق وقد باء بالفشل، وبعضهم يسير بفلسفه تقديمه ثم تنمو فيه هذه الملكة السيئه، وإذا به يرتد على عقبه وهو يبوء بالفشل، لا بعمله فحسب بل في جهاده السابق أيضاً حيث يخسر سمعته.

((عدم فهم الحياه))

((عدم فهم الحياه))

الخامس: عدم تفهم الحياه، فإن للحياه موازين خاصه إذا سار الإنسان على طبقها وصل إلى هدفه، وإلا لم يصل، قال سبحانه: ((وَأُتُوا النَّبُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا)) (٣).

وفهم أبواب الحياه ليس بشيء سهل هين، إنه بالإضافة إلى الدراسات الطويله بحاجه إلى التجارب وطول معاشره الناس حتى يعرف مواقع العطب والسلامه والتقدم والتأخر، فغير الدارس لعلوم الحياه لا يفهمها مهما كان ذكياً، والمنقطع عن الناس وتجاربهم لا يفهمها مهما كان ملتفتاً، وهذا من أسرار سقوط المستبدین، فإنهم يتحاشون عن المعاشره مع الناس، فيأخذ فهمهم للحياه في التقلص.

ومن لم يفهم الحياه لا تفهمه الحياه، وحيث إن تيار الحياه جارف شديد الجرف يجرف بأمثال هؤلاء، وأقل نظره إلى الطغاه والمستبدین في كل زمان ومكان يعطى ما ذكرناه، وأنه كيف جرفتهم الحياه فخرسوا أنفسهم وأهليهم، وكل مكاسب حصلوا

ص: ١٦١

١- سورة المدثر: ٦.

٢- سورة الحجرات: ١٧.

٣- سورة البقره: ١٨٩.

عليها، قال سبحانه: (إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ) (١).

((سوء الخلق))

((سوء الخلق))

السادس: سوء الخلق، ويا له من صفة توجب انفضاض الناس من حول الإنسان العادى فكيف بالعامل.

ولسوء الخلق مظاهر من جملتها عدم الائتلاف مع الناس بالسلام والكلام والصبح واللين وغير ذلك، وفي الروايات جملة كبيره من الإلماع إلى سوء هذه الصفة.

وأحياناً كلمه ناييه أو عمل ناب يوجب سقوط الإنسان.

فعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل» (٢).

وعن السكوني، عن الصادق (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أبى الله لصاحب الخلق السىء بالتوبه، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله، قال: إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه» (٣).

وعن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من ساء خلقه عذب نفسه» (٤).

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آباءه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محاله، وإياكم وسوء الخلق، فإن سوء الخلق في النار لا محاله» (٥).

وعن مسعده، عن الباقر، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال على (عليه السلام): «ما من ذنب إلا وله توبه، وما من تائب إلا وقد

ص: ١٦٢

١- سورة الزمر: ١٥.

٢-

٣-

٤-

٥-

تسلم توبته ما خلا السىء الخلق، لأنه لا يتوب من ذنب إلا وقع فى غيره أشر منه» (١).

وعن ابن سنان، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل: إن سعد بن معاذ قد مات، إلى أن ذكر تجهيزه ودفنه _ ثم قال فقالوا: أمرت بغسله وصليت على جنازته ولحدته، ثم قلت: إن سعداً قد أصابته ضمته، فقال: نعم إنه كان فى خلقه مع أهله سوء» (٢).

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «لا سؤدد لسىء الخلق» (٣).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «خلفان لا يجتمعان فى مؤمن: الشح وسوء الخلق» (٤).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إنه قال فى حديث: «وسوء الخلق زمام من عذاب الله فى أنف صاحبه، والزمام بيد الشيطان يجره إلى الشر، والشر يجره إلى النار» (٥).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، إنه سئل عن أدوم الناس غمماً، قال: «أسوأهم خلقاً» (٦).

وعن على (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «سوء الخلق نكد العيش، وعذاب النفس» (٧).

وقال (عليه السلام): «سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الأنس» (٨).

وقال (عليه السلام): «سوء الخلق شؤم، والإساءة إلى المحسن لؤم» (٩).

ص: ١٦٣

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

٩-.

وقال (عليه السلام): «سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد»^(١).

وقال (عليه السلام): «كل داء يداوى إلا سوء الخلق»^(٢).

إلى غيرها من الروايات.

((ملذات الحياه))

((ملذات الحياه))

السابع من سمات التأخر: الاهتمام بملاذ الحياه.

إن من يشغل بالأزواج والمآكل اللذيذه والمشارب الشهيه والتفرج والأسفار وما أشبه ذلك هل يبقى له من الوقت حتى يتقدم، وقد ألمع النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك بقوله: «لا أشبع الله بطنه»^(٣)، وإلا فلم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) سبأاً ولا لعاناً ولا صحاباً ولا عياباً.

وبعض الناس يتحiron فى الجمع بين الطائفتين من الروايات، مع أن الجمع واضح، إن اللازم على المصلحين أن يضربوا الزوائد، وأحياناً يحتاج الضرب إلى الشده كالطبيب الذى يريد علاج الأمراض المحتاجه إلى العمليه الجراحيه لتطبيب المرضى، فهل يقال له: إنه يجرح الناس، فقول: إن هذا الطبيب نزيه إلى الغايه لا- ينافى أنه يشق الصدور ويقر البطون ويقطع الأطراف لأجل إزاله شأفه الأمراض والأعراض.

فالاهتمام بملاذ الحياه نوع من فلسفه التأخر، ولا يمكن الجمع بين التقدم وبينه، وإذا ذهبت إلى زعيم لجماعه ورأيتة يرفل فى النعيم فاعلم أنه آئل للسقوط، كما أنه إذا رأيت إنساناً يدعى التحرق لتقديم الإسلام وهو ملته بالملذات، فاعلم أنه ادعاء أجوف وليس كلامه إلا الثرثره، يقول الشاعر:

وكل يدعى وصللاً بليلى

وليلى لا تقر لهم بذاكا

إذا اشتبكت^(٤) دموع فى حدود

تبين من بكى ممن تباكا

ص: ١٦٤

٤- ([٤]) وفي بعض النسخ: (اشتبهت).

ولهذا نجد في الروايات جملة كبيره في التحريض على الزهد، يقول علي (عليه الصلاة والسلام): «إياكم والتلهي» (١).

وعن الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما لي وللدنيا، إنما مثلي كراكب رفعت له شجره في يوم صائف فقال تحتها، ثم راح وتركها» (٢).

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: رسول الله (صلى الله عليه وآله): «في طلب الدنيا أضرار بالآخره، وفي طلب الآخره أضرار الدنيا، فأضرروا بالدنيا فإنها أحق بالأضرار» (٣).

ومن المعلوم المراد الدنيا التي لا تجتمع مع الآخرة، والآخرة التي لا تجتمع مع الدنيا، وإلا فقد قالوا (عليهم الصلاة والسلام): «ليس منا من ترك آخرته لدنياه، أو ترك دنياه لآخرته» (٤)، وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)) (٥).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام): إن في كتاب علي (عليه السلام): «إنما مثل الدنيا كمثل الحيه، ما ألين مسها وفي جوفها السم النافع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوى إليها الصبي الجاهل» (٦).

وعن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصيه النبي لعلي (صلوات الله عليهما)، قال: «يا علي إن الدنيا سجن المؤمن وجنه الكافر، يا علي أوحى الله إلى الدنيا: أخدمى من خدمنى وأتعبى من خدمك، يا علي إن الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضه لما سقى الكافر منها شربه من ماء، يا علي ما من أحد من الأولين والآخرين إلا

ص: ١٦٥

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥- سورة البقره: ٢٠١.

٦-.

وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا- قوتاً»، قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»^(١).

أقول: ومن المعلوم أن المراد بمقدم الحديث ما ذكر في مؤخره، فإن الدنيا الملهيه غير حسنه، وإلا فقد ورد في الأحاديث: «نعم العون على الدين الغنى»^(٢).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيته لمحمد بن الحنفية، قال: «ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغه الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوا خفض الدعء، والحرص داع إلى التقحم في الذنوب»^(٣).

وفى روايه أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من أصبح معافاً في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنه خيرت له الدنيا»، ثم قال (صلى الله عليه وآله) لمخاطب له اسمه ابن جعشم: «يكفيك منها ما سد جوعتك، وأورى عورتك، فإن يكن بيت يكنك فذاك، وإن يكن دابه تركبها فبخ بخ، وإلا بالخبز وماء الجره، وما بعد ذلك حساب عليك أو عذاب»^(٤).

وقال على (عليه الصلاه والسلام): «الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)^(٥)، ومن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتى فقد استكمل الزهد بطرفيه»^(٦).

ولذا أن الرسول (صلى الله عليه وآله) تزهد فى الدنيا

ص: ١٦٦

١- .

٢- .

٣- .

٤- .

٥- سورة الحديد: ٢٣.

٦- .

تزهداً كبيراً، وذلك التزهد أمكنه (صلى الله عليه وآله) إلى سائر صفاته الرفيعة بإذن الله سبحانه من ذلك التقدم المدهش، فقد بنى الرسول (صلى الله عليه وآله) في البدايه فى المدينه المنوره مسجداً، وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) يحمل الطوب واللبن والأحجار ويشارك بنفسه فى بناء ذلك المسجد المتواضع، كما شارك بيناء الغرف فى أطراف المسجد، وكانت جدرانها من اللبن، وسقفه من الخوص، وعمده من جذوع النخل، وكان هذا هو منزله ومسجده ومنازل أزواجه وذويه فى المدينه المنوره، وقد تم بناؤه فى نحو شهرين من العام الأول للهجره، وبعض قال: فى سته شهور.

وقد ذكر بعض المؤرخين: إنه لم يكن _ فى البدايه _ للغرف أبواب، وإنما أسبلت عليها مترائضاً.

وهكذا تزهد الرسول (صلى الله عليه وآله) فى الحياه، مع أنه تدريجياً استولى على تسع دول فى خريطه عالم اليوم، وجاءت إليه الأموال بكثره هائله، وحتى أنه لما مات كانت درعه رهناً عند شخص لقاء طعام أخذه منه لقوت عائلته، وكان مديوناً، حتى أن علياً (عليه الصلاه والسلام) حسب وصيته قضى دينه بعد وفاته.

وعلى أى حال، فالزهد فى الدنيا والإعراض عن ملذاتها، والاكتفاء بالقليل من شيمه الأناس الذين يريدون التقدم، وإلا فكلامهم كلام فارغ، وعملهم غير كلامهم.

((سوء الظن بالناس))

((سوء الظن بالناس))

الثامن: سوء الظن بالناس، فإنه لا يمر زمان إلا ويظهر سوء الظن فى اللسان والعمل، وهل يترك الناس سىء الظن بهم أن يقودهم أو يسودهم.

وكثيراً ما يرى الإنسان شخصاً سىء الظن وقد وصل إلى بعض المراتب لكنه:

ص: ١٦٧

أولاً: إن لم يكن سىء الظن كان وصل إلى أضعاف تلك المرتبه من العلو والارتفاع.

وثانياً: الكلام فى الوصول إلى الهدف، فلا يتوقع سىء الظن أن ينصر الإسلام، أو يسير إلى الأمام، أو يوفق لإقامه الدوله الإسلاميه العالميه.

وفى الروايات جمله وافيه من ذم سوء الظن، وحتى سوء الظن بالله سبحانه وتعالى يوجب النار، لا لأن الله بحاجه إلى حسن الظن، وإنما لعدم قابليه سىء الظن للجنه والمغفره، وإن الثمره لا تكون إلا من جنس الشجره، قال سبحانه: ((وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ)) (١).

وقد قال أبو عبد الله (عليه الصلاه والسلام): «ينبغى للمؤمن أن يخاف الله كأنه مشرف على النار، ويرجوه رجاءً كأنه من أهل الجنه»، ثم قال: «إن الله تبارك وتعالى عند ظن عبده به، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً» (٢).

وعن الباقر (عليه السلام) قال: «وجدنا فى كتاب على (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال على منبره: والذى لا إله إلا- هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخره إلا- بحسن ظنه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكف عن اغتياب المؤمنين، والذى لا- إله إلا- هو لا- يعذب الله مؤمناً بعد التوبه والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله، وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه، واغتياب المؤمنين، والذى لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبده مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخير، يستحيى أن يكون عبده المؤمن

ص: ١٤٨

١- سورة فصلت: ٢٣.

٢- .

قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه رجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»^(١).

وعن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمه خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»^(٢).

وفى روايه عن الصادق (عليه الصلاة والسلام) قال: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمه بينهما، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو برىء مما ينتحل»^(٣).

وعن الباقر (عليه السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام)، فيما كتبه لولده الحسن (عليه السلام): «ولا يغلبن عليك سوء الظن، فإنه لا يدع بينك وبين صديقك صفحاً»^(٤).

وقال (عليه السلام): «لا يعدمك من شفيق سوء الظن»^(٥).

وفى حديث الأربعمائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «اطرحوا سوء الظن بينكم، فإن الله عز وجل نهى عن ذلك»^(٦).

وفى روايه أخرى، عن الصادق (عليه الصلاة والسلام)، قال: «حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء وسلامه صدره، وعلامته أن يرى كل ما نظر إليه بعين الطهاره، والفضل من حيث ركب فيه، وقذف في قلبه من الحياء والأمانه والصيانه والصدق»، قال النبي (صلى الله عليه وآله): «أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتموا بها صفاء القلب ونماء الطبع»، وقال أبي بن كعب: إذا رأيتم أحد إخوانكم

ص: ١٦٩

١-

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

فى خصله تستكرونها منه فتأولوها سبعين تأويلاً فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها وإلا فلوموا أنفسكم حيث لم تعذروه فى خصله يسترها عليه سبعين تأويلاً فأنتم أولى بالإنكار على أنفسكم» (١).

أقول حيث الإمام (عليه الصلاة والسلام) روى عن أبى بن كعب يدل على أن الإمام (عليه الصلاة والسلام) كان يوافقه على ذلك، ولهذا اشتهر بين الناس: (احمل فعل أخيك على سبعين محملاً).

وعلى أى حال، فعن النبى (صلى الله عليه وآله): «إياكم والظن، فإنه أكذب الحديث» (٢).

وقال (صلى الله عليه وآله): «إن فى المؤمن ثلاث خصال، ليس منها خصله إلا وله منها مخرج، الظن والطيره والحسد، فمن سلم من الظن سلم من الغيبه، ومن سلم من الغيبه سلم من الزور، ومن سلم من الزور سلم من البهتان» (٣).

وقال (صلى الله عليه وآله): «شر الناس الظانون، وشر الظانين المتجسسون، وشر المتجسسين القوالون، وشر القوالين الهتاكون» (٤).

((عدم الأجواء الملائمه))

((عدم الأجواء الملائمه))

التاسع: عدم تهيئه الأجواء الملائمه، فكما أن النبات لا يتكون ولا ينمو إلا فى الأجواء الملائمه، والحيوان لا يتكون ولا ينمو إلا فى الأجواء الملائمه، وكذلك سائر الموجودات هكذا، فلا يمكن جمع الناس وصبهم فى الإضرابات والمظاهرات التى تسبب سقوط الحدود الجغرافيه وما أشبه مما ألمعنا إليه سابقاً إلا فى الأجواء الملائمه من الاعتماد على الإنسان

ص: ١٧٠

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

الداعى، والأجواء الملائمه للعمل، فمن فلسفه التأخر عدم الاهتمام بذلك، وتصور أنه يمكن جمع المسلمين وتقديهم إلى الأمام بدون جو ملائم.

ومن المعلوم أن الجو الملائم بحاجه إلى شروط وأمر، إذا لم تتوفر إحداها فكيف بجميعها لم تحصل النتيجة.

وقد قال سبحانه: ((وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاتَهُمْ فَجَبَطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ {١١}).

وفى قصه يوسف النبى (عليه السلام) والرسول (صلى الله عليه وآله) وغيرهما من الأنبياء والأئمه والصالحين (عليهم السلام) أمثله كثيره لذلك، فقد طلب يوسف من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض، وعلله بأنه حفيظ عليهم، حيث إن الزراعه وإداره أمور المعاش كسائر الأمور الاجتماعيه بحاجه إلى أمرين:

الأول: الحفظ والأمانه، أى التقوى.

والثانى: العلم والمعرفه، فإن التقوى بدون العلم لا ينفع، والعلم بدون التقوى يكون فساده أكثر.

وقبل عزيز مصر، وبذلك مهد يوسف (عليه السلام) السبيل على الاعتماد عليه عند الشعب حتى يؤدى رسالته حيث يكون القبول، ولما انتهى السبع سنوات العجاف وأرجع إلى الناس أموالهم ونقودهم وسائر شؤونهم التى أخذها منهم فى تلك المده وإن كنت بأيديهم يستعملونها بما أنها ملك للسلطان، لكنه فعل ذلك لتنظيم أمر تقسيم الغلات فى قصه مشهوره ذكرها (مجمع البيان) وغيره، قال لهم: إنه نبى لإله الكون، وإن للكون إلهاً واحداً أرسله لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، فقبل جميعهم منه، وخرجوا عن عباده الأصنام، حيث كانوا عباد صنم ووثن، ودخلوا فى طاعه الله

ص: ١٧١

سبحانه وتعالى بسبب هذه الأجواء التي هيأها لهم مده سبع سنوات.

ولقد كان من بعض حكم ابتلائه وابتلاء يعقوب (عليهما الصلاة والسلام) أنه يدخل مصر وبيت الملك بالذات لتهيئه البلد لعباده الله تعالى.

وكذلك لما أرادت تلك المرأة من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن ينهى ولدها عن أكل التمر، أرجأها إلى غد حيث لم يكن تناول التمر، حتى يعتمد الولد على الرسول (صلى الله عليه وآله) في نهيه، وإلا كان الصبي يقول له (صلى الله عليه وآله) كيف تأكل أنت التمر وتنهاني عنه، وفي الشعر المشهور:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

ومن المحتمل أن يكون للأمر تأثير واقعي، حيث أمواج القلب تصل إلى قلب الطرف، كما ثبت في العلم الحديث، فإن الإعتماد من قلب الطرف على قلب المتكلم إنما يكون في وقت أن لا يكون المتكلم ارتكب مثل ذلك ولو حلالاً مباحاً.

وهكذا حال ما ينقل من طلب عبد من الشيخ جعفر التستري (رحمه الله) أن يطلب من مولاه تحريره، فأرجأ الشيخ العبد إلى أن تمكن من جمع المال وأعتق عبداً في مده طويله، ثم تكلم مع مولاه، وأثر كلامه في قلب المولى، فأعتق العبد فوراً، ولما سأله العبد عن سبب التأخير، بين له تلك الفلسفة.

ولعل من أسباب قبول الإمام الرضا (عليه الصلاة والسلام) ولايه العهد، بالإضافة إلى الإكراه، تهيئه الجو لبيان الإمامه في بلاط الخليفة، حيث لم يتهيأ مثل ذلك لمن قبله ولمن بعده من الأئمة

(عليهم السلام) كالسجاد والباقر والصادق والجواد والهادى والعسكرى (عليهم الصلاة والسلام).

وعلى أى حال، فجلب اعتماد الناس إلى الحركة الإسلاميه من الشروط المهمه، وترك التهيئه لا يكون إلا من فلسفه التأخر، فإن الإنسان الذى لا يأخذ التهيئه منطو على هذه الفلسفه.

ومن المؤسف أن كثيراً من الحركات لا يهتمون بهذا الجانب المهم من القضية، ولذا نراهم لا يصلون إلى الهدف.

((انفضاض الناس))

((انفضاض الناس))

العاشر: كثير من الحركات يعملون على انفضاض الناس من حولهم، كما قال سبحانه: ((فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) (١)، وهذا من أكبر الأخطاء فى الفرد والجماعه، فإن يالف الإنسان ويؤلف من أهم عوامل النجاح، ولذا ورد فى جملة من الروايات التحريض على ذلك.

فعن خثيمه، عن أبى جعفر (عليه السلام)، قال: أردت أن أودعه، فقال: «يا خثيمه أبلغ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله، وأوصهم أن يعود غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن يشهد حيهم جنازه ميتهم، وأن يتلاقوا فى بيوتهم، فإن لقاء بعضهم بعضاً فى بيوتهم حياه لأمرنا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا، يا خثيمه أبلغ موالينا أنا لسنا نغنى عنهم من الله شيئاً إلا بعمل، وإنهم لن ينالوا ولايتنا إلا بورع، وإن أعظم الناس حسره يوم القيامه من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره» (٢).

وفى روايه عن الصادق (عليه الصلاة والسلام): إن نقرأ أتوه من الكوفه من شيعته يسمعون منه ويأخذون عنه وأقاموا بالمدينه ما أمكنهم

ص: ١٧٣

١- سورة آل عمران: ١٥٩.

المقام وهم يختلفون إليه ويترددون عليه ويسمعون منه، فلما حضرهم الانصراف وودعوه قال بعضهم: أوصنا يا بن رسول الله، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والعمل بطاعته، واجتناب معاصيته، وأداء الأمانة لمن أئتمنكم، وحسن الصحابه لمن صحبتموه، وأن تكونوا دعاه صامتين»، فقالوا: يا بن رسول الله كيف ندعو إليكم ونحن صموت، قال: «تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعه الله، وتتناهون عن معاصي الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا، فتسارعوا إليه، أشهد على أبي محمد بن علي (رضوان الله عليه) لقد سمعته يقول: كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خيراً مما كانوا فيه، إن كان إمام في الحى كان منهم، أو كان مؤذن في القبيله كان منهم، وإن كان صاحب وديعه كان منهم، وإن كان صاحب أمانه كان منهم، وإن كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم، فكونوا كذلك، حَبِّبونا إلى الناس، ولا تَبْغُضونا إليهم» (١).

وعن الأعمش، عن الصادق (عليه السلام) في حديث شرائع الدين، قال (عليه السلام) بعد ذكر الأئمة (عليهم السلام): «ودينهم الورع والعفه»، إلى أن قال: «وحسن الصحبه، وحسن المجاوره» (٢).

وعن أبي الربيع الشامى، قال: «كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) والبيت غاص بأهله، فقال: إنه ليس منا من لم يحسن صحبه من صحبه، ومرافقه من رافقه، وممالحه من مالحه، ومخالفه من خالفه» (٣).

ص: ١٧٤

١-.

٢-.

٣-.

وعن عبد الله بن يونس، عن الصادق (عليه السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال في حديث في صفات المؤمن: «هشاش بشاش، لا بعباس ولا بجباس» (١).

وبسند الأئمة (عليهم السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «التودد إلى الناس نصف العقل» (٢).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر» (٣).
إلى غير ذلك من الروايات الكثيره بمختلف الألفاظ والمرامي والمقاصد.

((جمع الكلمه والتفاف الناس))

((جمع الكلمه والتفاف الناس))

وعلى هذا، فالواجب على التيار الإسلامى أولاً، وعلى الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه وتعالى ثانياً، العمل لجمع الكلمه والتفاف الناس، وفي قصص الرسول (صلى الله عليه وآله) ما يثير الدهشه فى هذا الجانب.

فإنه (صلى الله عليه وآله) كان يقول ويعمل، ويرشد ويهدى، ويألف ويؤلف، ويجمع الناس، مثلاً الرسول (صلى الله عليه وآله) حبس (ثمامه) فى محل قريب من المسجد حيث إنه وجماعته اعتدوا على المسلمين، فأسره الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم دخل عليه وقال له: ما تقول يا ثمامه، قال ثمامه: إن قتلت فبعدلك، وإن أخذت مالاً فديه فبلطفك، وإن أطلقت فبفضلك، فلم يقل الرسول (صلى الله عليه وآله) شيئاً وخرج من عنده، وفى اليوم الثانى دخل عليه وأعاد عليه نفس الكلام، وأعاد ثمامه كلامه السابق على الرسول (صلى الله عليه وآله)، وفى اليوم الثالث دخل عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأعاد عليه نفس كلامه فى اليومين

ص: ١٧٥

١.-

٢.-

٣.-

السابقين، وأجاب ثمامه بمثل كلامه السابق في اليوم الأول والثاني، لكن في هذا اليوم أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) بإطلاق سراح ثمامه، ولما خرج من الأسر كتب إلى عشيرته: أن أقبلوا فإنه رسول حقاً، وجاءت العشيره وأسلم الكل بفضل خلق الرسول (صلى الله عليه وآله) وحسن تدبيره وحسن حكمته الرفيعه.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «أقربكم منى مجلساً فى الجنة أحسنكم أخلاقاً، المواطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون»^(١).

وعنه (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «المؤمن آلف مألوف»^(٢).

وبسند الأئمة (عليهم السلام)، إلى على (عليهم الصلاة والسلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «المؤمن عزّ كريم، والفاجر خبّ لئيم، وخير المؤمنين من كان مألوفه للمؤمنين، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «خياركم أحسنكم أخلاقاً، الذين يألفون ويؤلفون»^(٤).

عن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «طوبى لمن يألف الناس ويألفونه على طاعة الله»^(٥).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أفضلكم أحسنكم أخلاقاً، المواطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وتوطأ رحالهم»^(٦).

فيلزم على التيار الإسلامى أن لا يعتمد فلسفه عنيفه أو بارده

ص: ١٧٦

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

توجب انفضاض الناس من حوله، فإنه فلسفه التأخر التي ما انطوى عليها إنسان إلا وسبب تأخره، وكثيراً ما ينتهى التأخر إلى السقوط، وقد قرأت عدة أعداد من مجله إسلاميه تصدر من بلد إسلامى فرأيت فيها من أولها إلى آخرها التهجم والسباب والعنف والشده وما إلى ذلك، فهل مثل هذا الحزب يتمكن من جمع الناس حول نفسه حتى يصل إلى الدوله.

إلى غير ذلك من أسباب انفضاض الناس، إذ ليس انفضاض الناس من حول الإنسان فقط بسبب الشده والعنف، وإنما له أسباب متعدده، كعدم التودد إليهم، وعدم خدمتهم، وما إلى ذلك مما هو كثير.

((ما يوجب العداوه))

((ما يوجب العداوه))

الحادى عشر: ثم العمل قد يكون مما يسبب انفضاض الناس من غير عدائهم، وقد يزيد الأمر على ذلك بعدائهم، وهذا أسوأ من سابقه، فإنه قد يسلك الشخص سلوكاً غير محبب بدون المعاداه مما يوجب انفضاض الناس من حوله، وقد يعادى الناس تحت مختلف الشعارات، كما نرى مثل ذلك فى بعض الأفراد وبعض الجماعات وبعض الأحزاب، وحينئذ يكون الناس عنه أبعد، وفى جملة من الروايات تذكير الإنسان بأن لا يعادى الناس.

((سحب البساط عن الآخرين))

((سحب البساط عن الآخرين))

الثانى عشر: ومن أظهر مصاديق معاداه الناس مما يكون فى ذروه فلسفه التأخر، محاوله سحب البساط من تحت الناس، عملاً فردياً كان أو عملاً جماعياً، مثلاً فرد من التيار إذا حاول سحب البساط من تحت تاجر فى كسبه، أو عالم فى درسه، أو خطيب فى منبره، أو إمام فى جماعته، أو ما أشبه ذلك، انعكس عدا ذلك الفرد إلى كل التيار، وربما إذا لم يكن فرداً مربوطاً بحركه كان الانعكاس إلى نفس ذلك الفرد

المحاول، وقطرات العداة تتجمع حتى تكون سيلاً تجرف بالتيار كلاً إلى حيث الانزواء، وعدم الوصول إلى الهدف، وهذا ما يحتاج إلى رقابه صارمه من النواه المركزيه للتيار، وبعده من الدوله عند قيامها، وذلك صعب غاية الصعوبه، ولذا يروى أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال: «شيتنى سوره هود» (١)، لأن فيها آيه: ((فَاسْتَيْقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ)) (٢)، فإن استقامه الإنسان بنفسه (فى غير المعصوم عليه السلام) شىء صعب جداً، فكيف بأن يؤمر باستقامه أصدقائه فإنه صعب حتى فى المعصوم، إن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يملك نفسه، أما تملكه لزام الناس الذين حوالبه فقد كان صعباً، ولذا قال موسى (عليه الصلاه والسلام): {إنى لا أملكك إلا نَفْسى وَأخى} (٣) حيث إن الأيخ وهو هارون (عليه السلام)، كان معصوماً أيضاً، ولعل هذا هو سر كون حوارى الرسول (صلى الله عليه وآله) وكل إمام يعدون بالأصابع.

وعليه فاللازم أن يكون تربيه أعضاء التيار تربيه صحيحه، فلا يحاول أحدهم سحب البساط من تحت فرد أو حركة أخرى، كأن يجر فرد من حزب آخر إلى حزبه وهكذا، إنه من الجهل الفظيع أن يظن الإنسان أنه يربح هذا الفرد ربحاً هنيئاً، فإنه يخسر فى قبالة القلوب، وإذا خسر الإنسان القلوب خسر أفراداً وأفراداً.

وإن الالتفاف حول الأفراد والحركات والمنظمات وما أشبه يثير ريبه حول التيار، وينقص من طهارته عند الناس، وما الداعى إلى ذلك، فإنه كثير الأفراد الحياديون الذين يمكن جرهم إلى دائره التيار، فليدع التيار كلاً وشأنه الخاص به.

أما من لا شأن له فليفعل التيار به ما يشاء من سحبه إلى دائرته، إن من عدم بعد النظر أن يحاول التيار سحب بساط إمام جماعه أو مدرس أو

ص: ١٧٨

١-.

٢- سوره هود: ١١٢.

٣- سوره المائده: ٢٥.

خطيب أو ما أشبهه، بل ومثله إذا أراد تفتيت الناس من حول أولئك، فإن أولئك يعادون التيار، وعداؤهم يؤثر تأثيراً كبيراً، سواء فعل التيار سحباً أو تحييداً لأفرادهم.

وقد رأيت كيف أن بعض الحركات الإسلاميه سقطت عن أعين الجماهير لأمثال هذه المعاداه والمحاولات.

أما معاداه ذى الفئه فيمكن تخفيفها بل جعلها يوالى التيار إذا كان الإنسان لا يفعل السحب، وإنما يعادون التيار بمجرد أن التيار يتقدم إلى الأمام أو يحسدونه، إذ من طبيعه بعض الناس حسد المرتفعين، وقد قال الشاعر:

إن يحسدوك على علاك فإنما

متسافل الدرجات يحسد من علا

وقد قال سبحانه فى علاج أمثال هؤلاء: (اذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَاقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (١).

((عدم الاهتمام بعرش القلوب))

((عدم الاهتمام بعرش القلوب))

الثالث عشر: اللازم أن يحاول التيار جلب حب الناس إلى نفسه، وكذلك الحكومه الإسلاميه بعد قيامها بإذنه سبحانه، فإن عرش القلوب أهم من عرش الأبدان، بل العرش الثانى لا يمر زمان إلا وينهار، بينما العرش الأول يكون رصيذاً للعرش الثانى.

ولذا قال سبحانه: ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)) (٢)، ولعل المعجىء بالسین هنا لأنه يحتاج إلى فتره من الزمن حتى يظهر للناس كونهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وقال سبحانه بالنسبه إلى موسى (عليه السلام): ((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي)) (٣)، فقد ورد فى التفاسير: أن موسى (عليه الصلاه والسلام) كان بحيث إن كل من يراه يحبه، لما يرون فيه من الطهاره والنزاهه والصدق والأمانه

ص: ١٧٩

١- سورة فصلت: ٣٤ _ ٣٥.

٢- سورة مريم: ٩٦.

٣- سورة طه: ٣٩.

وفى زياره الإمام الحسين (عليه الصلاة والسلام): «وفى قلبت من يهواك قبرك»^(١).

ونرى أن عرش آل أميه وآل عباس سقط مع الامتداد الزمنى قرابه سبعة قرون، أما قبور الأئمه الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) من النجف إلى سامراء، ومن المدينه إلى خراسان صارت ذا العرش الباقي مدى القرون، ولعل الله سبحانه وتعالى يهيؤ بقاءها إلى يوم يبعثون، بل هو الظاهر من الموازين الاجتماعيه والكونيه.

وفى الروايات تأكيد تأكيد على الحب، وقد قال عيسى المسيح (عليه السلام): «أحبوا أعداءكم»^(٢)، قال شراح هذا الحديث: إن حب الإنسان لعدوه لا- أنه يخفف من غلوائه، بل إنه يوجب أن ينقلب العدو صديقاً، كما كان يفعل الأنبياء والأئمه (عليهم الصلاة والسلام).

ومن أهم شعب استجلاب الحب: الرفق والمداراه والخدمه وما أشبه ذلك.

ومن المعلوم أن الناس مختلفون فى التحمل، فاللازم على التيار وعلى الدوله الإسلاميه بعد قيامها، أن لا- يحملوا- الناس فوق طاقتهم، وقد ورد عن عمر بن حنظله، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: «يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم، فإن الناس لا يحتملون ما تحملون»^(٣).

وفى روايه عن ابن أبى الأحوص، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله وضع الإيمان على سبعة أسهم، على البر، والصدق، واليقين، والرضا، والوقار، والعلم، والحلم، ثم قسم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه السبعه الأسهم فهو كامل محتمل، وقسم لبعض الناس السهم، ولبعضهم السهمين، ولبعضهم الثلاثه، حتى انتهوا إلى

سبعه»، ثم قال: «لا تحملوا على صاحب السهم سهمين، وعلى صاحب السهمين ثلاثة، فتبهضوهم»، ثم قال: كذلك حتى انتهى إلى سبعة» (١).

أقول: ولعل المراد بالسبعة المثل لا العدد، مثل سبعين، كما قال سبحانه: (إِنْ تَشْتَعِفْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (٢).

وفى روايه عن أبي عبد الله (عليه الصلاة والسلام) إنه جرى ذكر قوم فقيل له: أنا لنبرؤ منهم، إنهم لا يقولون ما نقول، قال: فقال: «يتولونا ولا- يقولون ما تقولون، تبرؤون منهم»، قلت: نعم، قال: «فهو ذا عندنا ما ليس عندكم، فينبغي لنا أن نبرأ منكم» إلى أن قال: «فتولوهم ولا تبرؤوا منهم، إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهم، ومنهم من له أربعة أسهم، ومنهم من له خمسة أسهم، ومنهم من له ستة أسهم، ومنهم من له سبعة أسهم، فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب السبعة، وسأضرب لك مثلاً: إن رجلاً كان له جار وكان نصرانياً فدعاه إلى الإسلام وزينه له، فأجابه، فأتاه سحيراً ففرع عليه الباب، فقال: من هذا، قال: أنا فلان، قال: وما حاجتك، قال: توضأ، والبس ثوبيك ومر بنا إلى الصلاة، قال: فتوضأ ولبس ثوبيه وخرج معه، قال: فصليا ما شاء الله، ثم صليا الفجر، ثم مكثا حتى أصبحا، فقام الذى كان نصرانياً يريد منزله، فقال الرجل: أين تذهب، النهار قصير، والذى

ص: ١٨١

١-.

٢- سورة التوبة: ٨٠.

بينك وبين الظهر قليل، قال: فجلس معه إلى أن صلى الظهر، ثم قال: وما بين الظهر والعصر قليل، فاحتبسه حتى صلى العصر، قال: ثم قال: وأراد أن ينصرف إلى منزله، فقال له: إن هذا آخر النهار، وأقل من أوله، فاحتبسه حتى صلى المغرب، ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له: إنما بقي صلاه واحده، قال: فمكث حتى صلى العشاء الآخرة، ثم تفرقا، فلما كان سحيراً غداً عليه فضرب عليه الباب، فقال: من هذا، قال: أنا فلان، قال: وما حاجتك، قال: توضأ والبس ثوبيك واخرج فصل، قال: أطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني، وأنا إنسان مسكين وعلى عيال، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أدخله في شيء أخرجه منه، وقال: أدخله من مثل ذه وأخرجه من مثل هذا» (١).

وعن الزهري، عن علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: «كان آخر ما أوصى به الخضر موسى (عليهما السلام) قال: لا تعيرن أحداً بذنب، وإن أحب الأمور إلى الله ثلاثه: القصد في الجده، والعفو في المقدره، والرفق بعباد الله، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافه الله عز وجل» (٢).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيره، بل في روايه: «وهل الدين إلا الحب» (٣).

((الراحه واللذه))

((الراحه واللذه))

الرابع عشر: ومن فلسفه التأخر البناء على الجنوح إلى الراحه واللذه وما أشبهه، فمن يجنح إليها لا يكون إلا متأخراً، فإنه والتقدم على طرفي نقيض، وهل يمكن التقدم بالراحه والدعه والرفاهيه والبلهنيه، وقد قال سبحانه: ((وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)) (٤).

ص: ١٨٢

١- .

٢- .

٣- .

٤- سورة النجم: ٣٩.

وقال: (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) (١).

وقال: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) (٢).

وقال: (وَقُلْ اَعْمَلُوا) (٣).

وفى الحديث: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» (٤).

ومن المعلوم أن العيش أبداً كم يحتاج إلى العمل، يقول الشاعر:

ولا تزعمن أن التقدم هين

فمن كان أسعى كان بالمجد أجدر

ولما طلبت خديجه (عليها السلام) من الرسول (صلى الله عليه وآله) أن ينام الليل بعد أن نزل عليه الوحي، قال (صلى الله عليه وآله): هيهات، لقد مضى وقت النوم يا خديجه (٥).

وقالت الزهراء (عليها الصلاة والسلام) فى وصف على (عليه الصلاة والسلام): «مكدوداً فى ذات الله، مشمراً ناصحاً، مجدداً كادحاً» (٦). ومن المعلوم ان الكدح أشد التعب، قال تعالى: ((إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا)) (٧).

وفى الروايات ذم النوم الكثير والكسل وما أشبه ذلك:

فعن سعد بن أبى خلف، عن أبى الحسن موسى (عليه السلام)، إنه قال فى وصيته لبعض ولده: «وإياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة» (٨).

وفى روايه عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم الصلاة والسلام) فى

ص: ١٨٣

١- سورة الطور: ٢١.

٢- سورة المدثر: ٣٨.

٣- سورة التوبه: ١٠٥.

٤- .

٥- .

٦- .

٧- سورة الانشقاق: ٦.

وصيه النبي لعلی (صلوات الله عليهما)، قال: «يا علی لا تمزح فيذهب بهاؤك، ولا تكذب فيذهب نورك، وإياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر علی حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً، يا علی من استولى علی الضجر رحلت عنه الراحة»^(١).

وعن عمر بن علی، عن أبيه علی بن أبي طالب (عليهما السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «علامه الصابر في ثلاث، أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا اشكى من ربه عز وجل فقد عصاه»^(٢).

وفى روايه عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) إنه قال لبعض ولده: «إياك والمزاح، فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف مروتك، وإياك والضجر والكسل، فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة»^(٣).

وعن الأمدى فى الغرر أنه (عليه السلام) قال: «الحزم بضاعه، والتوانى إضاعه»^(٤).

وقال (عليه السلام): «الجهل موت، التوانى فوت»^(٥).

وقال (عليه السلام): «التوانى سجيّه النوكا»^(٦).

وقال (عليه السلام): «الملل يفسد الآخرة»^(٧).

وقال (عليه السلام): «التوانى فى الدنيا إضاعه، وفى الآخرة حسره»^(٨).

وقال (عليه السلام): «أقبح العيِّ العجز»^(٩).

ص: ١٨٤

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

٩- مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٦٧ ب ٦٦ ضمن ح ١٣٥٢٧.

وقال (عليه السلام) «آفه النجح الكسل»^(١).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «للكسل ثلاث علامات، يتوانى حتى يفرط، ويفرط حتى يضيع، ويضيع حتى يَأْثِم»^(٢).

إلى غير ذلك.

ولما ذكرناه من كراهه الكسل والنوم ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله: «بورك لأمتي في بكورها»^(٣)، حيث إنه (صلى الله عليه وآله) أراد أن يحرض الناس المباركة على العمل والعلم وما أشبه.

وفي حديث آخر: «إن الله عز وجل يبغض العبد النوام الفارغ»^(٤).

وفي حديث ثالث: «كثره النوم مذهبه للدين والدنيا»^(٥).

ويروى اليعقوبى: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خطب أصحابه ذات مره فقال: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهاوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهاوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين، بين أجر قد مضى ولا يدري ما الله صانع به، وأجر قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، فى الشبيه قبل الكبر، وفى الحياه قبل الممات، فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»^(٦).

وقال على (عليه الصلاة والسلام): «للمؤمن ثلاث ساعات، فساعه يناجى فيها ربه، وساعه يرم معاشه، وساعه يخلى بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا فى ثلاث، مرمه لمعاش، أو خطوه فى معاد، أو لذه فى غير محرم»^(٧).

إلى غير ذلك.

ص: ١٨٥

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧- نهج البلاغه: الحكمة ٣٩٠.

((النظرة السلبية للحياه))

((النظرة السلبية للحياه))

الخامس عشر: ومن فلسفه التأخر رؤيه الحياه سوداء، فاللازم أن لا ينطوى العامل على روح اليأس، ويزعم بأن المستقبل مظلم، إن المستقبل رهين العمل واللاعول، فإن عمل كان مضيئاً وإلا كان مظلماً، وفي الحديث عنه (عليه الصلاه والسلام) حول ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه): «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»^(١).

ومن المعلوم أن الدنيا دول، فقد قال سبحانه: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ)^(٢).

يقول الشاعر:

إنما الدنيا عواري

والعواري مسترده

شده بعد رخاء

ورخاء بعد شده

ويقول شاعر آخر:

فتراكضوا خيل الشباب وحاذروا

أن تسترد فإنهن عواري

وفي الروايه جمله كبيره من التحريض لأن يمتلي الإنسان رجاءً. ومن المعلوم أن اليأس من روح الله سبحانه وتعالى كبيره موبقه، قال سبحانه: {إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}^(٣).

وفي روايه: «إن لله في دهركم نفحات، فتعرضوا لها»^(٤).

((سؤال وجواب))

((سؤال وجواب))

وهنا سؤال أنه لماذا كان يعقوب (عليه الصلاه والسلام) يبكي ذلك البكاء المر لمدته أربعين سنه، كما في بعض التفاسير، وهل هذا يليق بنبي معصوم وإن قتل ولده، بينما كان يعلم هو أنه في الحياه وأنه يرد إليه في المستقبل ملكاً، فإن هذا العمل لا يصدر من إنسان عادي فكيف بنبي من أنبياء الله سبحانه وتعالى، والأنبياء في قمه البشريه، وكذلك لماذا كان يبكي يوسف (عليه

الصلاه والسلام) هذه المده الطويله حتى عد هو وأبوه من البكائين

ص: ١٨٤

.-١

٢- سوره يونس: ١٤.

٣- سوره يوسف: ٨٧.

.-٤

الخمسة كما فى الحديث(١١)، وهو نبى أيضاً، أليس هذه الأمور خلاف الرجاء.

والجواب: إن للمعنويات مخازن كالماديات، فكما أن الشمس والبحر منبع النور والماء، كذلك العطف والحنان وغيرهما يحتاج إلى المنبع ليستقى منه الناس العطف والحنان ونحوهما، وقد كان هذان النبيان (عليهما السلام) منبع ذلك، فإن الناس لما يسمعون ما فعلاه استقوا منهما العطف والحنان لذويهم، كالمخزن للعلوم من الأنبياء والأوصياء والعلماء حيث يستقى الناس من علومهم، ولا فرق بين الصفات النفسية الحسنه من علم أو عطف أو كرم أو غيرها، أو السيئه من بخل أو جبن أو ما أشبه ذلك، ولذا يشبه العالم والكريم بالبحر والغمام.

قال الشاعر:

هو البحر من أى النواحي أتيته

وقال آخر:

من قاس جدواك يوماً بالسحب أخطأ فضلك

فالسحب يعطى ويبكى وأنت تعطى وتضحك

وكذلك يشبه الصفات الرذيله بمعادن المشكلات والشورور.

وعلى أى حال، فامتلاء النفس بالرجاء شأن العاملين من الحكماء، بخلاف امتلائها بالتشاؤم واليأس، فإن ذلك من شأن الجهله، فعلى العاملين فى الحقل الإسلامى تياراً أو دوله أن يمتلئوا رجاءً بالمستقبل.

((اليأس من الإصلاح))

((اليأس من الإصلاح))

السادس عشر: من فلسفه التأخر زعم أنه انقضى الوقت ولا علاج للمشكله، كما قالوا فى المثل: (اتسع الخرق على الراقع).

ص: ١٨٧

بل اللازم التمسك بالمثل الآخر الذي يقول: (كلما صدت السمك من البحر كان طازجاً، وكلما أخرجت الملح من المعدن كان نافعاً).

وقد قال سبحانه: ((كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ)) (١)، فإن من المعلوم أن الدنيا دنيا عمل، ومن عمل وصل إلى مقصوده أو قريباً منه كما في كلمه للإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام) بمضمون ذلك، بل لعل الآن من أفضل أوقات العمل لإنهاض المسلمين وإعاده دولتهم العالميه، حيث إن المسلمين عرفوا مكيدته الغرب والشرق وكذبهما، ولم يجنوا من وراء اتباعهم واتباع مناهجهم إلا الذله والتأخر، وانقسام بلادهم، واهانه دينهم، وهتك أعراضهم، وسلب أموالهم، وزجهم فى السجون وتعذيبهم، وقتلهم بمختلف أنواع القتل، وتفريقهم وتمزيقهم شر ممزق، إلى غير ذلك.

وأى وقت أفضل من هذا الوقت، حيث يحس المظلوم بالانظلام، وتتهيؤ الأجواء للتجمع والاستماع إلى قول الحق والعمل به، ثم أليس الله وعد النصر لمن نصره، وأعد العده لذلك، والله أصدق القائلين، إنه ليس بعاحز حتى لا يتمكن من إنجاز وعده، وليس بمخلف وعده، ولا محتاج إلى الكذب، وقد دلت التجارب المتعدده فى مختلف عصور التاريخ إنجاز الله سبحانه وتعالى لوعده، ألم ينصر إبراهيم، والمسيح، والكليم، ومحمداً (صلوات الله عليهم أجمعين) مما بقيت آثاره إلى الآن، وقد قال سبحانه: ((إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) (٢).

والم ينصر الأئمه الطاهرين وأولياءه المقربين (عليهم السلام)، إن الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث أخذ بكل أوامره سبحانه

ص: ١٨٨

١- سورة الإسراء: ٢٠.

٢- سورة غافر: ٥١.

انتصر في كل حروبه حتى في أحد، وإن زعم بعض أنه انهزم في أحد، لكن الجواب: هل المنكسر ينهزم أو المنتصر، والرسول (صلى الله عليه وآله) لم يبارع مكانه، وإنما انكسر الكفار، نعم قُتل جماعه من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) منهم حمزه (عليه الصلاة والسلام) فإن القتل من طبيعه الحرب، انتصرت الجماعه أو انكسروا.

أما الظلمات التي وقعت على أهل البيت (عليهم السلام) فذلك كان لفسفه رفيعه هي: جمع العواطف حولهم، ليكونوا قائدين إلى مبادئهم وأهدافهم إلى الأبد، فإن العاطفه تجمع الناس، والعقل يرشدهم كما نرى في المجالس الحسينيه، حين يجتمعون لمظلوميه الأئمه (عليهم الصلاة والسلام) ثم يهديهم الخطباء والوعاظ إلى طرق الخير والصالح في دينهم وديانهم، وقد قال أحد القساوسه: لو كان لنا نحن المسيحيين الحسين (عليه السلام) لانتصرنا في كل العالم، بأن نرفع ألويه سوداء في كل مكان ونجمع الناس حولها وننشر المسيحيه عليهم.

وعلى أى حال، فمن يرى أن الوقت انقضى أو لم يحن بعدُ فليعلم أنه منطو على فلسفه التأخر، ولا يكون هذا الرأى إلا لمن يريد أن يؤخر نفسه.

((الاستبداد))

((الاستبداد))

السابع عشر: الاستبداد، فإنه من أكبر مشاكل الإنسان ومعوقاته عن التقدم، وهو مزيج عن الأنانيه والكبر والتكبر والغرور والجهل والاستعلاء وأشباهها من الصفات الذميه، وأى الإنسان أن يحوم حوله فإنه سقوط في الدنيا والآخره، وقد قال على (عليه الصلاة والسلام): «من استبد برأيه هلك»^(١).

والظاهر أن كلامه (عليه السلام) كان بالنسبه إلى المستبد نفسه، وإلا فله طرف آخر، وهو أنه يهلك غيره أيضاً إذا كان مربوطاً بالغير،

ص: ١٨٩

قال سبحانه: (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)(١).

ومن الغريب أن كثيراً من حكام بلاد الإسلام ابتلوا بهذه الصفه السيئه، فهلكوا وأهلكوا، وقد حدثنا التاريخ كيف هلك فرعون ونمرود وشداد وقارون وهامان وجنودهم، وكيف هلك بنو أميه والعباس والعثمان ومن إليهم، وفي التاريخ الحديث كيف هلك هتلر وموسيليني وقاسم وناصر والسادات وأضرابهم.

والعزه الوقتيه تحت ظلال الحراب ليست بعزه، وإلا فاللصوص وقطاع الطرق المعتصمون بالجبال من أعز الناس، نعم كان هارون مثلاً يرفل في النعيم فتره قصيره من الزمان تحت ظلال الحرب، وكان من السفاهه ما لا يوصف، فقد سبب إشاعه الفقر والمهانه في الناس حتى في بغداد عاصمته كما يحدثنا التاريخ بذلك، وهكذا سبب انتشار الفوضى والفساد، وما قصه استخلافه لولديه الأمين والمأمون مما انجر إلى المحاربه بينهما وأريقت فيها الدماء الكثيره وهتكت الأعراض وسلبت الأموال وخربت المدن، وقصه ظلمه بما سبب انقسام بلاد الإسلام حيث انفصلت المشرق عن المغرب بسبب الأدارسه، وقصه أخذه الضرائب المرهقه من شرق البلاد بسبب على بن عيسى بن مهان مما انجر إلى الثوره هناك، وذهابه إلى خراسان لإخماد الحرب وموته هناك، بيعيده عن الأذهان.

وهل يمكن أن يوصف مثل هذا الشخص إلا بما وصفه دعبل في شعره المشهور:

قبران في طوس خير الناس كلهم

وشر كلهم هذا من العبر

ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا

على الزكي بقرب الرجس من ضرر

ص: ١٩٠

هيهات كل امرئ رهن بما كسبت

له يدها فخذ من ذاك أو فذر

وهل مثل هذا الشخص المجمع للموبقات والآثام يمكن أن يوصف بالعقل، بله الحضاره والعدل، وهل مثل البلاد الغارقة في الفساد والفوضى والفقر والانحراف يمكن أن يوصف بالبلاد الذهبية، نعم إن الغربيين نفخوا في هارون حتى يبينوا للناس أنه إذا كان هذا سلطان المسلمين في عصرهم الذهبى فكيف يكون حال المسلمين فى غير هذا العصر، وتحت لواء غير هذا السلطان، ويجعلون ذلك وسيله لتحطيم بلاد الإسلام كما فعلوا بالفعل.

أما قصه قوله للسحاب (١) فليست إلا أكذوبه، إن قسماً من بلاد الإسلام كانت فى أيدي الأدارسه، وقسماً من الشرق والغرب كان مربوطاً بغير المسلمين، ثم بعد ذلك هل يقول مثل هذا الكلام إلا سفيه.

وعلى أى حال، فمثل هارون فرعون أيضاً، فقد كان حجه دعواه الألوهيه ما ذكره القرآن الحكيم: ((أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي)) (٢) وقد أغرق فى نفس ملكه وبالماء الذى كان يتبجح به.

ومن المفارقات والعبير ما ينقل عن أحدهم أنه قال فى قبال تبجح فوعون: إنا نولى ملك مصر رجلاً فقيراً لا يميز شيئاً، وأمر بالتفتيش عن مثله، فذهبت الجلاوزه ليجدوا فقيراً فى خربه يرتجف برداً، وقد جمع حول نفسه سته من الكلاب ليستفيد من دفئهم، وهو غارق فى الوساخه، فأحضره عنده وأعطاه الأمير ملك مصر فى قبال ادعاء فرعون، وأنه اعتذر الفقير عن قبوله قائلاً: إني لا أقدر على إداره هذه الكلاب الستة، فكيف أقدر على إداره مصر، لكن أمر الأمير كان

ص: ١٩١

١-.

٢- سورة الزخرف: ٥١.

فوق الاعتذار، وذهب إلى مصر وأكثر فيها من الفساد والحماقه، حتى أن التاريخ ذكر أنه ذات مره لم تنتج مصر القطن وتوقفت عجله اقتصاد البلاد، فقال الرجل: ازرعوا الصوف عوض القطن، أليس هذا العمل من الأمير في أحط سلّم السخافه، ولم يكن إخوانه الذين سموا أنفسهم بالخلفاء ولا- ولاتهم بأفضل منهم، مما لو كتب حولهم كتاب لظهرت حماقات لا يصدقها الإنسان العادى.

فمثلاً- الحجاج كان ذات يوم يقسم الولايات على ذويه وجلاديه، فقام بدوى وتطلب منه ولاية، قال له الحجاج: إنك لا تصلح لذلك، قال: امتحنى، قال له الحجاج: كيف تقسم الثلاثه دراهم على أربعة أشخاص، فتحير البدوى وأخذ يعدد بأصابعه، وقال: إنه لم ير مثل هذا اليوم مشكله وفكر ملياً، ثم قال: يا حجاج اجعل من نفسى درهماً حتى أعطى كل واحد درهماً، أو خذ أنت درهماً من دراهمك لأعطي كل واحد نصف درهم، ولكن أصر الحجاج على رأيه، وأصر البدوى على رأيه، وأخيراً نصبه الحجاج على ولايه أصفهان، فأكثر فيها القتل والفساد مما سطر فى التاريخ، نعم الناس على دين ملوكهم، فكيف بولاه الملوك الذين يحاولون التشبه بهم كى ينالوا الحظوه لديهم.

((الغرور العلمى والعملى))

((الغرور العلمى والعملى))

الثامن عشر: زعم التيار الإسلامى أو الدوله الإسلاميه أنه يعلم كل شىء ويعمل أحسن عمل، فإنه من علامات السقوط ومن الانطواء على فلسفه التأخر، فأى إنسان يعلم كل شىء ولا يحتاج إلى مزيد من العلم؟، أو أى إنسان مهما علم لم يحتج إلى العلم، وقد قيل عن لسان العلم إنه قال: (أعطنى كلك أعطك بعضى).

وكذلك الإنسان مهما عمل مثلاً، كان فوقه أحسن عملاً وأجود.

وكلا الأمرين نوع من

ص: ١٩٢

الغرور، وقد تقدم أن الغرور رأس المفاسد الموجبه لسقوط الإنسان.

وقد تراءى لبعض الصالحين المحشر وسئل عما ذا أتى، فقال: جئت بالدرس والبحث والتدريس والعلم والتعليم، قالوا: كل ذلك كان لاشتھارك، لا- لنا، قال: ذهبت إلى الحج، قالوا: لأن ولدك مات، فأردت التنفس عن غمك بالسفر، قال: أتيت بالصلاه والصيام والصدقه، فأشاروا إلى صحارى متعدده هناك، وقالوا له: انظر فنظر، وإذا صحراء منها للصلاه وهى كصور الأقزام من المشوهين بعضهم لا- يد له، وبعضهم لا- رجل له، وبعضهم مشوه الوجه، وبعضهم أسود، وهكذا كان حال صحرائى الصيام والصدقات، لكن بصور طيور ووحوش مثلاً- مما يتقزز من النظر إلى تلك النفوس والصور النفس أيما تقزز، فأطرق الصالح برأسه خجلاً، وتمنى أن لو ابتلعتة الأرض، ثم عفى عنه بالشفاعه.

وهذا سواء كان تصوراً من ذلك الصالح فى عالم ذهنه أو كشفاً أو مثلاً لتقريب الأذهان يعطى حقيقه واقعيه، وهى أن الإنسان مهما تصور جوده إنتاجه أو دقه عمله يكون قاصراً ومقصراً، ((فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ))^(١)، ولا ينتهى الأمر إلا إلى الله سبحانه كما قال: ((وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ))^(٢) ((A)).

فمن الانطواء للتيار أو الدوله على فلسفه التأخر أن يتصور انتهاؤه إلى الجوده، كماً أو كيفاً، وإذا انطوى على مثل هذا التصور سقط بما لا يصل إلى الهدف فى التيار، كما تسقط الدوله وإن قامت الدوله. ولذا ورد فى الروايات اتهام النفس ورؤيتها قاصره ومقصره:

فعن الحسن بن الجهم، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام): «إن رجلاً فى بنى إسرائيل عبد الله أربعين سنه، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه، فقال

ص: ١٩٣

١- سوره يوسف: ٧٦.

٢- سوره النجم: ٤٢.

لنفسه: ما أوتيت إلا- منك، وما الذنب إلا- لك، قال: فأوحى الله عز وجل إليه ذنبك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنه»(١١).

وفى روايه عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة»(٢).

((عدم معرفه الموازنات))

((عدم معرفه الموازنات))

التاسع عشر: عدم معرفه الموازنات، فإن للأشياء موازنات خاصه وارتباطات مخصوصه إذا لم يعرفها الإنسان يقع في مشاكل كثيره، وأحياناً لا- يصل إلى الهدف، كمن لا يعرف الطريق يسير سيراً طويلاً ثم لا يصل إلى المقصد وإن وصل فبمشكلات وأتعاب لم يكن لها داع إذا كان تحرى الطريق الأفضل من الأول.

فاللازم أن يكون للتيار وللدوله التحرى التام لمعرفه الموازنات والمعادلات والأسباب والمسببات، حتى لا يكن كما ينقل: إن مجرماً خيره السلطان بين أن يأكل مائه رطل من البصل، أو يعطى مائه دينار، أو يضربه مائه سوط، فاختر الثالث، فضربوه عدّه أسواط، ولما لم يتحمل اختار الأول، فأخذ يأكل عدّه بصلات ولما لم يتمكن من الأكل اختار الثانى، إنه إن وازن من أول الأمر ما يمكنه مما لا- يمكنه اختار ما اختاره أخيراً بدون أن يكون أتعب نفسه بأكل بصلات وتحمل أسواط، وقد رأينا كثيراً من الأفراد اختاروا الأسوأ، ثم بعد فوات الأوان اختاروا الذى لو اختاروه أولاً لم ينفذ الناس من حولهم، وكان من الممكن أن يصلوا إلى الهدف الهنىء.

((كثره الأمانى))

((كثره الأمانى))

العشرون: صرف الوقت بالأمانى، قال الشاعر:

وما نبيل الأمانى بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

ص: ١٩٤

وقبله قال القرآن الحكيم: (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ) (١).

وإن أهل الكتاب كانوا يتمنون الأمانى الباطله، وكذلك كان بعض المسلمين يتمنون الأمانى الباطله، فيكسلون عن العمل، ويقعدون عن السعى، ولهذا حذرهم الله سبحانه وتعالى بأن الجزاء إنما يكون بالعمل لا بالأمانى، وإنما لم يقل سبحانه من يعمل حسناً يجز به، لأن أصحاب الأمانى دائماً يعملون السوء بصرف أوقاتهم فيما لا يعنى، وهو عمل سوء، فلا بد أن يجزون بالسوء، لأن النتيجة من جنس المقدمه، والمراد بعمل السوء أعم من الفعل والترك، فإن عدم الفعل حيث يقترن باستمرار العله السابقه يقال له العمل مجازاً.

وعلى أى حال، فاللازم على التيار انتهاز الفرصه، وقد قال على (عليه الصلاه السلام): «انتهزوا الفرص، فإنها تمر مرّ السحاب» (٢).

وقال (عليه السلام): «إضاعه الفرصه غصه» (٣).

وفى المثل: إن الفرصه تطرق باب الإنسان، فإذا لم يفتح لها الباب ذهبت إلى باب غيره، ثم لا تعود إلى الدار السابقه إلا قليلاً جداً.

ولا يخفى أن اهتبال الفرصه غير الوثوب بما يزعم أنه فرصه، فإن بين الفرصه وبين زعم الفرصه خيط رقيق لا يميز بينهما إلا من له حظ من المعرفه، وفى المثل: ذهبت الدوله ببوله، فى آخر خلفاء الأمويين، حيث اهتبل العباسيون منهم الملك.

وقد ورد فى انتهاز الفرص روایات متعدده:

فعن أبى ذر قال:

ص: ١٩٥

١- .

٢- سوره النساء: ١٢٣.

٣- .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ، يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (١).

وفى روايه عن على (عليه الصلاة والسلام) فى قول الله تعالى: ((وَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا)) (٢)، قال: «لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك أن تطلب به الآخرة» (٣).

وعن الغلابى، إنه قال: سألت عن الهادى (عليه السلام) عن الحزم، فقال: «هو أن تنهز فرصتك وتعاجل ما أمكنك» (٤).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله)، قال: «من فتح له باب خير فليتنهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عنه» (٥).

وعنه (صلى الله عليه وآله) قال: «ترك الفرص غصص، الفرص تمر مر السحاب» (٦).

وعن على (عليه الصلاة والسلام): «الفرصه غنم» (٧).

وقال (عليه السلام): «الفرص تمر مر السحاب فاتنهنزوها، إذا أمكنت فى باب الخير وإلا عادت ندماً» (٨).

وقال (عليه السلام): «الحزم تجرع الغصه حتى تمكن الفرصه» (٩).

وقال (عليه السلام): «التؤده ممدوحه فى كل شىء إلا فى فرص الخير» (١٠).

وقال (عليه السلام): «التثبت خير من العجله إلا فى فرص البر» (١١).

ص: ١٩٤

١-.

٢- سورة القصص: ٧٧.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

٩-.

١٠- ([١٠]).

١١- ([١١]).

وقال (عليه السلام): «الفرصة سريعة الفوت بطيئه العود»^(١).

وقال (عليه السلام): «انتهزوا فرص الخير، فإنها تمر مر السحاب»^(٢).

وقال (عليه السلام): «أشد الغصص فوت الفرص»^(٣).

وقال (عليه السلام): «إذا أمكنت الفرصة فانتزها»^(٤).

وقال (عليه السلام): «بادروا الفرصة قبل أن تكون غصه، بادروا البر فإن أعمال البر فرصة»^(٥).

وقال (عليه السلام): «من ناهز الفرصة أمن الغصه».

((استحقار الآخرين))

((استحقار الآخرين))

الواحد والعشرون: من فلسفه التأخر استحقار الناس، فإن بعض الأفراد يحتقرون الناس ولا يتلقون جزاء تحقيرهم إلا التحقير، فإن لكل فعل رد فعل يخالفه فى الاتجاه، ويوازيه فى الكم والكيف، إن لم يكن أكثر منه فيهما أحياناً، وفى الشعر المشهور:

ومن هاب الرجال تهبوه

ومن وهن الرجال فلن يهابا

إن بعض الناس يتصورون أنه كان من الجدير أن يلقى الرسول (صلى الله عليه وآله) أمثال أبي سفيان وابن أبي وأضرابهما بمثل ما لقوه به، لكنهم غفلوا عن أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لو فعل ذلك كان إنساناً عادياً لا صاحب أخلاق رفيعة، قال الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

فمضيت ثمه قلت لا يعينى

فهل من المناسب للرفعه أن ينزل إلى مستوى السفله والأراذل، إنك إذا مثلهم كما فى القرآن الحكيم فى مناسبة مشابهه، وقد سب أحد

ص: ١٩٧

١-.

٢-.

٣-.

.-۴

.-۵

المنافقين الإمام (عليه السلام) فلم يجبه الإمام، وسبه ثانياً فلم يجبه، وسبه ثالثاً، ولما لم يسمع الجواب قال المنافق للإمام: إياك أعنى، فرد عليه الإمام (عليه الصلاة والسلام) بقوله: «وعنك أغضى» (١).

وفى روايات كثيرة النهى عن تحقير الناس والاستخفاف بهم وإذلالهم وما أشبه ذلك.

فعن الصادق (عليه السلام)، قال: «من استذل مؤمناً واحتقره لقله ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق» (٢).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «قال الله عز وجل: ليأذن بحرب منى من أذل عبدى المؤمن، وليأمن غضبى من أكرم عبدى المؤمن» (٣).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) قال: «من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته» (٤).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قال الله عز وجل: قد نابذنى من أذل عبدى المؤمن» (٥).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) «قال الله عز وجل: إني لحرب لمن استذل عبدى المؤمن، وإني لأسرع إلى نصره أوليائى» (٦).

إلى غيرها.

فإن التحقير والإهانة والإذلال وما أشبهه، بالإضافة إلى إنها محرمات شرعاً يوجب رد الفعل إلى الإنسان، فإن الناس أيضاً يحتقرونه، بل احتقارهم له أشد من احتقاره لهم فى كثير من الأحيان.

((التفكير المطلق))

((التفكير المطلق))

الثانى والعشرون: ومن فلسفه التأخر التفكير المطلق مما يعقبه

ص: ١٩٨

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

العمل المطلق على طبق ذلك التفكير، فإن الدنيا ليست مطلقه، بل لها جوانب.

ونرى في القرآن الحكيم أن المحور في هذا الصدد الله سبحانه وتعالى، وبعده الإنسان، ثم المادة، فإذا صب الشخص تفكيره في الله سبحانه وتعالى معرضاً عن الآخرين كما في كثير من المسلمين الذين ينزؤون عن الاجتماع والمادة، أو في المادة كما في الغرب معرضاً عن الله سبحانه وتعالى، أو في جانب خاص من المادة كما في الشرق حيث يحصرون الأمر في الاقتصاد، أو في الإنسان كما في المذهب الوجودي الذي انتحاه جماعه من الفلاسفة المعاصرين، كان ذلك مورثاً للعطب والخلل، ولذا وقع العالم هذه الدوامه الهائله من التأخر، حيث لا قائد له يفكر تفكيراً مستقيماً حسب ما أمر الله سبحانه وتعالى به.

قال في القرآن الحكيم طالباً من الناس أن يطلبوا منه تعالى ذلك: ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا)) (١).

حتى إن من يفكر ويحصر عمله في نطاق شيء خاص على الإطلاق يكون أيضاً خارجاً عن موازين العقلاء، كالعاشق الذي يحصر فكره في امرأه خاصة، أو كمن يعمل ليل نهار للمادة أو ما أشبه ذلك، أو كمن يفكر في الحرب فقط كهتلر مثلاً.

إن الحياه مترابطه، والتفكير في ناحيه على نحو الإطلاق، وصب الجهود فيها لا أنه يضر سائر النواحي فقط، بل يضر نفس ذلك الطرف المطلق أيضاً، ولذا خسر هتلر الحرب، وسقط الوجوديون في بؤره الهيبيه ونحوها، كما سقط المسلمون عن الدنيا وتخلفوا إلى ذيل القافله، إلى غيرها من الأمثله.

((عدم التفكير في الأسباب والمسببات))

((عدم التفكير في الأسباب والمسببات))

الثالث والعشرون: ومن فلسفه التأخر عدم التفكير الدائم في

ص: ١٩٩

الأسباب والمسببات، والعلل والمعاليل، وفي ربط الأشياء بعضها ببعض، ولذا يسقط الدكتاتوريون حيث لا يفكرون في ارتباط الدكتاتوريه بالسقوط، ويسقط الكسالى لعدم التفكير في ارتباط الكساله بالتأخر، إن الكون ملئ بملايين القوانين التي وضعها الله سبحانه وتعالى فيه، وبعضها مرتبط ببعض، وبعضها غير مرتبط، وبعضها طريق، وبعضها ذو طريق، وبعضها سبب، وبعضها معد، وبعضها مانع، وبعضها قاطع، وبعض السلب من عدم الموضوع، وبعضه من عدم المحمول، وبعضه على طريق المعدوله، إلى غير ذلك.

والفكر هو القائد إلى جملة من ذلك في محل ابتلاء الشخص، فإذا لم يكن الإنسان دائم التفكير والتطلب والبحث والفحص سقط كما سقط المسلمون في هذا القرن، مثلاً ترى في المجتمع أن بعضهم يضرب جذور نفسه، لأنه لا يفكر في سببه الشيء الفلاني في قطع الجذور، كمثل الذي كان على الغصن وكان يقطع أصله، وبعضهم يشبه في سلوك الطريق لأنه لا يفكر في أن الشيء الفلاني طريق إلى الشيء الفلاني، إلى غير ذلك.

ولذا ورد في الروايات التأكيد في التفكير:

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «نبه بالفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك»^(١).

وعن الحسن الصيقل، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عما يروى الناس: تفكر ساعه خير من قيام ليله، قلت: كيف يتفكر، قال: «يمر بالخربه أو بالدار فيقول أين ساكنوك، أين بانوك، ما لك لا تتكلمين»^(٢).

ص: ٢٠٠

١-.

٢-.

وعن معمر بن خلاد، قال: سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل»^(١).

وفى روايه عن الصادق (عليه السلام) قال: «التفكر يدعو إلى البر والعمل به»^(٢).

وعن إسماعيل بن بشير، قال: كتب هارون الرشيد إلى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): «عظني وأجز، قال: فكتب إليه: «ما من شيء يراه عينك إلا وفيه موعظه»^(٣).

وعن الصادق (عليه السلام)، قال: «كان أكثر عباده أبي ذر التفكير والاعتبار»^(٤).

وعن أبي محمد العسكري (عليه السلام) قال: «ليست العبادة كثرة الصيام والصلاه، وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله»^(٥).

وعن أبي الحسن الثالث (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «العلم وراثته كريمه، والآداب حلل حسان، والفكره مرآه صافيه»^(٦).

وعن الرضوى، قال: أروى عن العالم (عليه السلام) أنه قال: «طوبى لمن كان صمته تفكراً، ونظره عبره، وكلامه ذكراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من لسانه ويده»^(٧).

وأروى: «التفكر مرآتك تريك سيئاتك وحسناتك»^(٨).

وعن الصادق (عليه السلام)، قال: «اعتبروا بما مضى من الدنيا، هل بقى على أحد، أو هل فيها باق من الشريف والوضيع والغنى

ص: ٢٠١

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

والفقير والولى والعدو، وكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كفى بالموت وبالعقل دليلاً، وبالتقوى زاداً، وبالعباده شغلاً، وبالله مونساً، وبالقرآن بياناً»(١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنه، وما نجا من نجا إلا بصدق الالتجاء»(٢).

وقال نوح (عليه السلام): «وجدت الدنيا كبيت له بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر، هذا حال نجى الله، فكيف حال من اطمأن فيها وركن إليها، وضيع عمرها فى عمارتها ومزق دينه فى طلبها، والفكره مرآه الحسنات، وكفاره السيئات، وضيء القلب، وفسحه للخلق، وإصابه فى إصلاح المعاد، وإطلاع على العواقب، واستزاده فى العلم، وهى خصله لا يعبد الله بمثلها»(٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «فكر ساعه خير من عباده سنه، ولا ينال منزله التفكير إلا من خصه الله بنور معرفه والتوحيد»(٤).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام) إنه قال: «التفكر فى ملكوت السماوات والأرض عباده المخلصين»(٥).

وقال (عليه السلام): «التفكر فى آلاء الله نعم العباده»(٦).

وعن حماد، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن لقمان وحكمته التى ذكرها الله عز وجل، فقال: «أما والله ما أوتى لقمان الحكمه بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط فى جسم ولا

ص: ٢٠٢

- ١-.
- ٢-.
- ٣-.
- ٤-.
- ٥-.
- ٦-.

جمال، ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكتاً سكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر»^(١)، الحديث.

وعن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال عيسى بن مريم (عليه السلام): «طوبى لمن كان صمته فكراً، ونظره عبراً، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وسلم الناس من يده ولسانه»^(٢).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «يا بن آدم، إن التفكر يدعو إلى البر والعمل به»^(٣).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) أنه قال في كلام له: «وكل سكوت ليس فيه فكر فهو غفله»^(٤).

وعن الشيخ الورام في تنبيه الخواطر: وكان لقمان (عليه السلام) يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاة فيقول: يا لقمان إنك قديم الجلوس وحدك، فلو جلست مع الناس كان أنس لك، فيقول لقمان: «إن طول الوحده أفهم للفكره، وطول الفكره دليل الجنه»^(٥).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «الفكره مرآه صافيه، والاعتبار منذر ناصح، من تفكر اعتبر، ومن اعتزل، ومن اعتزل سلم من العجب»^(٦).

ولا يخفى أن روايات باب المحاسبه داخله في هذا المنحى:

مثل ما عن الصادق (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل يوم وليه على نفسه، فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنه استزاد منها، وإن رأى سيئه استغفر منها، وإلا يخزى

ص: ٢٠٣

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

يوم القيامة»(١).

وعن الكاظم (عليه الصلاة والسلام) قال: «ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حسنه استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب»(٢).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «إنه رأى مكتوباً على أبواب الجنة والنار» إلى أن قال: «وعلى الباب السابع من النار مكتوب ثلاث كلمات، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ووبخوا نفوسكم قبل أن توبخوا، وادعوا الله عز وجل قبل أن تردوا عليه، ولا تقدرُوا على ذلك»(٣).

وعن علي (عليه الصلاة والسلام)، قال: «جاهد نفسك وحاسبها محاسبه الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبه الخصم خصمه، فإن أسعد الناس من انتدب لمحاسبه نفسه»(٤).

وعنه (عليه الصلاة والسلام)، قال: «حاسوا أنفسكم قبل أن تحاسبوها، ووازنوها قبل أن توازنوها، حاسبوا أنفسكم بأعمالها، وطالبوها بأداء المفروض عليها، والأخذ من فوائدها لبقائها»(٥).

وعنه (عليه السلام) قال: «من حاسب نفسه سعد»(٦).

وقال (عليه السلام): «من حاسب نفسه ربح»(٧).

وقال (عليه السلام): «من تعاهد نفسه بالمحاسبه أمن فيها المداهنه»(٨).

وقد ورد في روايه أن أبا ذر (رحمه الله) كان أكثر عبادته التفكر، وورد مثل ذلك في لقمان الحكيم، ولذا نرى منهما الآثار
البالغة الباقية

ص: ٢٠٤

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

٦-.

٧-.

٨-.

إلى هذا اليوم.

إن من يريد التقدم لا بد من أن يفكر ألف تفكر وتفكر حول ماذا، وكيف، وأين، ومتى، وكم، وهكذا، فمن أين تأتي هذه الألوان والأشكال والصفات النفسية، من أحمر وأخضر وأبيض وبنفسجي فى الأزهار، وحلو وحامض ومر وتافه فى الطعوم، ومربع ومسدس ومدور فى الأحجام، وجميل وقبيح فى الصور، وبخل وكرم وجبن وحسد وعداء وما أشبه فى الصفات، إلى غير ذلك.

وكيف يتحول التراب عشباً، والعشب حيواناً، واللحم دماً، والدم منياً، والمنى إنساناً، وكيف يقرن بين اللحم والدم وبين الروح، وكيف يقرن بينهما وبين مئات الصفات والملكات، إلى غير ذلك.

وبعد ذلك كيف تكون الغلبة والانهمام، وكيف تكون الارتباطات الاجتماعيه والسياسيه والاقتصاديّه وما أشبه ذلك.

وإنما ذكرناها أمثله لفتح مجارى التفكير، إن التفكير الدائم يعطى للإنسان من بحر الوجود والموجود والارتباطات والخصوصيات حول أمور الكون قطره صغيره من الفهم، بسببها يمكن الإنسان أن يغير حياته، ومن لا يفكر لا بد له من السقوط.

فعلى التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذنه سبحانه أن تولى هذا الجانب عناية فائقه، وإلا التيار لا يصل، والدوله إذا قامت سقطت.

ولا يمكن للإنسان التفكير وحده، فإن النتائج غالباً تكون غير صحيحه أو غير ناضجه.

وكذلك اللازم مطالعه ألوف الكتب، والبحث مع ألوف من الناس إذا أريد إجراء نحو كبير من العمل الموصل إلى الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه وتعالى.

((الاشتغال بالهوامش))

((الاشتغال بالهوامش))

الثالث والعشرون: ومن فلسفه التأخر الاشتغال بالهوامش،

ص: ٢٠٥

عوض صلب الموضوع، كمن يريد السير إلى مكة فيرى في الطريق مرجاً وماءً وهواءً طيباً فيبقى هناك حتى يذهب وقت الحج.

إن الوصول إلى هدف إقامة الإسلام يحتاج إلى صرف ملايين الأعمار، والمقصود في العرض لا في الطول، بأن يصرفها في التركيز على ذلك، فمن يصرف وقته في غير هذا الطريق ولو بأشياء مهمة في نفسها، كفتح مستشفى ليس في هذا الطريق، بل كان المقصود منه موضوعياً، أو يحسن خطه، أو يحفظ مقامات الحريري مثلاً، أو ما أشبه ذلك، فإنه ليس فرقاً بين من لا يريد الهدف أو لا يعرف جلال العمل الموصل إليه.

وكثيراً ما يرى الإنسان من يتحرق لهذا الهدف، بينما يرى أنه يصرف طاقاته المادية والمعنوية في ما يناقض الهدف، كمن يريد وحده المسلمين ثم يصرف وقته في القوميات أو الوطنيات أو العرقيات أو اللونيات أو ما أشبه ذلك، فهل يمكن لمن يريد الطب أن يصرف وقته في التنزه، إنه لا بد وأن يسقط ولا يصل إلى هدفه، وهكذا.

ولذا ورد في الروايات ترك ما لا يعنيه، وفي جملة من الروايات: إنهم سألوا عن الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) بم نيت أمرك.

لأن الاستمرار في عمل الخير وإرادته الوصول إليه لا يكون إلا بالبناء الذي يناسب المبنى، وفهم هذا أولاً، ثم التمييز بين المسير إلى المصير وغيره ثانياً بحاجه إلى طول ملاحظه ودقه وتعديل وترجيح، وإلا فهو كمن يريد الحج ويسير إلى طريق تركستان، كما قاله الشاعر سعدى.

((التلون في السير))

((التلون في السير))

الرابع والعشرون: وحذار حذار من التلون في السير، فإن الذي يتلون لا يصل إلى أى مكان، فكيف بقيام الإسلام، إن بعض الناس يعتادون التلون من صديق إلى حياض أو إلى عدو أو بالعكس، أو من

عامل إلى ناكص، وهكذا دواليك، ولذا ورد في الآية الكريمة: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)) (١).

إن المتلون لا يصلح حتى لإداره دكان، فكيف بهذا العمل الجليل الذي لا يصل إليه إلا ذو حظ عظيم.

والوفاء والصفاء، والإخلاص والعمل بلا كلل، والتقوى وحسن الخلق، وألف صفه وصفه، كلها من مقومات الاستقامه، إن غير المستقيم لا يعتمد عليه الناس، ومن لا يعتمد عليه الناس هل يمكن أن يتقدم أو يقدم غيره.

وكل واحد منا رأى فى حياته المتلوتين، ورأى أنهم كيف جنوا على أنفسهم من عدم الاعتماد عليهم، ثم انزواؤهم إلى زاويه صغيره لا يتمكنون فيها حراكاً.

((الشطاره))

((الشطاره))

الخامس والعشرون: إن من فلسفه التأخر بناء الحياه على الشطاره، فإن الحياه مبنيه على الحقيقه، والشطاره ضد الحقيقه، فإن قسماً من الناس يعتادون القفز بدون واقعيه.

إنه يريد أن يظهر نفسه بمظهر الإنسان الرفيع كالتالاب الذى يريد أن يظهر نفسه فى الحوزه العلميه أنه عالم جليل بدون تقويه الأساس والمقدمات، فيقرأ شيئاً من جامع المقدمات، ثم السيوطى، ثم المغنى، ثم شرح اللمعه، فإذا قيل له: ماذا تقرأ، قال: شرح اللمعه، إنه بعد لا يفهم الصمديه والأنموذج، فهل مثل هذا يتمكن أن ينال من العلم قسطاً، وهذا مثال حوزوى.

ومثل هذا المثال يأتى فى الزراعه والصناعه والثقافه وغيرها، وقد حكى أن الجبائى الابن بعد موت أبيه جاء إلى مجلس الأمير، فجلس مكانه، ولما سئل عن مسائل ولم يعرفها دفعوه إلى صف النعال، وسبب ذلك اتقاد الحماس فيه،

ص: ٢٠٧

وطلب العلم بجهد حتى وصل إلى مكانه أبيه، ولذا يوجد في الرجال كلمه (الجبائيان) يعنى هو ووالده، لأنهما انخرطا فى سلك واحد.

وعليه فاللازم على من يريد إقامه الدوله الإسلاميه بناء حياته على الصدق والحقيقه، لا على الكذب والدجل والشطاره، وإلا فهو إنما يخدع نفسه ويصرفه فى الاعتبار، وأخيراً لا يحصل حتى على مقدار نفسه، فطوبى لمن عرف قدره ولم يتعد طوره، إنه ليس الأمر بالهيكليه والدعايه الفارغه والفخفه المكذوبه، بل بالجهد والتعب والسهر والنصب والواقعيه الصعبه، ومع كل ذلك لا بد من عون الله سبحانه وتعالى، فقد قال الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام): «فلما علم الله منا الصدق أنزل علينا النصر»^(١).

فأزمه الأمور طراً بيده

والكل مستمده من مدده

((مدح النفس))

((مدح النفس))

السادس والعشرون: ومن فلسفه التأخر مدح النفس، فإنه يدل على ضعه النفس وتأخرها، وقد جبل الناس على الازدراء بمن يمدح نفسه والفرار منه والتفتيش عن عيوبه، وقد ورد فى القرآن الحكيم: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)^(٢).

وفى الحديث: «تزكيه المرء نفسه قبيح»^(٣).

((الهروب عن المسؤوليه))

((الهروب عن المسؤوليه))

السابع والعشرون: ومن فلسفه التأخر الهروب عن المسؤوليه، وليس المراد بالمسؤوليه ما ألقاه الناس على عاتقه من الخدمه ونحوها، بل ما يكون الإنسان مسؤولاً عنه أمام الله سبحانه والمجتمع وأمام ضميره، فإن قسماً من الناس _ وهم الأكثر _ لا يعملون بالقدر المتوسط، وإن كانوا يستفيدون من خيرات الحياه بالقدر المتوسط، أو

ص: ٢٠٨

١-.

٢- سورة النجم: ٣٢.

٣-.

الأكثر من المتوسط، ومنهم من يعملون أكثر من المتوسط، بل قسم منهم يعملون بقدر آخر الطاقه، وهؤلاء هم الذين يفهمون المسؤوليه ويقدرونها حق قدرها، ويحملون عبئها، ويسبب ذلك إنجازهم بعد نجاحهم.

فبالإلزام أن يهيباً الإنسان نفسه لأداء هذا الحمل بكل رحابه الصدر، لا بقدر أن يقال له إنه يعمل، بل بقدر ما يقال له كفاك عملاً، فيأخذ في العمل لأنه يهوى الهدف.

هذا بالنسبه إلى مطلق المسؤوليات، أما بالنسبه إلى التيار الإسلامى الهادف إلى الدوله الإسلاميه، والدوله الإسلاميه إذا قامت، وكان الإنسان عضواً فيها، فالاستمرار فى العمل الجاد المضمنى هو الذى يمكن الإنسان من الوصول، ثم البقاء بعد الوصول.

نعم يلزم أن لا- يخرج عن طوق: (إن لبدنك عليك حقاً)، كما قال (صلى الله عليه وآله): «المنبت لا- أرضاً قطع ولا- ظهراً أبقى» ((١))، بل بين ذلك وبين قوله (عليه الصلاه والسلام) فى الدعاء: «وحالى فى خدمتك سرمداً» ((٢)).

((التوفاه))

((الهروب عن المسؤوليه))

الثامن والعشرون: ومن فلسفه التأخر العمل بالتوفاه، فإن قسماً من الناس يشتغلون بالتوفاه عوض العمل بما ينبغى، إن من كناس البلديه إلى العالم الكبير الذى يدرّس مئات التلاميذ أرفع الدروس مشتغلون بحاجات الحياه، لكن أين ذاك من هذا. وفى التيار الإسلامى ساعى البريد والمدرس الجليل القدر كلاهما فى هذا الطريق، لكن أين أحدهما من الآخر.

وهذا غير الهامشيات مما تقدم، فإن العمل فى المتن له توفاه ولباب أيضاً، وقد قرأت فى تقرير: إن اليهود يشغلون أفرادهم فى جلائل الأمور لا صغارها، فإنهم يتركون الصغار

ص: ٢٠٩

١-.

٢-.

لسائر الناس، مثلاً- يشتغلون في البنوك وإداره الوظائف الكبار والجامعات وما أشبه ذلك، ولا يوجد منهم في مثل أوروبا أو أمريكا كناس أو فلاح أو عامل أو نزاح أو ما أشبه ذلك، وقد قال في القرآن الحكيم: «يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» (١).

وفي الروايات إلماع إلى ذلك:

فعن الصادق (عليه الصلاة والسلام) أنه أوصى بعض أصحابه فقال: «لا- تكن دواراً في الأسواق، ولا تل شراء دقائق الأشياء بنفسك، فإنه لا- ينبغي للمراء المسلم ذى الدين والحسب أن يشتري دقائق الأشياء بنفسه، خلا- ثلاثه أشياء: الغنم والإبل والرقيق» (٢).

ونظر على (عليه الصلاة والسلام) إلى رجل من أصحابه يحمل بقلأ على يده، فقال: «إنه يكره للرجل السرى أن يحمل الشىء الدنىء» (٣).

وفي روايه الجعفریات، بسند الأئمه (عليهم السلام) إلى على (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عز وجل جواد يحب الجود، ومعالى الأمور، ويكره سفاسفها» (٤).

إلى غيرها من الروايات.

وكما يأتى ذلك فى الفرد يأتى فى الأمه، والتيار من قسم الأمه، والدوله قسم منها.

((انتظار المفاجئات))

((انتظار المفاجئات))

التاسع والعشرون: ومن فلسفه التأخر انتظار المفاجأه، وهو غير انتظار الفرج والرجاء، فإن الأخيرين معناهما أن يأتى الإنسان بما يمكنه من العمل ثم يكل ما لا يتمكن منه إلى الله سبحانه منتظراً لطفه وإنجاحه، أما الأول فهو عدم العمل بانتظار انصلاح الأمر بنفسه،

ص: ٢١٠

١- سورة الأعراف: ١٤٥.

٢- .

٣- .

٤- .

فإنه دليل على خور العزيمه، وضعف الهمه، وعدم فهم الأمور.

وقد ورد في الروايات الإلماع إلى ذلك.

إن الحياه دائماً لمن يهيؤون المقدمات لها، فإن ذلك سنه الله في الكون، أما المفاجئات فهي نادره، حتى أن السيول والزلازل والصواعق وغرق البحر للمدن وما أشبه كلها يمكن منع إصابتها الإنسان إذا وضعت السدود والملاجئ وما أشبه لأجل التوقى منها، كما قرّر في العلم الحديث، وكما رآها الإنسان في بعض بلدان العالم.

((عدم الاعتبار بالعبر))

((عدم الاعتبار بالعبر))

الثلاثون: ومن تلك الفلسفه التأخريه عدم الاعتبار بالعبر، وفي الحديث: «ما أكثر العبر وأقل المعبر»^(١)، فإن في أحوال الماضين ومشاهدات المعاصرين أكبر العبر لمن يريد الاعتبار.

إن قوانين العلل والمعاليل والملازمات في الدنيا ظاهره للعيان، وكل جزئى جزئى يكون تابعاً لتلك، فمن اعتبر يستخلص الكليات من الجزئيات حتى يتجنب الجزئى المشابه الموجب للسقوط في المستقبل، ويأخذ بالجزئى الموجب للارتفاع كذلك.

بينما من لا- يعتبر لا يفعل أياً من الأمرين، إن من أدخل إصبعه في جحر فلدغ، ينتقل من ذلك إلى أن في داخل الجحر حيوان لاسع، كلما أدخل الإنسان إصبعه فيه لدغه، فلا يدخل إصبعه مره ثانيه، ولذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله): «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»^(٢)، وإنما قال: (المؤمن) لأنه بصدد الاعتبار الأكثر، وإلا فكل عاقل كذلك وإن لم يكن مؤمناً.

وفي مقابل ذلك إذا استفاد الإنسان من البنفسج في رفع زكامه مره استفاد منه كل مره، لأنه ينتقل من هذا الجزئى إلى كلى يطبقه على الجزئى المستقبلى المشابه.

وأسباب السقوط والارتفاع كلها كذلك، فمن فلسفه التأخر أن لا يعتبر

ص: ٢١١

١-.

٢-.

الإنسان، فإن قسماً من الناس يفلسفون لعدم المشابهة.

وفى العصر الحاضر رأينا كيف سقطت حكومات إحداها تلو الأخرى، لأن المتأخره لم تعتبر من المتقدمه، فسلكت نفس المسلك الموجب للسقوط فسقطت، ويقال: إن ذلك من عوامل مجيء الحكومات وسقوطها، فالأولى تأخذ بالأسباب فتأتي، والثانيه تترك الأسباب فتسقط.

((الأنانيات))

((الأنانيات))

الواحد والثلاثون: الزعم بأنى خير، من فلسفه التأخر أيضاً، فإننا شاهدنا أن بعض الأحزاب الإسلاميه أو غير الإسلاميه سقطت أو لم تصل إلى النتائج، لانطوائها على فلسفه أنها خير، وأنها الرائدة، وأنها القائده، وأنها المتقدمه، وأنها المفكره، وأنها المتمكنه من الإنقاذ دون ما سواها، وما إلى ذلك من المزاعم.

إن البحر يأخذ الضريبه من مئات الأنهر، لأنه يجعل نفسه فى دون مستواها، كذلك حال الإنسان المتواضع يقول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر

على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كاللدخان يعلو بنفسه

على صفحات الجو وهو وضع

وإبليس (لعنه الله) سقط لأنه قال: {أنا خير} (١١)، وقد قال فرعون: {أنا خيرٌ من هذا الذى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ} (٢).

وكل ساقط ينطوى على هذه الفلسفه، بينما كل من يتقدم ينطوى على فلسفه معاكسه، والزعم بالخيرييه يظهر فى كل أطوار الإنسان: لسانه وكتابته وسلوكه وغيرها، فاللازم أن يهتم التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه بفلسفه التواضع، وعدم رؤيه النفس فوق مستواها، بل رؤيتها دون مستواها، وفى الدعاء: «اللهم لا تجعلنى من المعارين،

ص: ٢١٢

١- سورة الأعراف: ١٢.

٢- سورة الزخرف: ٥٢.

ولا تخرجني من التقصير»^(١)، والمراد أن لا يكون إيماني عاريه، لأن في الأحاديث: إن بعض الإيمان عاريه يؤخذ من الإنسان عند الموت^(٢)، و(لا تخرجني من التقصير) أى لا أرى نفسي إلا مقصراً دائماً.

((العنف))

الثانى والثلاثون: الجنوح إلى العنف من أسوأ ما يتلى به التيارات، وقد ذكرنا تفصيل ذلك فيما تقدم.

والقصد هنا الجنوح لا-الفعليه، إن كثيراً من الناس يجنحون إلى العنف فى كلامهم وتفكيرهم وأعمالهم، وحتى وإن لم يصل الأمر إلى الخارجيه، فإن اللاعنف منطوق على السكون والتواضع، مثلاً إذا رأى أحدهم كلمه فى كتاب زعم أنها كل شىء فى الأمر، بينما اللاعنف يفحص ويبحث ليرى أنها حقيقه أم لا، وكذلك حال سائر الظواهر العلميه أو الأدبيه أو السياسيه أو الاقتصاديه أو غيرها، وإذا كان تفكيره هكذا يكون كلامه وعمله على طبق ذلك، إلا إذا تجشم خلافه، بينما يلزم العكس.

وذلك بحاجه إلى تربيته نفسه طويله، حتى ينقلب الانطواء العنيف إلى الانطواء اللين الرفيق، ولا يخفى أن مخبر العنف والانطواء على الحديه إنما ينمو فى النفوس القاحله غير المؤدبه وغير المرباه من ناحيه، ومن ناحيه ثانيه فى غير المجتمعات الاستشاريه، أو بالتعبير الغربى غير الديمقراطيه، فإن الجو العام يوجب إنبات النبات المشابه لذلك الجو، فالدابوعه مثلاً لا تنبت إلا فى الجو المناسب، بينما الحنظل أيضاً بحاجه إلى جو مناسب، وهكذا الماء يملح فى الأراضى المالحة، ويعذب فى الأراضى الطيبه، والتريه والاستشاريه جوان مناسبان للرفق، فيما خلافهما جوان مناسبان للعنف، قال سبحانه: ((وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا))^(٣).

ص: ٢١٣

١-.

٢-.

٣- سورة الأعراف: ٥٨.

((إفراط وتفريط))

((إفراط وتفريط))

الثالث والثلاثون: قسم من الناس يزعمون بأنهم يستوعبون الحياه، وهذا يوجب أن يكونوا كالمئبب لا أرضاً أقطع ولا ظهراً أبقي، وقد قالوا: خير الأمور أواسطها.

وبذلك يسقطون فى بؤره الرذيله أو المرض أو العنف أو الدكتاتوريه أو ما أشبه ذلك، وأخيراً يتأخرون عن القافله.

إن الحياه لها موازينها ولا تستعد الحياه للخروج عنها، ومن أراد الخروج صفعته الحياه أكبر الصفعات، كمن يقول: إنى لا أؤمن بالجاذبيه، ثم يلقى نفسه من الشاهق فإنه تتكسر عظامه.

وفى المثل القديم: إن النار تقول: أنا شيخ كبير لا أطيق الشده فانفخ فى بلين أشب، والنفخ العنيف يوجب انطفائى.

إن من يكد ليل نهار ويسهر فوق طاقته، أو لا يأكل كذلك يمرض، ولذا ورد فى الروايات النهى عنه، ومن يتاجر بكل ماله بزعم أنه يأتى بأرباح وفيره ينكسر، ويذهب حتى أصل ماله، ومن يجازف يكون مصيره السقوط، وقد سأل تاجر مجازف عن آخر رابح عن سبب ربح الثانى وخساره نفسه، فقال المسؤول عنه: إنه يضع نصف ماله فى التجاره، فإن ربح فهو وإن خسر وضع نصف النصف الثانى، وهكذا، ومثله لا- يخسر إلا- الأندر من النادر، وأما السائل فإنه يضع كل ماله، ومثل ماله أيضاً باقتراض، وكثيراً ما يخسر الإنسان ولو مره، وبذلك يكون خسر مستقبله ثروه وسمعه، وهكذا يكون حال المجازفين.

لذا فعلى التيار أن يعرف قدر نفسه وإمكاناته حتى لا يسقط، كما رأينا من سقوط كثير من التيارات وغيرها لعدم تقديرهم ذلك.

((الخداع))

((الخداع))

الرابع والثلاثون: الجنوح إلى الخداع، فإن بعض التيارات والحكومات كبعض الناس يجنحون إلى الخداع، وهذا من أوجب

أسباب السقوط، فإن الخدعه لا يمر زمان إلا وتظهر، فلا يصدق الخادع حتى إذا صدق، وبذلك يخسر كل رأس ماله، بينما غير المخادع يربح كل رأس ماله، قال سبحانه: ((وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) (١).

وقال تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) (٢).

وقال: ((وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)) (٣)، وإنما قال: (السيء) لأن المعنى اللغوي للمكر العلاج الخفى، قال (عليه السلام): «ولا تمكر بى فى حيلتك» (٤).

نعم المنصرف من المكر لدى الإطلاق السيء منه، وفى المثل: يمكن للإنسان أن يخدع بعض الناس فى بعض الوقت، ولا يتمكن الإنسان أن يخدع كل الناس ولا فى كل الوقت.

ثم من الواضح أن واقع البيض يفرخ، والحنطه تثبت، لا- ما ليس له حقيقتهما، فإن الحقيقه هى النابته لا الخداع، وكل منا رأى الخادعين كيف سقطوا، وأن الناس لم يعتمدوا عليهم حتى فى صدقهم.

والجهل والغرور هما من أسباب الجنوح إلى الخداع، والمنطوى على ذلك ينطوى على نفسه متأخره، فعلى التيار الإسلامى ثم الدوله المرتقبه ياذن الله سبحانه أن يتجنب الخداع، حتى بقدر قيراط منه، قال الشاعر:

ومهما يكن عند امرئ من خليقه

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ولذا ورد عن الإمام الصادق (عليه الصلاه والسلام) أنه سُئل ما الحيله، قال: «فى ترك الحيله» (٥).

ص: ٢١٥

١- سوره آل عمران: ٥٤.

٢- سوره النساء: ١٤٢.

٣- سوره فاطر: ٤٣.

٤- .

٥- .

وكما أنه لا يمكن الاستحواذ على الثروه أو العلم بالحيله، بل يلزم على الإنسان أن يسير فى الطريق المقرر حتى يصل إلى الثروه الكبيره أو العلم الكثير، كذلك لا- يمكن أن يستحوذ الإنسان على السياسه بالحيله، وما اشتهر من أن السياسه كذب ونفاق ودجل، يراد بذلك السياسه الزائفه التى لا- يمر زمان إلا- وتذهب، ولذا ترى أن هؤلاء السياسه الذين يجنحون إلى الخدعه يسقطون فى أوحال الرذيله، ويتجنبهم الناس، ويكونون أمثله الدجل والخيانه والمكر والرذيله.

وقد جاءنى معلم كان فى حزب وقال: إنى خرجت منه بعد كونى من أعضائه البارزين سبع سنوات، ثم بين السبب بأن فلسفه الحزب على الخداع والمكر والالتفاف، وأنه من يوم دخله يأمره مسؤوله بالقيام ضد هذا أو ذاك، وعلى طول الخط كان عمل مسؤوله ذلك، ونفس ذلك الحزب لم يمض زمان إلا وانفض الناس من حوله، حتى لم يبق منه باقيه.

ولا- يخفى أن ضبط النفس لأجل تحرى الحقيقه من أشكال الأمور، فإن الإنسان إذا لم يكن كذلك وإنما كان طالب فخفخه وإظهار نفس فوق مستواه، لا- بد وأن يسير فى مسير الخداع، وحيث لا يصل إلى مرماه يزعم بأنه يتمكن من الوصول بسبب المكر والخداع، وبذلك ينطلق من اشتباهه، ويجنح ويسير فى اشتباهه، ويسقط أخيراً فى مساقط الاشتباه، ويكون مصفراً، والنتيجه حطاماً.

((الرؤيه العكسيه))

((الرؤيه العكسيه))

الخامس والثلاثون: رؤيه الحياه مقلوبه والنتائج عكسيه، فإن قسماً من الناس فرداً أو جماعه يبنون فلسفتهم الخاطئه على رؤيه الحياه مقلوبه، وهؤلاء لا يتمكنون من السير إطلاقاً، كمن يضع السياره مقلوبه على الأرض ظهرها عليها وبطنها إلى السماء، فهل يتمكن من

السير، وهكذا حال المعنويات، فإن المقلوبات المعنويه هي بإزاء المقلوبات الخارجيه حالها، ونتائجها نتائجها، ولكن كل في بعدها الخاص بها.

يقال: إن شخصاً أخذ كوباً من دكان مقلوباً، فقال: لماذا لا فتحه لهذا الكوب، ولماذا تحته ثقبه، فأخذه صاحب الدكان وقلبه قائلاً، قد ارتفع الإشكالان.

كان بعض الناس في العراق يتصورون أن الحكم في العراق شيء هين، ويستدلون بانقلاب قاسم والبعث ومن إليهما، بينما كان التصور مقلوباً، إذ قياس الحكم غير المعتمد إلا على نفسه على الحكم المعتمد على الغير من قلب الحقائق، وأن أوروبا وأمريكا وهما ألف مليون، متحذان في كل الخطط والشؤون ضد المسلمين، وهم مزودون بأحدث الأسلحة والأنظمة وأقوى اقتصاد وإعلام وما أشبه، هؤلاء كانوا وراء الانقلابات من قبل ولادتها إلى بعد صيرورتها، فهل يقاس بأولئك جماعه من أهل البلاد لا يسندهم شيء، بل يعاديهم أولئك، إن المستعمرين عندهم المليارات من الأموال وعشرات الألوف من الجرائد والمجلات والإذاعات والتلفزيونات ومئات الألوف من الجواسيس والخبراء وما أشبه إلى غير ذلك، وكلها تأتي بلانقلاب ثم تسنده، ولذا لا نجد حتى انقلاباً واحداً واقعياً في الشرق نجح، بينما رأينا كيف أن الانقلابات ظهرت في أخير الأمر مرتبطه بلندن أو باريس أو نيويورك أو ما أشبه.

وعلى أي حال، فاللازم على التيار الإسلامي والحكومته الإسلاميه إذا قامت، أن لا ينطوى على فلسفه مقلوبه، فإن الانطواء على فلسفه

مقلوبه لا يزيد الأمر إلا إعضالاً.

((التوقف والسير الدائري))

((التوقف والسير الدائري))

السادس والثلاثون: ومن فلسفه التأخر السير بنحو دائري، أو النكوص، أو الوقوف.

فالأول: بأن يسير الإنسان دائماً، ولكن سيراً دورياً لا يتقدم شيئاً ولا يتأخر.

والثاني: بأن يسير مده إلى الأمام ثم يأخذ في السير القهقري.

والثالث: بأن يسير مده ثم يتوقف.

وعلى التيار الإسلامي أن لا يكون من الثلاثة، تحت فلسفات عقيمه ومباحث جدليه، كما يعتاده كثير من الأحزاب، بل اللازم ملاحظه التصاعد المستمر في الحركة كما وكيفاً وجهه، وذلك من العسير جداً فهمه، وأعسر منه العمل على طبقه.

إن نظره عميقه إلى حياه الرسول (صلى الله عليه وآله) تبين هذه الحقيقه، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) بدأ في التصاعد ومات (صلى الله عليه وآله) وهو في حال التصاعد المستمر.

مثلاً من ناحيه الكم ابتدأت حرب بدر بزهاء ثلاثمائه، ثم ارتفعت الأعداد في حرب أُحُد بأكثر، ثم في فتح مكه كان يصاحب عشره آلاف، ثم حرب الحنين كانت يائثنى عشر ألف، ثم حرب تبوك بثلاثين ألفاً، ثم حجه الوداع بمائه وثمانين ألفاً، كما في بعض التواريخ.

والمسلمون بدؤوا بواحد، وهو على (عليه الصلاه والسلام)، ثم ثانٍ هي خديجه (سلام الله عليها) وهكذا، حتى انتهى إلى سبعة ملايين من

ص: ٢١٨

مائة وخمسين مليون من كل بشر العالم في ذلك الزمان، حسب بعض الإحصاءات.

ومن ناحيه رقعته الأرض، فقد بدأت أرض الإسلام في المدينه وهى قريه ذات عشره آلاف إنسان كما ذكره المؤرخون، وانتهت عند ممات الرسول (صلى الله عليه وآله) بسعه تسع دول فى خريطه عالم اليوم، وهكذا.

أما الحزب فى بلادنا فكثيراً ما يبدأ صغيراً، ثم يأخذ فى الكبر، ثم يدور حول نفسه، أو ينكص بانفضاض الناس من حوله، أو يتوقف توقفاً كاملاً.

وإنى أذكر كيف أنه كان فى العراق أربعة وأربعون حزباً، وكيف كان فى لبنان أكثر من ثلاثمائه حزب رسمى وغير رسمى، ثم تبخر بعضها تبخراً كاملاً، وتجمد بعضها، وانتكص بعضها، وليس كل ذلك إلا لفلسفه تأخريه تنطوى عليها نفوس نواه كثير من الأحزاب.

وعلى أى حال، فاللازم على التيار الإسلامى أن يتجنب هذه الفلسفه بكل ما أوتى من حول وطول، وإلا فلا يرجو التقدم فضلاً عن الوصول إلى الحكم، وإذا قامت الدوله الإسلاميه بإذن الله سبحانه فلا ترجو البقاء بله التوسع وهى منظويه على هذه الفلسفه.

وفى الحديث: «من ساوى يوماه فهو مغبون»^(١)، وهذا الحديث كما يصدق على الفرد كذلك يصدق على التيار، وعلى الحكومه، وعلى سائر القطاعات الاجتماعيه، كما يشمل كل بعد من أبعاد الحياه الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه والتربويه وغيرها.

((انحطاط الهمة))

((انحطاط الهمة))

السابع والثلاثون: من فلسفه التأخر انحطاط الهمة، فإنه من أهم أسباب التأخر أن الإنسان ليجد نفرين يبدءان فى الكسب أو العلم

ص: ٢١٩

أو ما أشبه ذلك ثم بعد مده يرتفع أحدهما إلى مراتب عالية، بينما الآخر ينحط أكثر من وقت شروعه، أو يبقى كما كان، إن الفارق بينهما هو الهمه وعدمها غالباً، وقد قال على (عليه الصلاه والسلام): «المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه» (١)، وحتى الطيران بالطائره والأقمار الصناعيه إنما تمكن الإنسان منه بسبب الهمه الرفيعه للمكتشفين والمخترعين.

ويقال: إن كونفوشيوس مر في الصين على قبيله، فقالوا له: يا معلم إن قبيلتنا تنشق من الأجداد إلى نصفين، نصف منها في هذا الجانب من الجبل، والنصف الآخر في الجانب الآخر منه، ونحن بين كل سنوات يزور إحدانا الأخرى، لكن نلاقي المشقات الكبيره الكثيره في عبور الجبل حيث يموت بعضنا صعوبه، أو لافتراس الوحش له، أو لسقوطه في الوادي، فهل لك علاج هذه المشكله؟

قال كونفوشيوس: إنها سهله، قالوا: كيف، قال: اقلعوا الجبل بقدر ممر طريق بينكما، قالوا: وهل يمكن قلع الجبل، قال: ارفعوه حجراً حجراً، فإذا تضافرت جهودكم واستسهلتم الأمر ينتهي الأمر بالآخره إلى طريق سهل تتمكنان من التلاقي بعد ذلك بكل يسر. وانتصحوا بنصيحه الحكيم، ولم يمض زمان إلا وانقلعت هذه القطعه من الجبل بينهما، وتلاقت القبيلتان.

وهكذا فإن الهمه الرفيعه توجب تسهيل الصعاب، فعلى التيار الإسلامى أن يكون كذلك، وإلا فالأمور الكبيره لا تأتي إلا من الأنفس الكبيره، نعم معنى الهمه الرفيعه الأخذ بلوازم الوصول إلى الأهداف، وإلا لم تكن همه وإنما خداع النفس، ومن المعلوم أن الهمم الكبيره تحتاج إلى الصعوبات الكثيره، يقول الشاعر:

ص: ٢٢٠

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مرادها الأجسام

وفي شعر آخر:

لولا المشقه ساد الناس كلهم

الجود يفقر والأقدام قتال

((الاستعجال))

((الاستعجال))

الثامن والثلاثون: ومن فلسفه التأخر الاستعجال فى الأمور، وزعم أن الشىء إذا لم يتيسر بسهولة لزم تركه، فإن النفس الطويل والصبر وإن كانا مرأً، يأتيان بأحسن النتائج، ويوصلان إلى أبعد الأهداف.

وفى الرويات جملة كبيره مما يأمر بالصبر والحلم، ومن المعلوم أن بينهما عمومًا مطلقًا، فالحلم عن الغير، أما الصبر فهو شامل له، ولما كان عند النعمه حتى لا يبطر، وعند البلاء حتى لا يجزع، وعند الطاعه حتى لا يعصى:

عن هشام بن الحكم، عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة، فيقال: من أنتم، فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم، فيقولون: كنا نصبر على طاعه الله، ونصبر عن معاصى الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قول الله عز وجل: (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (١)» (٢).

وعن الأصبح، قال: أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): «الصبر صبران، صبر عند المصيبه حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك، والذكر ذكران، ذكر الله عز وجل عند المصيبه، وأفضل من ذلك ذكر الله عندما حرم الله عليك، فيكون حاجزاً» (٣).

وعن أبى حمزه، قال: أبو جعفر (عليه السلام): «لما حضرت على بن الحسين (عليه السلام) الوفاه ضمنى إلى صدره وقال: يا بنى أوصيك بما

ص: ٢٢١

١- سورة الزمر: ١٠.

٢-

٣-

أوصانى به أبى حين حضرته الوفاه، ومما ذكر أن أباه (عليه السلام) أوصاه به: يا بنى اصبر على الحق وإن كان مرأاً» (١).

وعن أبى جعفر (عليه السلام) قال: «الصبر صبران، صبر على البلاء حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن محارم الله» (٢).

وعن الصادق (عليه الصلاة والسلام) قال: «اصبروا على الدنيا، فإنما هى ساعه، فما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجئ فلا تدرى ما هو، وإنما هى ساعتك التى أنت فيها، فاصبر فيها على طاعه الله، واصبر فيها عن معصيه الله» (٣).

وعن على (عليه الصلاة والسلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثه، صبر عند المصيبه، وصبر عند الطاعه، وصبر عن المعصيه، فمن صبر على المصيبه حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائه درجه ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعه كتب الله له ستمائه درجه ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر على المعصيه كتب الله له تسعمائه درجه ما بين الدرجه إلى الدرجه كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش» (٤).

وعن أبى الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه قال لبعض ولده: «يا بنى إياك أن يراك الله فى معصيه نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله عند طاعه أمرك به» (٥).

وعن الباقر (عليه الصلاة والسلام)، إنه قال: «لما حضرت أبى الوفاه ضمنى إلى صدره وقال: يا بنى اصبر على الحق وإن كان مرأاً، توف

ص: ٢٢٢

- ١-.
- ٢-.
- ٣-.
- ٤-.
- ٥-.

أجر ك بغير حساب»(١١).

وفى (نهج البلاغه) عن على (عليه الصلاة والسلام) أنه قال: «الصبر صبران، صبر على ما تحب، وصبر على ما تكره»(٢).

ثم قال (عليه السلام): «إن ولى محمد (صلى الله عليه وآله) من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد (صلى الله عليه وآله) من عصى الله وإن قربت قرابته»(٣).

وقال (عليه الصلاة والسلام): «شتان بين عمليين، عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب معونته يبقى أجره»(٤).

وفى حديث: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، وكما لا خير فى جسد لا رأس معه لا خير فى إيمان لا صبر معه»(٥).

((القول المطلق))

((القول المطلق))

التاسع والثلاثون: يجب الفصل بين الفهم والقول فى الجملة، فتطبيق أحدهما على الآخر كلياً من فلسفه التأخر، إذ كثيراً ما يفهم الإنسان ويلزم عليه القول طبقه، وكثيراً ما يفهم الإنسان ويلزم عليه أن لا يقول على طبق ما فهم.

أما القول بلا فهم، فهو من سمات الذين لا يعقلون، وإن شئت قلت: إن بينهما عموماً مطلقاً، لا من وجه، إن الإنسان يلزم عليه أن يعرف الناس وينزلهم منازلهم الحقيقيه فى الفهم وفى الأعمال التى يكلها إليهم، لا أن ينزلهم على الإطلاق على ذلك.

مثلاً- يعلم أن فلاناً خائن وليس بأمين، أو مرتش أو غير كفوء، ويطلب من التيار توظيفه، فإذا لم يفهم التيار واقعه وقع فى المشكله، أما إذا فهم واقعه وقال له: إن واقعك كذا، وقع فى المشكله أيضاً، بل اللازم أن يفهم واقعه فلا يوظفه، مع لزوم أن لا يقول له إن واقعك كذا حتى يعادى التيار، بل

ص: ٢٢٣

١-.

٢-.

٣-.

٤-.

٥-.

يلزم على التيار أن يهرب عن توظيفه بأسلوب رقيق لين، جمعاً بين الأمرين، ولا يلزم من ذلك الكذب، إذ هناك أعذار يمكن إبدائها لعدم التوظيف، بعضها جارح وبعضها ليس بجارح، مع أن الكل صدق وواقع، فاللازم إبداء غير الجارح لا الجارح، ولذا ورد في الأحاديث: «قولوا للناس ما يعرفون»^(١).

كما ورد عنه (صلى الله عليه وآله): «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(٢).

وهو يشمل كلاً من قدر المدرك ومن غير الجارح، مثلاً يقول للطفل الذى يسأل عن معنى الزواج إنه كالشاهد فى الحلاء، إذ مدركه ليس فوق ذلك، كما يقول لمريد التوظيف: إن ماله التيار لا يساعد على التوظيف المتزايد، وكلامه هذا صحيح أيضاً، كما يصح قول: إن الطالب ليس بكفوء، وهو صحيح أيضاً، لكن لا داعى إلى القول الثانى الجارح ما دام يجد التيار القول الأول، بل اللازم أن لا يقول كل الحقيقة حتى للصديق، إلا الصديق المائه فى مائه، وهو قليل جداً، يقول الشاعر:

احذر عدوك مره

واحذر صديقك ألف مره

فلربما انقلب الصديق

فكان أعلم بالضره

ولذا قال القرآن الحكيم: ((وَأَعْرِضْ عَن بَعْضِ))^(٣).

وهذا هو ديدن الحكماء على الإطلاق، بله الأنبياء (عليهم السلام)، وفى الحديث: «إن عيرك بما ليس فيك فلا تعيره بما فيه»^(٤)، وذلك حفظاً للصدقه، أو إبقاءً على الحياد بعدم العداوه، أو تقليلاً للعداوه.

ص: ٢٢٤

١- .

٢- .

٣- سورة التحريم: ٣.

٤- .

وعلى أى حال، فعلى التيار ثم الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه وتعالى، أن يفهم كل الفهم، لكن عليه أن لا يقول كل القول، كما أن على التيار اجتناب الأقوال الضارّه أو غير النافعه، مثل ذكر مشاكل التيار أو انهزاماته أو نواقصه، فإن ذلك مما يوجب انفضاض الناس من حوله، كما هو حال الفرد، فإن الفرد الذى يذكر مشاكله للناس ونقائصه وانهزاماته، الناس لا يتخذونه صديقاً، فإن الناس اعتادوا على الالتفاف حول الأقوياء لا الضعفاء. بالإضافة إلى أن مثل هذه الكلمات مما يسر العدو ويحزن الصديق.

وهذا صادق فى الفرد، وفى المنظمه، وفى الهيئه، وفى الدوله، وليس معنى ذلك أن يكذب الشخص، بل معناه أن يسكت عن كل من الطرفين، وهذا مجال قولهم (عليهم السلام): «إن كان الكلام من فضه فالسكوت من ذهب»^(١)، لا فى مثل الإرشاد إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطائفتان من الروايات فى كل من الكلام والسكوت لكل واحد منهما مورد خاص.

(قله الصبر))

(قله الصبر))

الأربعون: من اللانزم على التيار أن يكون ذا نفس طويل، وأن يستمر فى الأمر بدون يأس عن النتيجة وإن تأخرت، فإن من الأشجار ما ينتج بعد ثلاثه أشهر كالثقلاء والسلق والباذنجان ونحوها، ومنها ما ينتج بعد عشر سنوات كالتفاح والكمثرى والرطب ونحوها، وهكذا حال الأعمال.

والتيار الإسلامى، توسيعه فى الكم والكيف على ما ينبغى ثم وصوله إلى الحكم من أبطأ الأشجار ثماراً، ومن الممكن الوصول بشرط ما ذكرناه.

وفى الأنبياء (عليهم الصلاه والسلام) والأئمه الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) والناضجين من العامين عبره

ص: ٢٢٥

١- راجع الكافى: ج ٢ ص ١١٤ ح ٦، وفيه: عن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: « قال لقمان لابنه: يا بنى إن كنت زعمت أن الكلام من فضه فإن السكوت من ذهب » ، وفى مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٦ ب ١٠٠ ح ١٠٠٧٣ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): « السكوت ذهب، والكلام فضه » .

لمن اعتبر، فيوسف (عليه السلام) وصل إلى الحكم بعد سنوات طوال من المعاناة المشاق، وكان قصده (عليه السلام) هداية الناس بهذا الطريق كما تقدم الإلماع إليه.

ونوح (عليه السلام) لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وذكروا في أحوال ابن سينا أنه قرأ كتاب بعض الفلاسفة فلم يفهم المراد منه لكثرة تعقيده، فقرأه ثانياً وثالثاً، إلى أن قرأه أربعين مره حتى فهم مراده، مع أن ابن سينا لا شك في ذكائه واتقاده ذهنه.

وينقل عن إديسون أنه لما اكتشف نور الكهرباء حاول أن يحبسه في زجاجه، فجرب تجربته، وخمساً وعشراً ومائة وألفاً فلم يفلح، حتى قال له بعض زملائه: إنك لمجنون تصرف وقتك في المحال، لكن إديسون لم ييأس حتى دامت تجاربه أكثر من ثلاث سنوات ليل نهار، ووصلت عدد التجارب إلى أكثر من تسعة آلاف حتى تمكن من ذلك، والآن نشاهد إناره العالم بسبب ذلك العمل الجاد المستمر.

وقد نقل لي بعض أهل الكويت أنه كان قبل ظهور النفط جاء إنسان من الغرب إلى الكويت ولم يعرف الراوى مهمه ذلك الإنسان في وقت مجيئه، قال: وكنت أراه كل يوم يركب سيارته هو وخادمه ويذهب إلى الصحراء من أول الشمس ثم يرجع أول الغروب، وهكذا دام الأمر سنوات، قال: وسألت مره عن خادمه ماذا يفعل سيدك، أجب: إنى لا أعلم فقط أنه من أول الصباح إلى الليل ينظر إلى الأرض هنا وهناك، ويدور في الصحراء، وكأنه باحث عن شىء، وأحياناً في كل أسبوع مره، أو أكثر من أسبوع، يأخذ حصاه صغيره يحفظها عنده، ثم يبعثها إلى الغرب، قال الراوى: وهكذا رأيتة خمساً وعشرين سنه، وتبين بعد ذلك أنه كان يفحص عن النفط، وأخذه لتلك الحصيات كان لأجل إرسالها إلى مختبراتهم لتكشف هل أنها أرض نفطيه أم لا، وأخيراً وصل إلى بغيته،

وانكشف النفط في أرض الكويت كما هو معروف.

((اتباع الهوى))

((اتباع الهوى))

الواحد والأربعون: ومن فلسفه التأخر ترك التيار أفرادَه وهواهم، فإن (ترك النفس وهواها سعى لها فى رداها) كما فى المثل، بل اللازم المواظبه على تربيته صالحه توجب تمكنهم من الأخذ بزمام الحياه.

فإن الناس لا يلتفتون حول الاعتباطيين، وهذا لفظ تحته ألف معنى ومعنى، والتربيه مزيج من العلم والأخلاق الرفيعه والاستمرار فى العمل واليقظه الدائمه والحزم وما أشبه مما اعتنى بها علم الأخلاق إيجاباً وسلباً.

فقد ورد فى الحديث، عن الرسول (صلى الله عليه وآله): «أدبنى ربي فأحسن تأديبي»^(١).

وقد سمعت من بعض الخطباء ولم أر هذه القصه بنفسى، أن شاباً قصد مكه المكرمه ليقتل الرسول (صلى الله عليه وآله) حين كان فى مكه، لزعم الشاب أنه سبب تفرقه العرب، وفى يوم حار ورد ظهراً مكه المكرمه والتقى بالرسول (صلى الله عليه وآله) وهو لا يعرفه، وأضافه الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث رآه غريباً، ثم نام عنده وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) يروح عليه بمروحه ليجف عرقه المتصاب، وبعد أن قام من نومه طلب منه الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يخبره بحاجته لعله يساعده فى إنجاحها، وبعد أن أخذ الشاب من الرسول (صلى الله عليه وآله) الأيمان المغلظه أن لا يخبر بذلك أحداً أظهر الشاب أنه جاء ليقتل الرسول، وطلب من الرسول نفسه أن يدلّه على الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال له الرسول (صلى الله عليه وآله): ها أنا ذا محمد فاقتلنى قبل أن يطلع أحد، وإلاّ لمنعك أهلى عن ذلك، وتحير الشاب هل أنه هو الرسول حقاً، وكيف يقول هذا الكلام، وبعد أن ظهر له أنه هو

ص: ٢٢٧

الرسول (صلى الله عليه وآله) حقاً وقع على قدمي الرسول (صلى الله عليه وآله) يقبلهما ويعتذر عنه لسوء نيته وأسلم على يده الشريفه.

فإن تم هذه القصة ففيها دلالة ما فوقها دلالة في أدب الرسول (صلى الله عليه وآله) الجسم، وحكمته البليغه، حيث إنه كان يعلم أن مثل هذه الدعوه لا بد وأن توجب رد الفعل في نفس الشاب.

نعم إن مثل هذا الأمر بحاجة إلى استظهار نفسيات الأفراد، وإلا فربما نَفَذ الطالب مهمته إن كان صلفاً أحمق، وقد قال نوح (عليه الصلاه والسلام): ((تُمْ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ)) (١١).

وقال هذه الكلمه الإمام الحسين (عليه الصلاه والسلام) ظهر يوم عاشوراء.

وفي التاريخ: إن أحد الملوك سرق بعض خدمه من أثائه آنيه ذهبه، وراه الملك حين السرقة، وأخذ سائر الخدم في الفحص عن السارق، وعلموا أن الملك علم به، وطلبوا من الملك إعلامهم به حتى يعاقبه، قال الملك: الذي رأى السارق لا يبوح به، والسارق لا- يرده فاتركوه وشأنه، ولما علم السارق بقصه الملك وأنه رآه حين السرقة وأنه قال للخدم تلك الكلمه جاء إلى الملك معتذراً أنه اضطرته الحاجه إلى السرقة، قال الملك: وإنى علمت باضطرارك وإلا فأنت رجل نزيه ولذا لم أبح بسررك.

وورد في لقمان الحكيم أنه سرقة اللصوص وباعوه عبداً، وسيده لم يكن يعرفه، وكان يضطره إلى الأعمال القاسيه من البناء ونقل الطين وما أشبه إلى السطوح العاليه، وبعد مده عرف سيده أنه لقمان، وكان قد سمع باسم لقمان قبل ذلك، فجاء إليه معتذراً أشد الاعتذار، قال لقمان: إنك إن أسأت إليّ وقبلك أساء إلى اللصوص الذين باعوني فأني استفدت أكبر الحكمه، لا إني فحسب بل كل الأطراف انتفعوا من الأمر، اللصوص انتفعوا بثنى، وأنت انتفعت

ص: ٢٢٨

بينائي لك، وأنا انتفعت بأن علمت كيف يقيح عمل اللصوص، فأخذ لزاماً على نفسي أن أجعل من حكمتي نهى اللصوص عن عمل اللصوصيه ونصحهم إلى ترك مثل ذلك العمل الشائن، وعلمت كيف أن العبيد في الشده، فأسعى في المستقبل لتحريرهم ونجاتهم، وقد رأفت نفسي تحت وطأه العمل وشدته، فإذا كانت هنالك إساءتان فهناك ثلاث حسنات.

وقد ذكرنا في بعض كتبنا قصه بوذا ويرنا، وبوذا يتبعه اليوم أكثر من خمسمائه مليون شخص في الهند والصين وما إليهما، فيرنا تلميذ بوذا الحكيم، عند ما أراد أن يبعثه إلى قوم متوحشين ليهديهم إلى دينه كان بينهما هذا الحديث:

بوذا: إن من تذهب إليهم يا يرنا براره قساه يغضبون للتافه الحقيق، فما تصنع لو خدشوا كرامتك، وأثاروا عواطفك.

أجاب يرنا: أقول: إنهم أناس طيبون يقابلون الكلام بالكلام، وقد نازعتهم في مبادئهم وهم من طيبهم لم يرفعوا في وجهي يداً، ولم يرشقوني بالحجاره.

قال بوذا: ولكن يا يرنا هبهم أوسعوك صفعاً، ورموا عليك بالأحجار.

أجابه يرنا: أراهم مجاملين حيث لم يضربوني بالسيف والعصى، ولم يثخنوني بالجراح وقد أثخت عواطفهم ونلت من آلهتهم ومذهبهم وطريقتهم وتقاليدهم.

قال بوذا: ولو فرضنا أنه كان كذلك بأن ضربوك بالسيف والعصى فماذا كنت تصنع.

فأجابه يرنا: اغتنم حياتي الباقية، إذ لم يقتلوني وقد قتلوا الأنبياء قبلي وأقول: إنهم أناس طيبون حيث اقتنعوا بالسيف والعصى والحجاره والصفع ولم يأخذوا بقيه حياتي.

قال بوذا: أما إذا أرادوا أن يسلبوك الحياه فماذا كنت تفعل.

قال يرنا: أقول: إنهم أسدوا إلى يداً مشهوره إذ أفلتوني من نيل الآلام وعبء هذا الجسم الفادح وبدلوني بحياه باقيه دائمه.

فاستبشر بوذا قائلاً مرحاً: يا يرنا، فإن في وسعك أن تهدي

وهكذا نجحت دعوته بوذا حتى اتبعها أناس كثيرون تتصل سلسلتهم إلى الحال الحاضر، أما لو فرضنا أن يرنا بمجرد ما خدشوا عواطفه هاجمهم بدوره، فما كانت النتيجة، إن النتيجة طبعاً كانت فشل الدعوه بقتل يرنا ومن إليه، ومن الواضح أن الأرجح أن يصبر بأخلاقه الرفيعة على تلك المشكلات حتى ينجح كما نجح.

وإنى أحتمل أن يكون بوذا هو (يوداسف) المذكور في البحار وغيره.

إلى عشرات القصص المحكيه عن النفسيات الرفيعة، سواء في الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاه والسلام) أو في الذين سلكوا مسلكهم في الأخلاق، واتبعوهم في النفسيات والفضائل، ولست أقصد بذكر هذه القصص أن كل أصحابها كانوا في قمة الفضيله.

نعم ذلك في الأنبياء والأئمة (عليهم الصلاه والسلام) وأمثال سلمان وأبي ذر ومن أشبه صادقهم تمام الصدق، أما في غيرهم فمنهم من كان في أصحاب الفضيله، وبعضهم كان في أمر فضيلي وإن لم يكونوا أصحاب فضل مطلق، فمثلهم مثل حاتم في كرمه، فإنه ممدوح وإن لم يكن مسلماً، وهو صاحب فضيله في هذه الجبهه وإن لم يكن صاحب فضيله في سائر صفاته.

وعلى أى حال، فاللازم على التيار الإسلامى أن يربى أفراده على قمم الفضائل، وإلا فلا لوم على الناس في عدم انصوائهم تحت لواء التيار.

((الانتهام والتكفير والتفسيق))

((الانتهام والتكفير والتفسيق))

الثانى والأربعون: من فلسفه التأخر بل الانحطاط والتحطم، ما اعتاده بعض التيارات الإسلاميه من توزيع الاتهامات والتكفير والتفسيق وما أشبهه، وليعلم أمثال هؤلاء أنهم يسعون في تحطيم أنفسهم، بله إن

الناس لا يلتفتون حولهم، والغالب أن النواه المركزيه للتيار تختفى وراء جبهه من الشباب، وتأمرو وتنهى وتدفع الشباب إلى الميدان ليتهموا الناس وما أشبه ذلك، والنواه تظن أنها يوجب انحفاظ نزاهه ودرك أمله بالابتعاد عن الواجهه، بينما الأمر بالعكس، إن الفرد يتحمل مسؤوليه نفسه أما التيار فالناس يحملون نواته كل مسؤوليه، حتى إذا فُرض أن النواه لم تكن راضيه بعمل أولئك الأفراد الذين يعملون من تلقاء أنفسهم لكنهم منخرطون في التيار.

وعلى أى، فالتكفير والتفسيق والحط من كرامات الناس يوجب أموراً:

الأول: إهانته الأفراد والحط من كراماتهم وتعريضهم للإذلال والتحقير، وكل ذلك محرم فى الشريعة الإسلاميه، ولا يمكن أن يكون فاعلها مورد اعتماد المسلمين وثقتهم.

الثانى: إضاعه الأهداف الساميه، إذ الناس يقعون فى حيره من أمرهم، هل التكفير والتفسيق وما أشبه على حق، فالتيار إن كان صادقاً فى دعواه أنه يريد ترويج الإسلام وتقديمه إلى الأمام والوصول إلى الحكم الإسلامى كيف يكون هو بنفسه أخذ معول الهدم لتحطيم الإسلام أولاً فى أنظار كثير من الناس، ولتحطيم نفسه ثانياً.

الثالث: إيجاد جو من سوء الظن والفساد بين المسلمين، وبذلك تنصرف الألسنه والأقلام والأفكار فى الهجوم والدفاع بدل صرفها فى التقديم والتقدم.

الرابع: إيجاد جو صالح للاستعمار والاستثمار، وتقدم أعداء الإسلام وسيطرتهم على المسلمين، حيث يعرفون نقاط الضعف فى

المسلمين، فيأخذون في الهجوم عليهم.

الخامس: انزال الصالحين عن الميدان، حيث إن الصالحين قلماً ولساناً وأخلاقاً ينزلون الاجتماعات الموبوءة، قال سبحانه: ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)) (١١)، وبذلك تخسر الحركة الإسلامية الهدف والسمعة في وقت واحد معاً.

السادس: وحين الجو مشحون بالتوتر وانزواء الصالحين ينفسح المجال أمام المتزلفين والمتملقين ووعاظ السلاطين وفقهاء البلاط لهدم الإسلام والمسلمين، وتقويض بيوت الفضيله حجراً حجراً، كما شاهدنا ذلك في بعض البلاد الإسلامية، ولها أمثلة متعددة.

السابع: وبذلك يتحطم العمق الإسلامي في كل الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والفكرية وغيرها، لأن الفراش يصبح الجوال في الميدان، على مثل معروف في الألسنة، فلا عمق ولا تعميق، ولا حق ولا تحقيق، ولا لب ولا تليب، وإنما قشور وظواهر وسطوح ومظاهر، ومثل هذه الحياه ظلمات بعضها فوق بعض.

الثامن: تبديل المجتمع إلى النفوس المريضة والمتعقده، مما يوجب ضعف في البنية التحتية، فلا يمر زمان إلا ويأخذ مسير الفناء والدمار.

ولذا فعلى التيار الإسلامي أن يضبط نفسه أشد الضبط، حتى لا يقابل السيئه إلا بالحسنه، كما في دعاء الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام).

وقد كان من نصائح والدي (رحمه الله) لى أن قال: لا ترد السيئه، فإنه إذا سببك إنسان كان هناك سبب واحد، أما إذا رددته يكون هناك سبان، وسبب واحد أقل شراً من سببين، وقال (رحمه الله): وعلاج

ص: ٢٣٢

ذلك أن ترد السيئه بالحسنه.

ويحكى عن الشيخ البهائى (رحمه الله) أنه اغتابه إنسان فأهدى إليه سله من الفواكه.

ومن المعلوم أن ضبط النفس من الأمور العسيره جداً، لكنه من أفضل الأشياء عاقبه وأهنئها ثمره.

((فهم السياسه وصعوبته))

((فهم السياسه وصعوبته))

الثالث والأربعون: ومن الأمور المهمه للتيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه فهم السياسه فهماً كاملاً، ثم الترصد لتكميل النواقص والوقوف دون التحركات المضاده والتيارات الوافده من الشرق والغرب، ومن المعلوم أن فهم السياسه من أشكال الأمور، والسبب فى ذلك أمران:

الأول: من جهه أن السياسه تأخذ من كل علم فى صالح نفسها، فتأخذ من علم الاجتماع والاقتصاد والتربيه والفكر والتجاره والجيش والوزارات والحقوق وغيرها ما يرتبط بها، إذ السياسه تريد توجيه الكل والتغلغل فى الكل، وما لم تأخذ من الكل لا تتمكن من إنجاح مهمتها بسلام.

وهذا ما ذكروه فى علم الاجتماع أيضاً، من أنه يأخذ من الكل، لكن علم الاجتماع يأخذ من مختلف السطوح حتى السطح السياسى، أما علم السياسه فيأخذ من مختلف الأعماق حتى من عمق علم الاجتماع، فإن السياسى إذا لم يطلع على أعماق الأفكار والحركات والتيارات وما أشبه لم يتمكن من التسيير بها إلى حيث مراده، لأن لكل ظاهره أعماقاً تتحول الظاهره حسب تحول تلك الأعماق، وتقف حسب توقف تلك الأعماق، والاستقطاب فى السياسه والسياسى لا يمكن بدون الدخول فى الأعماق.

الثانى: إن النتائج فى السياسه لا تترتب على المقدمات الواضحه كسائر العلوم، بل تترتب على المقدمات الخفيه، وأحياناً المتناقضه، إن

بريطانيا فى الحرب العالميه الثانيه ارادت النفوذ إلى أعماق ألمانيا، لكن مباحث ألمانيا كانت بحيث لا يمكن النفوذ فيها، فهيات بريطانيا رجلاً- من العرب التزيهين ظاهراً فسربته إلى ألمانيا تحت مظلله معاداته لبريطانيا، وتقدم الرجل حتى إلى الاستخبارات الألمانية، وكان يذيع فى إذاعتهم بلهجه حماسيه ضد بريطانيا وضد سائر الحلفاء لنفع المحور، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها تبين أنه كان جاسوس بريطانيا بهذا اللباس.

وفى العراق كان بعض عملاء الغرب يراد إيصاله إلى مجلس نيابه، وحيث أريد أن يجعل له وجهه شعبيه حتى يتمكن من تمرير العماله على الأمه بسهولة، كون حزباً وبعد ذلك أخذ هو وحزبه يخالفون الحكومه ويتهجمون عليها، فالتف الناس حولهم، وبعد مده اشتد نقدهم للحكومه، وإذا بالحكومه أمرت أن يهاجم الشرطه مكتبه، وهكذا فعلت الشرطه وأحرقت قسماً من مقره وأخذت قسماً من أنصاره وأودعهم السجن، وهنا تمت المكيدته بالتفاف الناس حول أولئك شديداً، وانتخبوا منهم النائب المراد فى أول مجلس نيابى بعد هذه الحادثه، وصار إلى جانب المستعمرين بتبريرات تافهه لأهدافهم.

وفى قصه أخرى فى إيران كان حزب شيوعى يحارب الاتحاد السوفيتى باعتباره مستعمرأ كمستعمر الغرب، والتف الشباب المتحللون حوله، وكان بعض المغفلين يمدحون الحزب بالوطنيه، وفى قصه نفضيه قبل زهاء أربعين سنه، حيث اشتهر فى البلاد بلزوم تحرير النفط وإخراجه عن يد المستعمرين، قام هذا الحزب بدعوه الناس إلى لزوم الانقطاع عن الغرب والارتباط بالشرق باعتباره زعيم الكادحين، وظهرت هويته الواقعيه، وإن تهجمات الحزب على الشرق كان صورياً لأجل التجهيل والإغفال، وإنما كان ادعاؤه محاربه الشرق ستاراً لتجسس له حسابهم.

وفى قصه رأيتة أيضاً أنا

فى العراق أن شاباً شىوعياً متحمساً للشىوعىه وىدعى ارتباطه بالشرق بأشد أنحاء الإءعاء، فى ساعه الفصل كان ظهر أنه مر بوط بالغرب، وإنما اءعاؤه الشرقىه كان ستاراً لتجسسسه لصالح الغرب. بل أحياناً رأىنا أن نفس الاءءاء السوفىتى كان ىءءع بهذه المكىده الغربىه.

وفى قصه أخرى كان فى لبنان من المقرر انعقاد مؤءمر للهلال الخصىب بءوئىء سورىا والأردن وفلسطىن والعراق ولبنان، وانهقء المؤءمر واشءرك فىه بعض الشخصىاء العراقىه المرءبئه سراً بالاستعمار، وبعء إنهاء المؤءمر قام أولئك الشخصىاء بزىاره لسفاره برىءانىا، وبعء ذلك نقءء الصءف فى عملهم هءىن مما سبب شك الناس فى صءق المؤءمر، بل اشءهر عنء الناس أنهم إنما كانوا عقءوا المؤءمر لءافع برىءانى لا لءافع وءنى، لأنهم رءبوا بىن زىاره هؤلاء للسفاره البرىءانىه وكونهم أعضاء فى المؤءمر، وقء تعمء أولئك العملاء هذا العمل لهءه الغاىه.

إلى غير ذلك من القصص الكئىره، مما إذا لم ىكن الإنسان مءلعمأ على خفایا الأمور وءهات الارتباط وقع فى أءبوله السىاسه الشرقىه أو الغربىه من ءىء لا ىشعر.

((من سنن الكون))

((من سنن الكون))

إن الإنسان والءىوان والنباء بىن ءمسه أمور:

الأول: أءءه من الأجواء.

الءانى: إعطاءه للءمار المءرقبه.

الءالء: ما ىنبغى أن ءكون علفها من القوانىن المءقرره الكونىه.

الرابع: عملها الءاخلى الذى ىءول ما ءأءء إلى ما ءعطى.

والءامس: العلامه ءى ءءل على انءباق عملها لءلك القوانىن الكونىه، أو عءم عملها ءسب ءلك القوانىن، وإذا ظهرت علامه

الخلاف يلزم علاج الأمر حتى يصلح الإنتاج.

والمسلمون اليوم ظهرت علامته الداله على الانحراف، فاللازم أن يلاحظ أنه لماذا يأخذ المسلمون من المحيط العام الأشياء الضاره، أو لماذا أنهم يأخذون الصالح فيحولونه إلى الضار، كالنبات الذي يأخذ الأشياء الصالحه من النور والماء والتربه والهواء ويحولها إلى الفاكهه الفاسده، وذلك لمكان ديدان في جذوره تسبب هذا التحويل الفاسد.

وإذا لم يعالج الأمر يكون التردى فى التأخر يزداد يوماً بعد يوم، والحاصل كما أن الإنسان يأكل الشىء الضار فتنحرف صحته مما تحتاج إلى العلاج، وقد يأكل شيئاً نافعاً لكن مرضه الداخلى يوجب تحريف الأكل النافع فى داخله إلى ما يوجب الإنتاج المنحرف، فلا يسمع أذنه أو لا تبصر عينه أو ما أشبهه، كذلك ما تأخذه الأمه من المحيط من الأفكار والآراء والأنظمه وما أشبه قد يكون فاسداً مما يوجب انحطاط الأمه، وقد يكون صالحاً كمن يأخذ العلم من الكتاب والسنة، لكن انعقاد قلبه على الرذائل يوجب تحريف الصالح فى داخله، مما ينتج الشىء الموجب للتأخر.

مثلاً- يأخذ جهاد الكفار والمنافقين، لكن أغراضه الشخصيه تتدخل فى الأمر حتى يجعل جهاد المنافقين بالسيف، بينما لم يجاهدهم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالسيف مع توفرهم فى زمانه (صلى الله عليه وآله)، وكذلك لم يجاهد على (عليه الصلاه والسلام) المنافقين بالسيف إلا بعد حملهم السلاح ضده وخروجهم عليه، مما يدل على أن جهاد المنافقين يراد به الجهاد باللسان وما أشبهه.

أو يأخذ الشجاعه إلى حد التهور، بعد أخذه فضيله الشجاعه من كتب الأخلاق، وإنما يحول الأمر إلى هذه النتيجة السيئه لإنطوائه على الهوى والهوس (1) وحب الشهره،

ص: ٢٣٦

١- الهوس: طرف من الجنون.

وكذلك بالنسبة إلى الكرم، حيث يأخذه إلى حد الإسراف، لانطوائه على حد الأنانية والسفه، إلى غير ذلك.

وهذا بحث طويل نكتفي منه بهذا القدر.

ولاء إشكال في أن تخلف غالب المسلمين له أحد هذين العاملين، إما لأنهم يستقون من المواد الضاره، وإما لأنهم انحرفوا أخلاقياً ونفسياً حتى صاروا يحولون المواد المستقاه إلى نتائج ضاره، فاللازم على التيار الإسلامى والدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه وتعالى مراعاة هذا الجانب أكبر قدر من المراعاة، فـ { إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } (١).

((الأسس الأخلاقية))

((الأسس الأخلاقية))

الرابع والأربعون: الأسس التي بنى الإسلام عليها المجتمع، مما سبب للمسلمين ذلك التقدم الهائل، والتي رأينا بعض آثارها الباقية قبل نصف قرن، كانت أسساً أخلاقية بالمعنى الأعم للأخلاق.

فتصاعد المجتمع عليها، ولذا كان غالب المسلمين حسب ما رأيناهم في العراق، سواء كانوا من أهلها أو يأتون إليها من الخارج للدراسة أو الزياره أو غير ذلك بخير وسلام ولو بقدر، فمثلاً كانت الأسس: التواضع، والصدق، والإخلاص، والأمانه، والإتقان، والتعاون، والقناعه بقدر الإمكانيات، والرضا بما قسم الله سبحانه وتعالى، إلى غيرها مما ذكرنا جمله منها في (الآداب والسنن) من (الفقه).

ومن المعلوم أن المجتمع المبني على هذه الأسس يكون مجتمعاً فاضلاً، والناس يعيشون فيه تحت ضلال الراحه والرفاه والمحبه والوئام، فقد كان كثير من التعامل بالنسيئه، وكان يعتمد بعضهم على بعض ويثقون بالآخرين، وأصاله الصحه هى الأصل، ولم يكن هناك حرص ظاهر، ولا كبرياء وأنانيه بمعنى الكلمه، وإنما كان ما يوجد منهما خلاف الأصل، ولم يكن يتمنى

ص: ٢٣٧

بعضهم ما فضل الله به غيره عليه، والعفاف والكفاف كان شعار الأغلب إلا ما ندر، والخوف من الله ومن اليوم الآخر الموجود في الناس كان يقف سداً دون التعدي، ورجاء ثواب الله سبحانه وتعالى كان يوجب التعاون على البر والتقوى والقرض، إلى غير ذلك.

أما اليوم، فقد بنى المجتمع على الأسس الغربية المادية، كالحرص والشطارة، وحب الظهور، والأنانية والفردية، والتقدم على حساب الآخرين، والسرعة على حساب الإتيان، وتطلب التمتع بأكبر قدر ممكن من اللذائذ، وعدم الاهتمام بمشاكل الآخرين، إلى غير ذلك، وكل ذلك سبب تضعف البنيان التحتي للمجتمع، مما ظهرت آثاره السيئه على البناء الفوقى.

فعلى التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه وتعالى، أن يهتم لإعاده تلك الأسس الصالحه لتقوم مقام الأسس الغازيه.

((ضبط النفس))

((ضبط النفس))

الخامس والأربعون: من الضروري على الحركات أن يربوا أنفسهم على ضبط النفس بمختلف أنواع الضبط فى كافه الأبعاد، فإن من لا يقدر أن يضبط نفسه فهو على عدم القدره على ضبط الغير أقرب، هذا من ناحيه.

ومن ناحيه ثانيه إن لم تقدر الحركه من ضبط النفس أمام المكاره والمشتبهات، فكيف تتمكن من ذلك إذا وصلت إلى الحكم، مع وضوح أن الحكم بحاجة إلى أكبر قدر من المداراه والرفق والعفو والإغماض والصفح وما إلى ذلك، مما كلها بحاجة إلى أكبر قدر من ضبط النفس.

ومن أسباب سقوط كل الحكومات العسكريه، الانقلابيه أو الشعبيه التى تنتهى إلى الدكتاتوريه والفشل فالسقوط، عدم تقديرها هذه الميزه حق القدر، مثلاً نرى الهند التى تمكنت من ضبط النفس عند

التحرك بقيت إلى اليوم قلعه صامده على مبادئها، وليس القصد التنزيه الكامل لها بل القصد فى الإطار الذى انتخبه المؤتمر، بينما الصين التى لم تقدر على ضبط النفس عند الحركة أتت بالفضائح عند الحكم، حتى أن بعض المراقبين أتهم ماو وجماعته بقتل عشرات الملايين فى ثوراتها الثقافيه وغيرها، ولم يمض زمان إلاّ وسقطت الإيديولوجيه فرجعت إلى الرأسماليه المنحرفه. والأمثله على ذلك متعدده نكتفى منها بالمثاليين الذين ذكرناهما فقط.

ومن أهم صغريات ضبط النفس: عدم التهجم لا- على النفس، ولا- على سائر الأحزاب الإسلاميه، ولا- على سائر الناس، حتى الأحزاب غير الإسلاميه، ومن المعلوم أن التهمه شىء والنقد العلمى كما يبحث فى الفقه والأدب والأصول وما أشبه شىء آخر، فإن الثانى يوجب الكشف على النواقص ويقدم الباحثين إلى الأمام، بينما الأول لا يزيد الأمر إلاّ إضعافاً.

فالتهجم على النفس يوجب انفضاض الناس عن الحزب والجماعه الذين يريدون تقديم الإسلام إلى الأمام، كما أن التهجم على سائر الأحزاب الإسلاميه يوجب بالإضافه إلى عدائهم _ وذلك ما لا داعى له _ أن ينفض الناس عن الجماعه المتهجمه أيضاً، لأنه من أوليات الناس أن حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد، فالناس يقولون: إن الحزب المتهجم كالحزب المتهجم عليه، فإذا كان الثانى سيئاً يكون الأول كذلك، وكذلك فى كل جماعتين متهجمتين بعضهما على بعض.

كما أن الناس إذا رأوا التهجم عليهم من الحزب أو من الجماعه لا يستعدون للالتفاف حولهم، وهم بدورهم أيضاً يتهجمون على أولئك الجماعه المتهجمه، وذلك يضاعف فى ضئاله الحزب.

وأما سائر الأحزاب غير الإسلاميه، فلا شك في أن منهم المخلصين الذين وقعوا في الخطأ، كما قال على (عليه الصلاه والسلام) بالنسبه إلى الخوارج: «إنهم طلبوا الحق فأخطؤوه»^(١)، ومنهم المربوطين بالجهات الغربيه والشرقيه وما أشبهه، والأول لا يزيدته التهجم إلا استمراراً في خطئه، والثاني لا يزيدته التهجم إلا مكرراً وكيداً، وما الداعي إلى أي من الأمرين.

ولذا نرى النبي (صلى الله عليه وآله) يقول كما في القرآن الحكيم: ((إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))^(٢)، إلى غير ذلك من الأخلاقيات الوارده عن الأنبياء والأئمه (صلوات الله عليهم أجمعين) في قصص مفصله المذكوره في التواريخ.

ص: ٢٤٠

١- .

٢- سوره سبأ: ٢٤.

((إزالة الجهل والفقر والظلم))

(مسأله): على التيار الإسلامى قبل الوصول إلى الدوله الإسلاميه، وعلى الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه، أن يهتم بالغ الأهميه فى إزالة الجهل والفقر والمرض والظلم والفوضى.

والظاهر أن كل الأخريات وليده الأول، فإن الجاهل مفتقر وإلا فإذا علم سبل تحصيل المعيشه والرفاه يكتسب ويحصل على رفاهه على الأغلب، والجاهل يمرض وإلا فلو علم طرق الوقايه والعلاج لم يمرض، ولم يبق فى المرض إذا مرض، والجاهل يظلم وإلا فلو علم العواقب السيئه للظلم لا- يظلم، لا- ظلماً على نفسه ولا- على غيره مما يسمى بالجور إذا ذكرنا معاً، ولذا ورد فى الحديث: «يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد أن تُملاً ظلماً وجوراً» (١)، وفى الآيه الكريمه: (ظالمى أنفُسِهِمْ) (٢).

كما أن (العدل) يستعمل فى غير الأموال، و(القسط) فى الأموال إذا ذكرنا معاً.

والجاهل يسبب الفوضى، وإلا فإذا علم رفع الهرج والمرج رفعه، وقبل ذلك لا يقع فيه اختياراً.

ولا فرق فى ذلك بين التسيب ابتداءً كالجاهل يأكل ما يمرضه، ويفعل ما يفقره إلى أخيره، أو البقاء فى المشاكل استدامه، فإن المريض الجاهل بالعلاج لا يعالج نفسه فيبقى فى المرض وهكذا، وحتى الأخلاق السيئه وهى من شعب الظلم على النفس وعلى الغير من ولائد الجهل، ولذا ورد فى الأحاديث: إنها من جنود الجهل فى قبال جنود العقل.

وقد ذكر المؤرخون قصصاً مؤيده لما ذكرناه، نلمع إلى بعضها ليظهر الأمر جلياً:

فقد هجم المغول على بلاد الإسلام أفضع هجمه معروفه فى التاريخ، وكان الخليفه المستعصم مشغولاً بلهوه وقصفه غير مبال بما يجرى حوله، وفى هذه الأثناء صعد أحد ولاء العراق يوم الجمعة المنبر وخاطب الحشد الهائل الحاضرين فى المسجد

ص: ٢٤١

قائلاً: انظروا أيها المسلمون إلى هذين الكتابين واحكموا بعد ذلك ما شئتم، ثم أخرج من جيبه كتاباً قرأه، وكان هلاكاً قاتلاً
الحملة الكافرة هو الذى بعث بالكتاب، وفيه أنه يخاطب الوالى: ابعث لى أعداداً غفيرة من المنجنيق لتساعدنى فى فتح القلاع
والحصون والأسوار والمدن، ثم أخرج الوالى وهو على المنبر من جيبه كتاباً ثانياً قرأه، وكان من الخليفة المستعصم مخاطباً
الوالى: أنا بحاجة إلى عدد من الراقصات والمغنيات فهى لى أجملهن وابعثهن لى إلى بغداد لمجالس الأناجى والطرب، ولم يكن
من الحاضرين إلا الاسترجاع والحوقله، وهكذا كان نوم الخليفه ويقظه المغول سبباً ضياع بلاد الإسلام.

وقد ذكرنا فى بعض الكتب المرتبطه بهذا الشأن أن قصه ابن العلقمى ونصير الدين الطوسى (رحمهما الله) لىس إلا أسطوره من
أساطير الجاعلين من المتعصبين، وإلا فإن كان الأمر من ابن العلقمى كان حفظ الشيعه فى بغداد، ولم يهاجم هلاكاً محل الشيعه،
كما هاجم محل السنه، وقتل من الشيعه والسنه على حد سواء مقتله عظيمه، أما نصير الدين الطوسى فإنه رافق الغازين للحدّ من
نشاطهم ضد الدين وأهله والعلماء والأوقاف والكتب، ولذا طلب من المغول صنع الزيغ المحتاج إلى كل تلك الثلاثه، ومنحها
هلاكاً له، فجمع نصير الدين الطوسى علماء السنه كما جمع علماء الشيعه، وكذلك احتفظ بكتب الشيعه كما احتفظ بكتب السنه
بالقدر الممكن، وهكذا حفظ أوقافهما بحجه أن الزيغ يحتاج إلى المال والرجال والكتب، وهكذا كان (رحمه الله) نجماً وهاجماً
فى الظلام الدامس.

فنفس التعصب الذى قال: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يعذب الناس، وعلى (عليه الصلاه والسلام) والعياذ بالله كان
يشرب الخمر، والحسن (عليه السلام) تزوج بالمئات، والحسين (عليه السلام) خرج عن حده فقتل بسيف

جده، والسجاد (عليه السلام) كان يلعب بالشطرنج، كما يجده الإنسان في كتب المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين والشيعة والتشيع هو الذي قال: بأن أبا ذر كان شيعياً، ونصير الدين وابن العلقمي كانا عضدى هلاكو، إلى غير ذلك.

وفى النزاع بين الأئمة والمؤمن يقول أحدهم: دخلت على الأئمة أيام حصر بغداد والناس فى أشد الحاله من الفقر والجوع والمرض والرعب، فرأيت الأئمة واضعاً رأسه على ركبته من الحزن، فقلت له: يا أمير بم هذا الحزن المشين، إن فى اصطبلاتك مئات الأفراس، وفى خزائنك الأموال الكثيره، وعندك رجال شجعان، ففرق المال والمراكب عليهم، وحرصهم على قتال جيش المأمون المحاصر ببغداد، حتى يفرج الله على الناس وتتخلص أنت من الكرب الحزن، قال الرجل: فرجع الأئمة رأسه وقال: هل تزعم أن حزنى لحال الناس وحصر بغداد، قلت: فلم حزنك، قال: إنه كانت لى سمكه مقرطه قرطت أذنها بجواهر، وكانت فى الحوض المتصل بدجله بسبب ساقيه، فهربت إلى دجله، وكلما أرسلت الغواصين لتحصيلها لم يحصلوا عليها، فإنى من ذلك لحزين.

وهكذا الجهل أودى بالأئمة وبملكه، وهكذا من قبل أودى الجهل بأبيه بما فعله من نصب على بن عيسى بن ماهان على خراسان، وما فعله من الظلم فى قصه مشهوره، مما أنجر إلى سفره إلى هناك لإخماد الثوره ومات هناك والثوره مشتعله، مما سبب ألوف القتلى، إلى غير ذلك من ويلات الحرب.

وكما أودى بأخيه من بعد حيث هلك بسبب السمكه التى أمر الغواص بإخراجها من الماء فنفضت نفسها ورشحت الماء المسموم على

جسم المأمون فمات هناك وقبر.

ومن المشهور بانقضاء ملك بنى أميه المثل القائل: ذهبت الدوله ببوله، وكانت ذلك أخير المسامير فى تابوتهم، وقد نسب إلى على (عليه الصلاه والسلام) قوله:

فُزْ بعلم ولا تبغ به بدلاً

الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقد رأينا وسمعنا عن كافه بلاد الإسلام كيف تقف السلطات أمام انتشار العلم بإيحاء من المستعمرين ليقبوا الناس فى الجهل والتخلف.

ومن قصص التاريخ: إن طبيباً جاء إلى قريه فرأى كل أهلها مسلولين بأجمعهم، ولما قال لهم ذلك ضحكوا منه لأنهم ما كانوا يعرفون الصحه، فجاء الطبيب إلى أحدهم وطلب منه الضيافه، فأضافه وفى الليل نام الطبيب ملء عينيه وبقي صاحب البيت طول الليل لا يبارجه السعال مما يقطع نومه فى نوب متفرقه، وفى الصباح قال له الطبيب: هل رأيت كيف نمت كل الليل ولم أسعل وأنت كنت فى عذاب، قال المضيف: نعم، قال الطبيب: كان هذا من جهه صحتى ومرضك، فقبل المضيف شرب الدواء الذى شفاه بعد ذلك، ثم بشر أهل قريته بالشرب من دواء الطبيب فاستشفوا جميعاً.

وهكذا يكون الجهل من أهم أسباب التخلف فى مختلف أبعاد الحياه، فعلى التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه الاهتمام بالعلم منظوراً ومسموعاً ومقروءاً وملموساً كما فى مكفوفى البصر.

وقد رأينا نحن فى العراق كيف أن الحكومات التى سمت نفسها بالثوريه منذ ثلاثين سنه كانت تمنع العلم بمختلف الوسائل، وذات مره كتبت أنا كتاباً حول نقد الوجوديه، لكن الرقابه منعت عن نشره، ولا حجه لها إلا أنها توجب الوقوف دون حيويه

الشباب والشابات وانطلاقهم، حيث إن الشباب المربوطين بالدول الاستعماريه كانوا يعقدون المجالس للتبادل الجنسي شذوذاً وغير شذوذ وشرب الخمر وما إلى ذلك من الانحرافات.

كما أن الأخ السيد صادق كتب كتاباً حول كيفية الإصلاح الزراعى فى الإسلام، وبعد أن طبعها أمرت الرقابته بحرقها.

واللطيفه فى الأمر أن إداره (منابع الثقافه الإسلاميه) أرادت طبع كتاب فى علم الفلك لأحد أساتذته الجامعه، فلما مثل الكتاب للرقيب منع الرقيب عن الطبع، وعلمه بأن المؤلف من أين كان يعلم بما فى السماوات حتى يحدد المسافات بين الشمس والقمر وما إلى ذلك من العلوم الفلكيه.

وذات مره طبع كتاباً صغيراً لا تعدو وريقات عن عقائد الشيعه باسم (هكذا الشيعه) ومع أنها كانت مجازه من قبل الرقابته، لكن وزير العدل بنفسه أقام دعوى ضد المؤلف والكتاب وصاحب المطبعه، فالكتاب منع وصاحب المطبعه سُجن، لكنهم لم يقدرُوا على المؤلف.

ثم إن المستعمرين يحرضون على تجهيل المسلمين، ولذا لا تجد حتى بلداً إسلامياً واحداً فيه حريه العلم، نعم الإلحاد والعلمانيه ونحوهما حر من جميع النواحي.

وقبل ما يقارب ثلاثين سنه قلت فى قصيده:

فى بلادى فى بلادى .. تخنق الدين الرقابته

وحيثما يمرح الإلحاد ولا يخشى ارتقابته

والأمر باق كذلك إلى الحال، فتاره باسم الشيعيه، وأخرى باسم القوميه، وثالثه باسم البعثيه، ورابعه باسم أن الورق يوجب خروج العمله الصعبه من البلاد، ولا حق للناس فى استيراد الورق، وخامسه باسم الاشتراكيه، وهكذا وهكذا يمنع العلم إلا ما كان فى خط الدوله التى خطها شرقى أو

غربي أو مزيج منهما، مضافاً عليها جهل الحكام واستبدادهم.

فمن أكد الواجبات على التيار الإسلامي أولاً، والدوله الإسلاميه المرتقبه ثانياً، أن يقوموا بحمله واسعه لانتشار العلم المعرفه، ابتداءً من محو الأميه التي هي الطابع العام لكل الدول الإسلاميه، وانتهاءً إلى تقويه الجامعات والحوزات العلميه.

ثم للإنتاج المبني على العلم، سواء في حقل الصناعه أو الزراعه أو التجاره أو العماره أو الإداره أو الدين أو غيرها، وإنما قدمنا الأمور المتقدمه على الدين، لأن «من لا معاش له لا معاد له»^(١) كما في الحديث، وقبل ذلك قال القرآن الحكيم: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا)^(٢).

وقال سبحانه في آيه أخرى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)^(٣).

ثم هل يلزم دمج الحوزه بالجامعه وبالعكس، أو نجعل كلاً منفرداً كما هو الحال.

الجواب: لا، بل اللازم أن يبقى كلاهما مع إدخال جوانب من كل منهما في الآخر، وذلك لأن اللازم أن تبقى في البلاد حوزات علميه لها حرياتهما من جميع الجهات، من ناحية الكتب والدراسه والمدرسه والأستاذ والتلميذ وغيرها، كما أن اللازم أن تبقى الجامعات على وضعها الحالي لها أنظمتها المقيده في كل ذلك، كألوان الحياه فلا يصح أن يجبر الناس على نمط خاص من المأكل والمشرب والمسكن والمركب والمسير والمصير وغيرها، كذلك هم مختلفون في انتخاب أسلوب الدراسه، فلماذا يقيدون بنمط خاص خلاف إرادتهم، نعم يلزم تطعيم الحوزات العلميه بما تحتاج إليها من علوم العصر، كما يلزم تطعيم

ص: ٢٤٤

١-.

٢- سورة البقره: ٢٠١ _ ٢٠٢.

٣- سورة قريش: ٤ _ ٥.

الجامعات بما تحتاج إليها من علوم الإسلام.

إنه من غير الصحيح أن يقال للطبيب أو المهندس: لا-بد لك أن تدرس الفقه الإجهادي، كما أن من غير الصحيح أن يقال للفقيه والمبلغ: يلزم عليك أن تدرس الطب والهندسه.

((توفير الإمكانيات واستقلاليه الحوزات العلميه))

((توفير الإمكانيات واستقلاليه الحوزات العلميه))

نعم يبقى شيء، وهو أن الحوزات بحاجه إلى تنظيم الاقتصاديات حتى تستريح، ويتهيأ الطالب للدراسه فارغ البال، وذلك ما لا يمكن إلا- تحت شوري المرجعيه، إذ الفقيه الواحد مهما بلغ من القدره لا يتمكن من ذلك، ثم انهدام كل مؤسسات المرجع بموته وشروع المرجع الجديد من الصفر أوجب اضطراب الحوزات العلميه اقتصادياً، ولا- يمكن تلافي الأمرين إلا- بشوري المرجعيه على الأسلوب الذي تقدم، وذكرناه في عديد من الكتب.

أما أن تدخل الحوزه تحت غطاء الدوله، ولو كانت الدوله إسلاميه مائه في مائه غير ذات المعصوم (عليه السلام)، فذلك غير ممكن عملاً، وغير صحيح منطقاً، إذ الحوزه حره والدوله ذات نظام، والحرية والقيد ضدان لا يجتمعان.

لا يقال: هذا جار أيضاً في شوري المرجعيه للنظم.

لأنه يقال: فرق بين الشوري النابع من نفس الحوزه، وبين الدوله المشتركه بين الحوزه والجامعه، لفرض أن الدوله الإسلاميه الصحيحه تكون وليدتها الحوزه للإسلام، والجامعه للعلوم الزمنيه، هذا من جهه عدم كونه منطقياً، أما عدم كونه عملياً فلأن الإسلام حيث يربي أهل العلم على الحرية يقع التصادم بين الحوزه الحره والدوله ذات النظم، وبذلك يقع الفصل بينهما، وأخيراً طلاب العلوم الدينيه الطالبون للحرية يشكلون لأنفسهم حوزه حره خارجه عن نطاق الدوله، وترجع مأساه التصادم بينهما كما هي الآن، حيث لا دوله إسلاميه عالميه.

ثم هناك أمر آخر بالنسبة إلى الحوزات العلميه، وهى اختلاف سطوح الحوزات الكبار، كما فى النجف الأشرف وكربلاء المقدسه وخراسان وقم وما أشبهه، والحوزات الصغيره كما فى الهند والباكستان وأفغان ولبنان وتبريز وأصفهان وشيراز وسامراء والكاظميه وما أشبهه، من جهه المكان والدراسه والمدرس والراتب وما أشبهه، وذلك يوجب:

أولاً: انصباب الحوزات الصغار فى الحوزات الكبار مما له مضره مزدوجه، حيث يقع الفراغ فى الحوزات الصغار، والتضخم فى الحوزات الكبار.

وثانياً: يوجب محروميه من لا- يتمكن من المجيء إلى الحوزات الكبار عن الارتفاع، ولا شك أن فيهم جمله من الكفاءات التى لو سمح لها المجال لبرز كنبغه فى العلم والفضيله، وعلماً فى التقوى والورع.

وهذا أيضاً وليد تخلف الدوله عن الإسلام وعن الحياه من ناحيه، وعدم شورى الفقهاء المراجع من ناحيه ثانيه، حاله حال تخلف القرية فى بلاد الإسلام، أو فى الشرق الأوسط، أو فى العالم الثالث عن المدينه فى العلم والطب والأمن والقضاء والرزق والعمل وغيرها، على ما ذكرنا تفصيله من بعض الكتب المعنيه بهذا الشأن، فإذا تحققت شورى المرجعيه والدوله الإسلاميه عولج لتساوى سطوح الحوزات الصغار والكبار من كل الجهات حسب الممكن، كما عولجت هذه المشكله بسبب الحكومات الانتخابيه فى بعض البلاد الغربيه ونحوها، حيث إنها عالجت تخلف القرية عن المدينه حسب القدر الممكن، فيخفف من الفاصل الكبير بين الحوزه الصغيره والحوزه الكبيره.

اشاره

((مميزات الحوزه على الجامعه))

ثم إن من امتيازات الحوزه فى الحال الحاضر على الجامعه أمور، نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

((حرية الدرس وما يتعلق به))

((حرية الدرس وما يتعلق به))

الأول: الحرية فى انتخاب المدرس والأستاذ والدرس والتلميذ والوقت والمكان والزمان وما أشبه ذلك، للطالب مثلاً أن يدرس فى كل مرحله أحد الكتب المعنيه بذلك الشأن، مثلاً- يقرأ فى مرحله الصرف والنحو (شرح النظام) أو (شرح الرضى) أو نحوهما، و(السيوطى) أو (ابن عقيل) أو (ابن الناظم) أو ما أشبه ذلك، كما أنه يدرس بالنسبه إلى المنطق (الحاشيه) للمولى عبد الله أو (الجوهر النضيد) أو (الشمسيه) وهكذا، إلى غير ذلك.

نعم فى بعض المراحل يقرأ أحسن الكتب المتفوقه فى ذلك العلم، مثل (الرسائل) و(الكفايه) و(المكاسب) فى المراحل الأخيره من دراسته السطوح.

((التقوى والأخلاق))

((التقوى والأخلاق))

الثانى: بناء الحوزات على التقوى والأخلاق، بينما بنيت الجامعات على الدراسة فحسب، ومن المعلوم التفاوت الكثير بين الأمرين فى النتيجة، ولذا إذا وصل الجامعى إلى الحكم نراه كم يتعدى على الأموال والأنفس والأعراض وكيف يجد الاستعمار سبيلاً إليه، هذا على الأغلب لا على سبيل القاعده الكليه كما هو واضح.

وهذا ما يشاهد فى كافه العالم المتخلف، حيث لا تعدد فى الأحزاب الحره، ولا مؤسسات دستوريه حتى تقف دون أن يفعل الحاكم ما يشاء.

وحيث لم يصل بعد أية حوزه علميه دينيه بقياده الفقهاء المراجع إلى الحكم فالأمر بالنسبه إلى هذا الامتحان من باب السالبه بانتفاء الموضوع، وإذا وصل بعض رجال العلم الدينى فى العراق أو ما أشبه إلى شىء من مراتب الحكم، فلم يكن فى ذلك دليل على شىء، حيث لم يكن هو المدير

نعم الحوزات وصلت إلى المرجعيه وإلى شؤون الوكاله والإمامه للجماعه وما أشبهه، وكان لتقواهم ونزاههم وأخلاقهم الأثر الكبير في التفاف الناس حولهم بما لا يوجد مثله في الجامعات الواصله إلى مكانات اجتماعيه مرموقه.

وشذوذ بعض الأفراد في هذا الجانب أو ذاك الجانب استثناء، وليس الكلام فيه وإنما الكلام في الأصل.

كما أنه يجب أن لا يغيب عن البال أنا لا ندعى كفايه الاعتماد على الحوزات عند الوصول إلى الحكم في أخلاقهم وتقواهم السابقيه، فإن رجال الدين حيث لم يصلوا بعد لم يوضع الأمر على المحك، فإن الحكم يغير الإنسان إلا ما ندر ممن حفظه الله سبحانه في غير المعصوم، وليس الكلام فيه (عليه السلام) إذ يبقى هو على ما كان عليه لمكان العصمه ولحفظ الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَضِيئاً) (١)، وإنما في الإنسان الحوزوى الذى رُبى على الأخلاق والتقوى.

بل اللازم بالإضافة إلى التربيه على التقوى والأخلاق أن يكون هناك تنافس حر وتماسك بسبب تعدد الأحزاب الحره بين أجزاء الحكومه، ويلزم أن تكون هناك المؤسسات الدستوريه التى عرفناها فى بعض الكتب السياسيه، حتى لا يتمكن الجماعه الحاكمه من الانحراف بسبب خوفها من الحزب الرقيب المنافس الذى يملك كل شىء، كما أن الحزب الحاكم يملك كل شىء، فهما ندان ينظر بعضهما إلى بعض، ومتنافسان يراقب أحدهما الآخر، وإذا تمكن الحزب الذى هو فى الظل من مراقبه الحزب الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإرشاده وفضحه لم ينحرف الحزب الحاكم.

ص: ٢٥٠

((العلاقة بين الأستاذ وتلميذه))

((العلاقة بين الأستاذ وتلميذه))

الثالث: وتبعاً للأمرين الأولين يكون بين الأستاذ وتلميذه في الحوزات علاقة خاصه وود مخصوص، يحفظ كل منهما الآخر إلى حين موته، بل وبعد موته، حيث لا يزال يذكر التلميذ أستاذه بكل تجله واحترام، وكذلك بالعكس إذا فرض فوت التلميذ، وهذا موجب للتماسك الشديد في الحوزات، بينما لا يشاهد مثل ذلك في الجامعة المبنية على مفاهيم آخر.

((العلم وليست الشهاده))

((العلم وليست الشهاده))

الرابع: بُنيت الجامعة على أن قصد التلميذ الشهاده لتحصيل لقمه العيش أو ما أشبهه، وليس كذلك الحوزات، فإنها بُنيت لأجل العلم بنفسه أولاً، وهداياه المجتمع ثانياً، وهذا من أسباب تفوق الحوزه على الجامعة في كل علم مشترك بينهما.

((استمراريه الدروس))

((استمراريه الدروس))

الخامس: استمراريه الدروس الحوزويه حتى بالنسبه إلى الحوزوى الواصل إلى أعلى الدرجات في العلم وفي السلم الاجتماعى، ولذا نجد أن المراجع الكبار في العلم والسن والمجتمع لا يزالون يستمرون في دراسته إلى آخر أيام حياتهم، أخذاً بقوله (صلى الله عليه وآله): «العلم من المهد إلى اللحد»^(١)، على أحد تفسيريه، أى بناءً على أنه قيل للمبالغه، وعلى التفسير الثانى إنه حقيقه، حيث إن الطفل فى المهد يشعر أيضاً كما ثبت فى العلم الحديث.

ويقال عن علامه الحلى (رحمه الله): إن والده كان يضع مهده فى مدرسه عند التدريس، وكان ذلك من أسباب تفوقه الكبير.

وكذلك الميت فى اللحد يشعر، ولذا يستحب تلقينه كما ثبت فى الشريعه.

وهناك تفسير محتمل ثالث لهذا الحديث: بأن يراد به الالتفاف حول المعصومين (عليهم الصلاه والسلام) أى يلزم طلب العلم ممن يعطيه من مهده إلى لحدّه، كما قال سبحانه عن

ص: ٢٥١

عيسى (عليه الصلاة والسلام): {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} (١)، وقد ورد في معجزاتهم (عليهم الصلاة والسلام) أنهم تكلموا حتى ما بعد الموت، وحتى في القبر.

((التعليم والتعلم الدائم))

((التعليم والتعلم الدائم))

السادس: إن كل طالب في الحوزه إذا خرج عن المرحلة الابتدائية الحوزويه يكون تلميذاً لمن فوقه، ومدرساً لمن دونه، مما يساعده في تقوية العلم من جانب، وفي تقوية الحوزه اجتماعاً من جانب آخر، وليس كذلك حال الجامعات.

((الإخلاص في التدريس))

((الإخلاص في التدريس))

السابع: إن الغالب، النادر خلافه جداً، عدم تقاضى المدرسين أجوراً على التدريس، وذلك مما يزيده إخلاصاً لله سبحانه وللعلم، وقد قال سبحانه بالنسبة إلى الأنبياء (عليهم السلام): ((اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ)) (٢)، فعدم تقاضى الأجر من أهم عوامل الإخلاص الذي يخدم العلم والفضيله.

((روايات في العلم والعلماء))

((روايات في العلم والعلماء))

وفي أخير هذا المبحث نشير إلى بعض ما ورد من الروايات من التحريض على العلم ووجوبه، وفضل العلم والعالم والمتعلم:

فعن المفضل، عن الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه، وأكثر الناس قيمه أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمه أقلهم علماً» (٣).

وعن الصادق، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنه ليستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض

ص: ٢٥٢

١- سورة آل عمران: ٤٦.

٢- سورة يس: ٢١.

٣- .

حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليله البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه بحظ وافر» (١).

وعن علي (عليه الصلاة والسلام) قال: «لا كثر أنفع من العلم» (٢).

وعنه (عليه الصلاة والسلام) إنه قال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» (٣).

وعن ابن نباته، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام): «تعلموا العلم فإن تعلمه حسنه، ومدارسته تسيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وهو أنيس في الوحشه، وصاحب في الوحده، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقنيس آثارهم، ترغب الملائكة في خلتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأن العلم حياه القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوه الأبدان من الضعف، وينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالسه الأخيار في الدنيا والآخرة، بالعلم يُطاع الله ويُعبد، وبالعلم يُعرف الله ويُوحّد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل، والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء، ويحرمه الأشقياء» (٤).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «فضل العلم أحب إلى الله من فضل العباده، وأفضل دينكم الورع» (٥).

وفى روايه، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «سئل أمير

ص: ٢٥٣

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .

المؤمنين (عليه السلام) عن أعلم الناس، قال: من جمع علم الناس إلى علمه» (١).

وفى روايه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «أفضل العباده الفقهه، وأفضل الدين الورع» (٢).

وعن السكونى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن على (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا خير فى العيش إلا لرجلين، عالم مطاع، أو مستمع واع» (٣).

وفى روايه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أربع يلزمن كل ذى حجي وعقل من أمتى، قيل: يا رسول الله ما هن، قال: استماع العلم، وحفظه، ونشره عند أهله، والعمل به» (٤).

وعن الإمام السجاد (عليه الصلاه والسلام) إنه كان إذا جاءه طالب علم قال: «مرحباً بوصيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم يقول: «إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا- يابس من الأرض إلا- سبحت له إلى الأرضين السابعة» (٥).

وعن الرضا، عن آبائه، عن على (عليهم السلام)، إنه قال: «العلم ضاله المؤمن» (٦).

وعن الصادق (عليه الصلاه والسلام)، قال: «كان فيما وعظ لقمان ابنه أنه قال له: يا بنى اجعل فى أيامك ولياليك وساعاتك نصيباً لك فى طلب العلم، فإنك لم تجد له تضييعاً مثل تركه» (٧).

وعن محمد بن عبد الله بن ياسين، قال: سمعت العبد الصالح على بن محمد بن على الرضا (عليهم السلام) بسر من رأى يذكر عن

ص: ٢٥٤

١- بحار الأنوار: ج ١ ص ١٦٧ ب ١ ح ١٠ عن الخصال.

٢-

٣-

٤-

٥-

٦-

٧-

آبائهم (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «العلم وراثته كريمه، والآداب حلال حسان، والفكره مرآه صافيه، والاعتذار منذر ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته لغيرك» (١).

وعن أبي قلابه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من خرج من بيته يطلب علماً شيعه سبعون ألف ملك يستغفرون له» (٢).

وعن أبي قتاده، عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «لست أحب أن أرى الشاب منكم إلاّ غادياً في حالين، إما عالماً أو متعلماً، فإن لم يفعل فرط، فإن فرط ضيع، فإن ضيع أثم، وإن أثم سكن النار، والذي بعث محمداً بالحق» (٣).

وعن أبي هارون العبدى، قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدرى، قال: مرحباً بوصيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «سيأتيكم قوم من أقطار الأرض يتفقهون، فإذا رأيتهم فاستوصوا بهم خيراً»، قال: ويقول: أنتم وصيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٤).

وفى روايه عن الأئمه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام)، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «طلب العلم فريضه على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، واقتبسوه من أهله، فإن تعليمه الله حسنه، وطلبه عباده، والمذاكره به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربه إلى الله تعالى، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل الجنه،

ص: ٢٥٥

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .

والمونس للموحشه، والصاحب فى الغربه والوحده، والمحدّث فى الخلوه، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قاده، تقتبس آثارهم، ويهتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكه فى خلتهم، وبأجنتها تمسحهم، وفى صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، إن العلم حياه القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمه، وقوه الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ومجالس الأبرار والدرجات العلى فى الدنيا والآخره، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يُطاع الرب ويُعبد، وبه توصل الأرحام، وبه يُعرف الحلال والحرام، العلم أمام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله منه حظه»^(١).

وعن أبى عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاه العلم»^(٢).

وفى روايه أخرى عن الصادق (عليه السلام)، قال: «طلب العلم فريضة فى كل حال»^(٣).

وفى روايه ثالثه عنه (عليه الصلاة والسلام)، قال: «طلب العلم فريضة من فرائض الله سبحانه»^(٤).

وفى روايه: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمه»^(٥).

وعن النبى (صلى الله عليه وآله) قال: «أوحى الله إليه أنه من سلك مسلكاً يطلب فيه العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة»^(٦).

ص: ٢٥٦

- ١- .
- ٢- .
- ٣- .
- ٤- .
- ٥- .
- ٦- .

وعن علي (عليه الصلاة والسلام) قال: «طالب العلم يشيعه سبعون ألف ملك من مفرق السماء، يقولون صلى الله على محمد وآل محمد»^(١).

وعن الباقر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «العالم والمتعلم شريكان في الأجر، للعالم أجران وللمتعلم أجر، ولا خير في سوى ذلك»^(٢).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الذي تعلم العلم منكم له مثل أجر الذي يعلمه، وله الفضل عليه، تعلموا العلم من حملة العلم، وعلموه إخوانكم كما علمكم العلماء»^(٣).

وعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من عبد يغدو في طلب العلم ويروح إلا خاض الرحمة خوفاً»^(٤).

وعن الصادق (عليه السلام) قال: «العالم والمتعلم في الأجر سواء»^(٥).

أقول: المراد في أصل الأجر، وإلا الأجر للعالم أكثر كما تقدم في الحديث، أو يحتملان على اختلاف المراتب.

وفي روايه أخرى عن الباقر (عليه السلام) قال: «ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلا خاض الرحمة، وهتفت به الملائكة: مرحباً بزائر الله، وسلك من الجنة مثل ذلك المسلك»^(٦).

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) قال: «أيها الناس لا خير في دين لا تفقه فيه، ولا خير في دنيا لا تدبر فيها، ولا خير في نسك لا ورع فيه»^(٧).

ص: ٢٥٧

.-١

.-٢

.-٣

.-٤

.-٥

.-٦

.-٧

وفى روايه أخرى عنه (عليه الصلاه والسلام) قال: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم بينكم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه، سيفى لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله، قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه، واعلموا أن كثره المال مفسده للدين، مقساه للقلوب، وأن كثره العلم والعمل به مصلحه للدين، وسبب إلى الجنه، والنفقات تنقص المال، والعلم يزكو على إنفاقه، وإنفاقه بثه إلى حفظته ورواته، واعلموا أن صحبه العالم واتباعه دين يبدان الله به، وطاعته مكسبه للحسنات، ممحاه للسيئات، وذخيرته للمؤمن، ورفعته في حياتهم، وجميل الأحدثه عنهم بعد موتهم، إن العلم ذو فضائل كثيره، فرأسه التواضع، وعينه البراءه من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النيه، وعقله معرفه الأسباب بالأمر، ويده الرحمه، وهمته السلامه، ورجله زياره العلماء، وحكمته الورع، ومستقره النجاه، وفائدته العافيه، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرضا، وقوسه المداراه، وجيشه محاوره العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادعه، ودليله الهدى، ورفيقه صحبه الأخيار» (١).

أقول: لا يخفى أن مثل هذا الحديث من باب الكنايه في الصفات المذكوره، كما أن كثره المال إذا كانت لمحض الدنيا فهى كما ذكره (عليه السلام)، وإلا فهى من الفضيله، وفى روايه: «نعم العون على الدين الغنى» (٢)، كما فصلنا ذلك في كتاب (الأداب والسنن) من (الفقه) وغيره.

وعن أمير المؤمنين (عليه الصلاه والسلام) قال: «قوام الدين

ص: ٢٥٨

١-.

٢-.

بأربعه، بعالم ناطق مستعمل له، وبغنى لا يبخل بفضله على أهل دين الله، وبفقير لا يبيع آخرته بدنياه، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم، فإذا اكتتم العالم علمه وبخل الغنى، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم، ورجعت الدنيا على أثرها القهقري، ولا تغرنكم كثره المساجد وأجساد قوم مختلفه»، قيل: يا أمير المؤمنين كيف العيش في ذلك الزمان، فقال: «خالطوهم بالبرانيه» يعنى بالظاهر «وخالفوهم بالباطن، للمرئ ما اكتسب، وهو مع من أحب، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله تعالى»(١).

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيره التي جمعها يحتاج إلى كتاب مستقل.

ص: ٢٥٩

((تغيير الدين وأحكامه))

(مسأله): من أهم ما يجب على الدولة الإسلامية المرتقبه بإذن الله سبحانه، والتيار الإسلامي قبل قيام الدولة، أن يتجنب بكل شدة من الوقوع في التفرعات غير الإسلامية بمختلف التبريرات، فإن ذلك لا- يكشف عن الجهل فقط، بل يكشف عن العجز عن الاستدلال، ورد الفروع على الأصول، وتطبيق الكليات الإسلامية على الجزئيات الخارجيه تطبيقاً صحيحاً.

بالإضافة إلى أنه انسياق نحو ما أراد الغرب والشرق من تنفيذ حضارتهم حتى على المسلمين، فإن من أهم هممهم أن تسود حضارتهم بما تكفل لهم انتشارهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وفكرياً وغيرها في كل العالم، ليسهل لهم الاستعمار كما نراه الآن، هذا بالإضافة إلى أن انتشارهم يساعد في بقائهم، فإن الإنسان يتقلص تدريجياً، فإذا انحصر الأمر إلى نفسه سقط.

ثم ليس من السهل تطبيق الكبريات الإسلامية على البدائل الصغويه، فإن ذلك بحاجه إلى اجتهاد عميق، واطلاع واسع على العصر في مختلف مناحي الحياه، إن كثيراً من الذين يحبون ويتظاهرون تطبيق الإسلام يهربون من هذا العناء إلى المناهج الجاهزه المستورده من الشرق أو الغرب، وإنما يغيرون الاسم فقط، ولذا يقولون: إنه يلزم تجديد الفقه، وإن الفقه القديم لا- يكفي لمتطلبات العصر.

وخلصه القول إن تجديد الفقه لو أريد به استخراج أحكام الصغريات المستحدثه كالبنك والتأمين و... من الكبريات الفقيهيه المسلمه، استناداً إلى الأدله الأربعة فهو ما أسميناه بالفقه العملي ولا إشكال فيه.

ولكن المراد به في كلمات هؤلاء ضم قوانين حديثه مأخوذه من مناهج الغرب أو الشرق إلى الفقه، وهذا هو ما يتفق عليه الغرب والشرق بسبب أياديهم الشيوعيين والبعثيين والقوميين والعلمانيين وأضرابهم، منتهى الأمر أن هؤلاء لهم جراه أن يقولوا: الإسلام لا- يصلح للعصر الحاضر فيجب نبذه جملته وتفصيلاً، أو في بعض بنوده كالبند الاقتصادي وما أشبه ذلك، وهؤلاء الذين يتظاهرون بالإسلام لا- جراه لهم في هذا القول، فيقولون ما هو من لوازمه من لزوم تجديد الفقه، وهو عبارته أخرى عن عدم صلاحية الإسلام.

ولننظر ما ذا يقولون عن الأحكام التي يريدون تجديدها العلمانيون صراحة والمدعون بالتواء.

يقولون: إن الجنة والنار مثالان للإرهاب حتى يستقيم الناس، ولا حقيقه لهما، والآن لا نحتاج إلى الإرهاب بهما، لأن البشر رشد واكتمل، فكما لا- يحتاج الشاب إلى التهويل والتهديد بالعصا وإنما يحتاجه الطفل، كذلك لا يحتاج البشر الرشيد إلى هذا الإرهاب بالجنة والنار.

ويقولون: إن الجن والملائكة مثالان، فالملك مثال للقوى الطبيعية الخيره، والجن مثال للقوى الطبيعية الشريره، والشيطان مثال للقذارات والمكروبات!.

والربا حلال لأنه حق العمل!.

والجمر ك حلال لأنه حفظ التوازن الاقتصادي!.

والغناء حلال لأنه ثبت علمياً فوائده!، وإنما حرمه الشارع في المجتمع البدائي لأنهم لم يصلوا إلى ما يحفظون أنفسهم عن الانزلاق، أما وقد كمل عقل البشر حيث لا إنزلاق فلا حرمه، والقمار حلال لأنه في المجتمع البدائي كان يستلزم البغضاء، كما قال سبحانه: ((إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعِدَاةَ وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)) (١)، أما الآن فلا أثر من هذا الشيء، ولهذا يكون حلالاً من باب انتفاء الحكم بانتفاء الموضوع.

والزنا بالرضا حلال!، لأنه سبحانه قال: ((لَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا)) (٢) فعدم الإكراه وإنما برضا الطرفين جائز حتى بالنسبه إلى أعراض الآخرين.

واللواط والسحق حلال!، لأنه يقع بالرضا بينهما والشارع إنما نهى عن الإكراه والإفساد، قال تعالى: ((وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)) (٣)، وقال: ((وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ)) (٤) فإذا لم يكن ذلك لم يكن محذور.

والحجاب عادة

ص: ٢٤١

١- سورة المائدة: ٩١.

٢- سورة النور: ٣٣.

٣- سورة الأعراف: ٥٦ و ٨٥.

عباسيه لم يرد بها كتاب ولا سنه!، وقوله تعالى: ((وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَدِّ بُلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ)) (١) إنما يرد به زوجات الرسول (صلى الله عليه وآله) فقط.

والخمر حلال لما تقدم!، ولأنه كان حراماً حيث لم يصل العلم إلى علاج مضاره، أما حيث وصل فلا حرمه فيها.

وكذلك سائر محرّمات اللحوم!، كالسمك بلا فلس، والميته، ولحم الخنزير، وغيرها.

والطهاره والنجاسه يرد بهما النظافه فحسب لا أكثر!، ولو حصلت النظافه بالإسبرتو أو بما أشبه كان كافياً.

وبتساوى الذكر والأنثى فى الإرث!، لأن الله سبحانه قال: ((يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)) (٢)، والوصيه إن شاء الإنسان أخذ بها أو لم يشأ لم يأخذ بها، كما فى وصيه إنسان بالنسبه إلى إنسان آخر، ولذا لم يقل الله يلزم عليكم، والحكم حكمان، حكم حكومى فللحكومه أن تعمل ما تراه صلاحاً، وحكم غير حكومى وهو مقيد بموازين الشرع.

والجمع بين الأختين، والأم والبنت، والأكثر من الأربع كان حراماً لأن ذلك كان يسبب النزاع فى الجاهليين البدائيين الذين التفوا حول الإسلام ذلك اليوم، أما فى الحال الحاضر حيث المدنيه والحضاره فلا تكون تلك المشكله، وعليه لا تكون تلك الحرمة!

وكذلك اتخاذ الأخلاء والخليلات!

كما أنه يلزم وحده الزوجه فى المجتمعات التى تتساوى عدد المرأه فيها عدد الرجال، وجواز الأربع كان حيث الحروب تفنى الرجال لا- مثل الحال الحاضر، وكما أن للحكومه أن تغير الأحكام حسب المصالح والمفاسد، لأن المصلحه والمفسده أهم، فكذلك لها أن تبيح زواج عشره أو عدم زواج إلا واحده!

ويجوز جعل الفرق الراقصه من الرجال والنساء بالغناء وآلات اللهو لما ذكر!، هكذا يقولون.

كما يقولون: يباح سفك الدماء، وسجن الناس، وتعذيبهم فى السجون، ومصادره أموالهم، لأن السلطه أهم

ص: ٢٤٢

١- سورة الأحزاب: ٥٣.

٢- سورة النساء: ١١.

شئ، فإذا فرض حرمة بعض هذه الأمور ذاتاً لا تحرم عرضاً بسبب الولايه المخوله للحكومه!.

وقد قال بعضهم: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعذب الناس!، وعلى (عليه السلام) كان يسفك الدماء ويسجن في الآبار! والحسن (عليه السلام) أو صم جبين الأمه بالعار بصلحه مع معاويه، وكان من أثر صلحه قتل الحسين (عليه السلام) وسبى أهله!، والحسين (عليه السلام) كمان يستمع الغناء كما فى يوم عاشوراء!، وعلى بن الحسين (عليه السلام) كان يلعب بالشطرنج!.

ولا نعلم إذا طال الزمن ماذا يكون نصيب سائر الأئمه (عليهم الصلاه والسلام) وسائر الأنبياء (عليهم السلام) من هذا القبيل من الكلمات.

وكذلك يحل التجسس لصالح الدوله على الأفراد، ولو الصالحين!.

ولا حريات للناس فى أى شئ إلا بقدر إعطاء الدوله لهم الحريه!، وقد قال أحدهم انتخبوا من لا يقول بمقتضى (الناس مسطون على أموالهم وأنفسهم).

والصلاه والصوم والحج إنما هى لتهديب النفس، قال تعالى: (إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (١)، وقال: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٢)، وقال: (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدْقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (٣)، فإذا كان الإنسان متقياً ومتطهراً نفساً فلا حاجه إلى كل ذلك!.

ثم الحج يلزم أن يحدد ويمنع الناس عن الحج حسب المقدور!، لأنه يسبب تعطيل الناس مده من الزمن، وذلك يضر الاقتصاد، بالإضافة إلى أنه إخراج للعمله الصعبه من البلد، فالأفضل أن يعطى مصارف الحج للفقراء والمشاريع الخيريّه.

كما أنه يجوز للدوله فتح المواخير!، لأن ذلك:

ص: ٢٤٣

١- سورة العنكبوت: ٤٥.

٢- سورة البقره: ١٨٣.

٣- سورة التوبه: ١٠٣.

أولاً: يجمع الفساد فى محل واحد، وذلك أفضل من انتشار الفساد.

وثانياً: تعطى المواخير، كالملاهى والمراقص والخمور وما أشبهه، للدوله الضرائب التى تساعد الدوله على تمشيته أمورها.

كما أنهم يقولون: لا- حاجه إلى الشهود فى القضايا، بل القرائن التى يحصلها الحاكم كاف، وحتى فى الشاهد لا حاجه إلى العدالة والإسلام، فيجوز أن يكون كافراً أو فاسقاً، ويصح أخذ الإعتراف من الناس بالتعذيب والضرب، ومصادره أموال الناس مباحه بقدر تسمح الدوله، وذلك تحفظاً على التوازن الاقتصادى، وبهذا الملاك يصح جعل الضرائب لإقامه أمور الدوله، أما الخمس والزكاه فلا- تكفى للمصادر المتطوره، ولو كانا يكفيان فى الزمان السابق لا- يكفيان فى الحال الحاضر، ولذا فهما ملغيان(١).

وكل امرئ وما أراد من الإعطاء أو المنع، والرشوه فى أعضاء الدوله جائزه لأنها فى قبال عملهم للناس!.

ويلزم تحديد النسل حتى يكون الآباء فى راحه من ناحيه، والنسل الجديد يكلف الدوله فوق طاقتها، بالإضافة إلى أن قول الرسول (صلى الله عليه وآله): «تناكحوا تناسلوا تكثروا»(٢) كان فى وقت قله المسلمين، لا فى مثل الحال الحاضر!.

والحدود والديات والقصاص كانت تناسب المجتمع البدائى، أما الحال فيلزم تبديلها كلها بالقوانين الوضعيه التى عاش فى ظلها الغرب والشرق، وبذلك وصلوا إلى القمر!.

كما أنهم فى جعل الحدود الجغرافيه، وتمزيق المسلمين، وانتهاج الحكوميه القوميه واقعاً وإخراج بعض الناس من البلاد، وقتل بعض الناس، وعدم إجازة خروج بعض الناس، وعدم إجازة دخول بعض

ص: ٢٦٤

١-.

٢-.

ينتهجون نهج اليهود الذين نعامهم الله في كتابه على بعض هذه الأعمال، قال سبحانه: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)(١).

وكذلك ذهب دين المسلمين وديانهم بهذه التأويلات، فلهم خزي في الحياه الدنيا كما نشاهده، أما يوم القيامة فلا شك أنهم يردون إلى أشد العذاب.

إلى غير ذلك من التأويلات والتحريفات التي تشبه تحريف أهل الكتاب لكتبهم السابقة، مما لا يصدق في المستقبل إذا رجعت إلى المسلمين دولتهم وشوكتهم بإذن الله تعالى، والله الموفق المستعان.

إن التيار الذي يدعى الإسلام، والدوله التي تدعى الإسلام اللذين يعملان هذه الأعمال، ويؤولون هذه التأويلات، يجب أن يعلمنا بانفضاض الناس من حولهما، فليس المسلمون من الغباء بحيث تنطوى عليهم هذه الخدع الصببانيه، ولذا ينفض المسلمون من أطرافهم أولاً، ثم يأخذون في الترنح إلى السقوط بسبب معاول المسلمين، وهذا ما شاهدناه بالفعل في بعض أمثال هذه الحركات.

إنه لا إشكال في وجود بدائل عصريه تطبيقاً للكليات الإسلاميه على الصغريات الخارجيه، لكن تشخيص تلك البدائل إنما هي بيد شورى المراجع الذين هم السلطه العليا في الدوله الإسلاميه، على ما ذكرناه تفصيله في بعض الكتب الفقهيه وغيرها، أما ما سوى ذلك فليس له أى وزن إسلامي، مهما جعلت الدعايه له،

ومهما هيأت السلطه لتنفيذه، السجن والتعذيب والإعدام، والتهم ومصادره الأموال وهتك الأعراض، وما إلى ذلك.

وليس القصد أن الدوله التي تدعى الإسلام تطبق كل تلك المذكورات باسم الإسلام، بل القصد أن تطبيق بعضها كافٍ في إثبات كون الدوله غير إسلاميه، وقد كان أحدهم بين ما يشرب الخمر أمام الملائم يدعى الإسلاميه ويقطع يد السارق، وآخر يأخذ الزكاه إلى جنب أخذه الضرائب، وثالث يعلق في عنقه الصليب أحياناً ويقطع رقبه مخالف الدوله باسم أنه مفسد، إلى ما هنالك من أشباه الذين تقدموا عليهم، كالوليد الذي كان يخوض في حوض الشراب ثم يصلى الجمعة، والمغيره الذي كان يزنى إلى جنب وعظه الناس وتخويفهم بالآخره.

يقول الأعمش: كلما خطب الحجاج حول التقوى كنت أزعم أنه يصدق، مع أن الأعمش هو الذي أصابه ما أصابه من الحجاج، وإنه كان يعلم أنه لا يعمل على طبق الإسلام إطلاقاً، ومع ذلك كانت خطبه الحجاج خطبه من ظاهره التقوى.

وهارون العباسي كان يقتل الألوفا ويشرب الخمر ويعمل كل الموقبات، ثم يبكي لوعظ ابن السماك، إلى ما هنالك من القصص الكثيره.

ثم لنفرض أن الدوله كانت تطبق الإسلام تطبيقاً كاملاً- حسب شورى الفقهاء، والانتخابات الحره المبنيه على تعدد الأحزاب المبنيه على المؤسسات الدستوريه، ومع ذلك رأينا أن الإنتاج لا يكون كما ينبغي، فإنه يظهر أن فى الأمر خللاً لا بد من علاجه، فإن النظام كالمكانه إذا أنتجت إنتاجاً غير ملائم تبين أحد أمرين:

الأول: الخلل فى الماكنه، بما يلزم فحصها فحصاً دقيقاً حتى يظهر الخلل ويتم تصليحه.

الثانى: صحه الإنتاج، لكن ليس على متطلب الناس، فيلزم التطوير حتى يكون حسب رغبتهم.

وهنا يصدق أيضاً ذلك الأمر، فإذا لم يقبل الناس على الإسلام المطبق فإما أن يكون خلل فى التطبيق، وإما أن يكون كيفية التطبيق كيفية غير مرضيه للناس، وإلا- فإن الإسلام لو طبق تطبيقاً صحيحاً عاد إليه رواؤه، وأوجب ما قاله سبحانه وتعالى: ((يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)) (١).

لا يقال: عدم رغبة الناس ليس دليلاً، وماذا يفعل الشورى والإسلام غير قابل للتغيير، فإن حلال محمد (صلى الله عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

لأنه يقال: من ذلك يظهر أن المصداق غير صالح، ومن الممكن تبديله بمصداق آخر صالح، إن الشخص إذا أعطى لديانه أربع الدنانير فلم يقبلوا أمكنه أن يعطيهم من فئة الدنانير أو العشرات الدنانير، ويكون الأمر مثل قول المعبر: إن الخليفة يموت أقرباؤه قبله، وقول المعبر الآخر: إنه يطول عمره أكثر من أقربائه، فى قصه مشهوره.

وعلى كل حال، فالإسلام الصحيح يتهافت عليه الناس، كما نجدهم يتهافتون إلى بعض البلاد شبه الحره، بل أكثر من ذلك، فعدم التهافت بل الكره دليل على فساد التطبيق، والله المستعان.

ص: ٢٤٧

١- سورة النصر: ٢.

((الدبلوماسية))

(مسأله): يلزم على التيار الإسلامى قبل الوصول إلى الدوله، وعلى الدوله الإسلاميه المرتقبه بإذن الله سبحانه اعتماد الدبلوماسية، وهو عباره عن اللين والمرونه، واتباع الطرق السلميه لحل المشاكل والخلافات والمنازعات الداخليه والخارجيه، وتوخى العداله الكامله بين أفراد الأمه، كما يلزم العداله بين أفراد الأمه وغيرها من الدول، أو الأفراد الخارجين عن الإسلام، والتوفيق بين حقوق جميع الدول فى مصالحها المتباينه، دون أن يسعى التيار أو الدوله للحصول على مغانم غير مشروعته يحرمها الشريعه الإسلاميه على حساب الأفراد أو الدول، وهذه هى الدبلوماسية الإسلاميه، بل الحقيقه التى توافق العقل والمنطق.

أما ما ذهب إليه بعض الناس من كون الدبلوماسية التى يجب اتباعها إنما هى: أمر يقوم على النشاط الخفى، والاتصالات المريبه، والغش والكذب، والتجسس والتآمر، وذكر أنصاف الحقائق وإخفاء النصف الآخر، والتعامل مع الناس تعاملًا بالحيله والمكر، فذلك إنما هو دبلوماسية باطله لا يقرها الإسلام.

فإن الدبلوماسية مبنيه على: الكفاءه واللباقه والمرونه، وانتزاع ثقه الناس بحسن العمل، وحسن الطريقه وسياسه الاعتدال، والحرص على تحقيق العداله الفرديه والاجتماعيه والإنصاف، والاهتمام بالصالح العام وبالصالح المشتركه، والمشاركه الوجدانيه مع سائر الناس.

فإنها قوه سياسيه فائقه، لأنها تستند إلى اعتبارات أخلاقيه ساميه، وملكات فاضله، وأصول ثابتة من الشرائع والأديان، وشأنها أن تقضى على سياسه الجشع وحب الغزو والاحتلال والغرور، وتضع مثل هذه الدبلوماسية التى ذكرناها وهى الدبلوماسية الحقيقيه حدًا للمطامع المختلفه، وتتوقف نجاحها على ما تتصف بها من حزم وحيظه وحذر، وتبصر فى

حقيقه الأمور وفي عواقبها، وحسن تقدير للأوضاع الاقتصادية والاجتماعيه والسياسيه والعسكريه والتربويه وغيرها، بالإضافة إلى ملاحظه الظروف الدوليه، وانعكاساتها والمضاعفات المحتمله، حتى لا- يعمل الإنسان عملاً- يعتبره الأعداء مظهراً من مظاهر الضعف، فيتشجعون بذلك على القيام بالعدوان.

فاللازم على الدبلوماسى الإسلامى اللبq الاعتدال، وأن لا يبدو بمظهر الضعف والتخلى عن المطالب الحقه، والاستسلام لمن يريد الانتهاز والوصوليه.

أما ما زعمه (ماكيافيل) فى كتابه: الأمير وغيره من أن سياسه القوه والغطرسه والتحايل والخداع الدبلوماسى والمكر والكيد هى الصحيحه، لأنها تساعد على تحقيق نجاحات سريعه، والحصول على انتصارات باهره، ولا سيما إذا قامت بها دول تمتلك معدات حديثه ووفيره وجيوش يرأسها قواد أذكاء ومحنكون، فإن ذلك سقوط فى النهايه.

إن البذر الصالحه هى التى تنمو، أما البذر الفاسده فلا تنمو، وكذلك البيضه الصحيحه هى التى تفرخ، أما البيضه الفاسده فإن مصيرها الفشل.

وعلى هذا فالدبلوماسيه يجب أن تتولى رعايه العلاقات الفرديه والاجتماعيه الدوليه، لوضوح أن الدول لا تستطيع أن تعيش منظويه على نفسها، فإنه لابد لها من التعامل فيما بينها، وتأمين الانسجام بين مصالحها المتباينه، فهى بالإضافة إلى مراعاة العداله الاجتماعيه بين أفراد الأمه تمارس تطبيق أحكام القوانين الدوليه التى تلائم الإسلام.

واللازم أن تباشر الدبلوماسيه كلياً أثناء السلم، ونسبياً أثناء الحرب، فإن الدبلوماسيه فى حاله الحرب غير الدبلوماسيه فى أثناء السلم لظروف الحرب الطارءه، فإنه حتى فى حال الحرب يمكن ممارسه بعض الدبلوماسيه بواسطه دوله ثالثه، أو إحدى المنظمات الدوليه بين الدولتين المتحاربتين، فإذا انتهت

الحرب أمكن استئناف الدبلوماسية للدخول في مفاوضات مباشره أو غير مباشره تتعلق بشروط الهدنه أو عقد الصلح وحسن الجوار وما أشبه.

ومن الواضح أن نطاق عمل الدبلوماسية لم يعد خاصاً بالشؤون السياسيّه فحسب، بل يتداول أيضاً الشؤون الاقتصاديّه والتجاريّه والثقافيّه والسياحيّه والمواصلات البريه والجويه والبحريّه، والقضايا الفنيّه على اختلاف أنواعها، والأمور التكنولوجيه، فإن كلاً منها لها حاله خاصه مرتبطه بالدوله، ولذا نرى في السفارات ملحقات مختلفه لمراعاه الشؤون المرتبطه، كل شأن بخط من خطوط الدوله في الدوله الأخرى، كل ذلك حسب القوانين المرعيه في الإسلام على ما سيأتى الإلماح إلى ذلك.

فإن الدبلوماسية لا تضع أسس السياسه الخارجيه وإنما تنفذها وتوضحها، وتحاول أن تجد الوسائل الكفيله بتنفيذها وتحقيقها، والسياسه الخارجيه هي التي تحدد النقاط الرئيسيّه للخطط السياسيّه التي تقرر الدوله أتباعها على المدى القريب والبعيد مع مختلف الجيران ومختلف الدول في علاقاتها معها، بالاستناد إلى مصالحها المشتركه، وفي ضوء الظروف الدوليّه القائمه، وحيث لا تسمح الظروف القائمه بممارسه المسلمين الدور الذي يريدونه كاملاً، فإن الدبلوماسية وسيله تنفيذ هذه السياسه التي تعتمد الإسلاميه على تطبيقها بشتى الوسائل والسبل المتوفره لديها، من مساع مختلفه، وتبادل مذكرات، وإجراء مباحثات ومفاوضات، والقيام باتصالات مباشره وغير مباشره بواسطه دوله ثالثه، أو بواسطه إحدى المنظمات الدوليّه أو القاريّه أو الإقليميّه، أو بواسطه إحدى الشخصيات الدوليّه المرموقه، إلى آخر ما هنالك من أنواع القيام بالأمر.

فإن الدبلوماسية من عناصرها السياسه الخارجيه، والسياسه الخارجيه والسياسه الداخليه لكل دوله متلازمتان، وتكمل إحداهما الأخرى،

بحيث لا يستغنى أحدهما عن الآخر، لوضوح أن الدبلوماسية لا تتمكن أن تعمل بدون السياسة الخارجيه، كما أنها لا تتمكن أن تعمل بدون التعامل مع نفس أفراد الأمم، وهذا الترابط حتمى يفرض على الدبلوماسية أن يتصف بالمرونة والخلق الرفيع وتحري الحقيقه، من غير فرق فيها بين المؤتمرات الدوليه، أو فى التعامل مع الدوله المعتمده لديها السفير، أو الممثل الدبلوماسى أو غير ذلك.

والدبلوماسيون بالإضافة إلى مجلس الأمم والشخصيات العلميه ومن إليهم، يضعون السياسه الخارجيه حتى تكون سياسه مضبوطه، والدبلوماسية الفقيه يستطيع بواسطه تقاريره واقتراحاته الحكيمه أن يسهم فى رسم خطط سياسه حكومته مساهمه كبيره، ويعمل على طلب تعديل التعليمات التى يتلقاها، وبذلك يشاطر حكومته الأمور السياسيه الداخليه والخارجيه.

ولذا نشاهد أن فى عالم اليوم كبار الساسه ورؤساء الدول ووزراء الخارجيه والجامعات وما إلى ذلك يتولون مهام الدبلوماسيين، الأمر الذى أدى إلى نشوء دبلوماسيه القمه المنطبقه على الصغريات الخارجيه.

ومن الواضح أن الدبلوماسيه لا تكون فى الفراغ، فإن اللازم أن تسندها القوه، واللازم أن تكون العلاقه بين القوه والسياسه متلائمه، بحيث تدعم كل منهما الثانيه، لوضوح أن القوه والدبلوماسيه وجهان لعملة واحده، فإن القوه وحدها تؤدى إلى تكديس الأسلحه وصرف الأموال فى ما لا يعنى، بينما أن الدبلوماسيه وحدها لا تكفى إذا لم تكن مستنده إلى القوه، فإن فى الأمرين معاً حل مشاكل البشر، وعندما تكون الغايه من توافر القوه تحقيق أهداف مترنه وحصينه دون استخدامها لأغراض عدوانيه، أو لدعم مطالب غير محقه، أو لملئ الغرور والدكتاتوريه، لا شك أنها تسهم حينئذ فى إشاده السلم وترسيخ قواعده، والقوه وحدها

لا- تكفى ولا- يمكن ضمان الأمن والسلام بالتفوق فى الأسلحة فحسب، لأن التسلح بدون الاتزان مع الدبلوماسية توجب الاضطراب والفوضى، ولا- يزال يتطلب المزيد والمزيد حتى يكون كلاً على الدوله وعلى الأمه، ويكون الأمر حلقه مفرغه من الخوف والذعر وصنع الأسلحة وصرف الأموال، وهذه الأمور لا تخلو من المخاطر الكبيره، وأحياناً الكوارث، كما شاهدناها فى الحربين العالميتين الأولى والثانيه.

فإن امتلاك القنبله الذريه والهيدروجينيه والنويه والصواريخ الموجهه سلاح ذات حدين، مثل النار والسييل وغيرهما، إن تمكن الإنسان أن يستفيد منها استفاده معقوله خدمته، وإلا سببت الدمار والهلاك لكلا الجانبين، وسوء التقدير قد يؤدي إلى استخدام إحدى الدولتين أو كليهما قوه كبيره لم تكن تريد استخدامها فى بادئ الأمر، فإن القضايا الكبيره أحياناً تبدؤ برصاصه واحده فى يد من ليس له ضبط الأعصاب، وتنتهى أخيراً باستخدام القنبله الذريه أو الهيدروجينيه أو ما أشبههما.

واللازم فى دبلوماسية الدوله الإسلاميه أن تدخل فى أمورها التكنولوجيه الحديثه، وإلا لكان محكوماً عليها بالفناء، فإن من يربح الحرب هو لذي يهيؤ لها فى حاله السلم، ومن يربح السلم هو الذى يهيؤ لها فى حاله الحرب.

((الدبلوماسية والرأى العام))

((الدبلوماسية والرأى العام))

ومن أهم بنود الدبلوماسية ملاحظه الرأى العام إيجاباً وسلباً، فعلى التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه أن تلاحظ الرأى العام كى لا يكون مخالفاً لهم أولاً، وأن يوافقهم ثانياً، فإن الرأى كاسر وجابر.

فإذا رأى التيار عدم تمكن الدوله من الاستمرار فى خطواته الإصلاحيه انفض عنها، وذلك يوجب سقوطها، وحيث لا يمكن بقاء الدوله إلا بمسانده الرأى العام فاللازم عليه أن يهتم لإيجاده، كما أنه لو رأت أن الرأى العام يخالفها فاللازم عليها أن تترك

ما تريده كى لا يجرف السيل بها ويشوه سمعتها، فإن ذلك من مصاديق الأهم والمهم، والأهم مقدم على المهم لتحصيل الأهم، فلو خير إنسان بين أن تقطع يده أو رأسه قدم يده لحفظ رأسه، ولو خير إنسان بين نجاه غريق له أهميه كالقائد العام للجيش المتوقف أمر الجيش على حفظه، ونجاه غريق آخر كالجندي العادي ليس له مثل تلك الأهميه، قدم الأول على الثانى إلى غير ذلك، سواء فى المفسدتين، أو المصلحتين، أو المصلحه والمفسده، قال سبحانه: ((وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلٌّ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ)) (١).

فقد ورد فى تفسير على بن إبراهيم القمى: إن الآيه نزلت فى عبد الله بن نفيل، فإنه كان يسمع كلام النبى (صلى الله عليه وآله) وينقله إلى المنافقين، حتى أوقف الله نبيه (صلى الله عليه وآله) على هذه النميمه، فأحضره النبى (صلى الله عليه وآله) وسأله عنها، فحلف أنه لم يكن شىء مما ينم عليه، فقبل منه النبى (صلى الله عليه وآله)، فأخذ هذا الرجل يطعن عليه، ويقول: هو أذُنٌ يقبل كل ما يسمع، أخبره الله إنى أنم عليه فقبل، وأخبرته أنى لم أفعل فقبل، فرد عليه الله سبحانه وتعالى بقوله: ((قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ)) (٢).

ومن المعلوم أن تصديق النبى (صلى الله عليه وآله) للمناقق لم يكن إلا بمعنى عدم إظهار تكذيبه من باب الأهم والمهم، لأن النبى (صلى الله عليه وآله) إذا كان يعارض كل أحد يعارضه انفض الناس من حوله، كما قال سبحانه: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) (٣).

وورد فى بعض الروايات أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال لبعض زوجاته:

ص: ٢٧٣

١- سورة التوبه: ٦١.

٢- سورة التوبه: ٦١.

٣- سورة آل عمران: ١٥٩.

«لولا- أن قومك حديثوا عهد بالإسلام لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين»^(١)، فإنه إن صح هذا الحديث دل على أنه كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يحذر من مخالفه الناس ويقدم الأهم على المهم.

كما أنه ورد في قصة الدباب التي دحرجوها أمام ناقته (صلى الله عليه وآله) في العقبة، أنه (صلى الله عليه وآله) قال في سبب عدم قتله أولئك المتأمرين ما مضمونه: لولا أن الناس يقولون أن محمداً استنصر بجماعه فلما علا أمره أخذهم وقتلهم لقتلت هؤلاء^(٢).

وفي الكافي الشريف: إن علياً (عليه الصلاة والسلام) كان يترك بعض ما يراه تخوفاً من الرأي العام من جهة الأهم والمهم، فإنه رفع اليد عن رأيه في قصة التحكيم، حيث كان رأيه سلبياً، لكن رأى كثير من أصحابه كان بالنسبة إلى التحكيم إيجابياً، فترك رأيه وأخذ رأيهم اضطراراً.

كما أنه (عليه السلام) رفع يده عن الأمر بترك صلاة التراويح، حيث كان رأى كثير من أهل الكوفة ذلك.

وكذلك لما عزل (عليه الصلاة والسلام) شريحاً صاح الناس خلاف العزل، فرفع يده عن عزله، وجعله في مكانه السابق.

وقال (عليه الصلاة والسلام) كما في الكافي: لو فعلت كذا لا نهدم بعض عسكرى.

هذا بالنسبة إلى أفضل الناس وهم الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) كأمثله نموذجيه، وإلا فالمثال كثير.

وكذلك نشاهد الأمر بالنسبة إلى أسوأ الناس مثل يزيد، فإنه اضطر إلى تصعيد الإمام السجاد (عليه الصلاة والسلام) المنبر في مسجد الشام بعد أن كان يعلم أنه لا ينزل إلا بفضيحته وفضيحة آل أبي سفيان، كما صرح هو بذلك، وإنما أجاز للإمام في صعود المنبر لضغط الرأي العام الذين كانوا في المسجد وحواليه عليه.

والمأمون العباسي رفع يده عن إعلام سب

ص: ٢٧٤

١-.

٢-.

معاويه، وعن إعلام إباحه المتعه لما خاف الرأى العام بعد كونه مصرأً عليه فى قصه مشهوره، إلى غيرها من القصص الكثيره المذكوره فى التواريخ.

ولا- يخفى أن تقديم الأهم على المهم فى التيار الإسلامى والدوله الإسلاميه إنما يكون بعد تشخيص الموضوع تماماً، لا أن يترك التيار أو الدوله الإسلاميه كلما يراه صلاحاً للمخالفه، أو يفعل كل ما يراه صلاحاً للموافقه، وإذا تضاربت الآراء حول الأهميه يكون ترجيح الأهم على المهم من أصعب الأمور، مما يحتاج الأمر إلى لباقة وشجاعه، فإن فى الطرفين من لا ينجو منهم التيار أو الدوله إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى.

((بين الدبلوماسيه والأحكام الشرعيه))

((بين الدبلوماسيه والأحكام الشرعيه))

ثم إن الدبلوماسيه على ما عرفت كثيراً ما لا ينسجم مع أحكام الإسلام، حيث إن الأولى تراعى القانون الدولى، بينما الثانى يراعى أحكام الشرعيه، وبينهما وإن كان مواضع كثيره للتلاقى إلا أن بينهما مواضع متعدده أيضاً للتفارق، فبينهما عموم من وجه على الاصطلاح المنطقى.

فإن كان مورد التفارق من مصاديق قانون الإلزام عمل به، وإن لم يكن من ذلك لزم مراعاة الإسلام إلا فى الأحكام الثانويه إذا كان من الضروره أو قانون الأهم والمهم أو ما أشبه ذلك.

ثم إن بين الدوله الإسلاميه التى تقوم بإذن الله تعالى وبين الدوله المسلمه التى لا تطبق أحكام الإسلام _ قبل وحده بلاد الإسلام حتى يكون الدين كله لله _ وكذلك بين الدوله الإسلاميه المذكوره أو الدوله الإسلاميه العالميه وبين الدول غير الإسلاميه يجب ملاحظه أمرين:

الأول: بينها وبين الدول غير المطبقه، وهنا يجب أن يفرق الحكومه الإسلاميه بين الشعب والحكومه، فالشعب المسلم كلهم

أخوه، سواء كانوا في هذه المحدوده أو تلك المحدوده، فيلزم على الدوله الإسلاميه مراعاة الأخوه الإسلاميه وسائر الموازين المذكوره فى الكتاب والسنة والإجماع والعقل، كالأمه الواحده ونحوها، أما بالنسبه إلى الحكومه غير المطبقة، فتعامل الدوله الإسلاميه معها إذا كانت ترى الثانيه خلاف الإسلام على قدر الضروره والأحكام الثانويه.

مثلاً لو فرضنا أن العراق كانت فيها حكومه إسلاميه مرجعيه مائه فى مائه، وإندونيسيا الشعب مسلم والحكومه لا تطبق الإسلام، فالدوله الإسلاميه العراقيه ترى الإندونيسيين أخوه، وكلهم أمه واحد، ولهم ما لهم وعليهم ما عليهم من غير تفاوت حتى فى شعره، أما الحكومه الإندونيسيه فتعامل العراق معها حسب الإسلام إذا توافقتا، وإلا عملت الحكومه العراقيه معها حسب الاضطرار والأحكام الثانويه.

أما تعامل العراق مع كندا مثلاً، وهو الأمر الثانى، فشعبها يعامل معه حسب: (أو نظير لك فى الخلق)، لا (أخ لك فى دين) حسب كلام على (عليه الصلاه والسلام)، أما الحكومه فكما تقدم.

((رئاسه الدوله وما يتربط بالدبلوماسيات))

((رئاسه الدوله وما يتربط بالدبلوماسيات))

ثم إن رئاسه الدوله التى هى شورى الفقهاء تعتمد السياسه العامه للدوله الداخليه والخارجيه بشكل عام، كما أنها تطلع على التقارير والبرقيات السريه الوارده من رؤساء البعثات الدبلوماسيه، وبيان رأيه بشأنها، واللازم عدم الإعلان عنها إذا كانت تلك التقارير والبرقيات سريه، وإلا فلا يضر العلنيه فيها.

كما أن الرئاسه تطلع على المباحثات والمفاوضات الخارجيه وإبداء رأيه فيها وإعطاء توجيهاته، من حيث توقيعها أو اللجوء مثلاً إلى التحكيم أو التوجيه أو تقديم شكوى إلى مجلس الأمن أو ما أشبه ذلك من الأمور الضروريه للدوله، فإن شورى

الفقهاء هو الذى بيت فى هذه الأمور بعد التداول الكامل، كما أن الشورى يطلب استفتاء الشعب حول موضوع دولى أو داخلى لصلح أو إقرار دعوته أو اتحاد أو ما أشبه ذلك.

وهكذا على الشورى بنفسها أو بوكلائها القيام بزيارات رسميه للدول الصديقه، أو التى يراد توطيد الصداقه معها أو ما أشبه ذلك، فى حرب أو سلم أو غيرهما، وتدل على أيضاً بالبيانات حول السياسه الخارجيه والعلاقات الدوليه والسياسيه العامه للدوله، كما أنها تشترك فى الاجتماعات القمه، وفى بعض المؤتمرات والاجتماعات الدوليه الهامه، والقيام بمهمه التوفيق أو التحكيم بين دولتين أجنبيتين صديقتين أو عدوتين أو ما أشبه ذلك، وتوقيع المعاهدات وإبرامها وإنفاذها واستقبال السفراء الأجانب بمناسبه تقديم كتب اعتمادهم أو انتهاء مهمتهم، وبمناسبه الأعياد الدينيه أو ما أشبه، وعند ما يكلفون بإبلاغ رساله شفهيته أو خطيه إلى جهه من الجهات الدبلوماسيه، والتوقيع لكتب اعتماد السفراء المعتمدين لديها وما أشبه ذلك مما تعرض لها الكتب المعنيه بالشؤون الدبلوماسيه، فإن لها خصوصيات ومزايا وكل ذلك يفعلها الشورى متحريراً الأحسن فالأحسن من المناهج المقرره، والتي كلها مصاديق للكبريات الإسلاميه، وقد قال سبحانه: ((يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا)) (١).

((كتابات الرسول ص إلى الملوك))

((كتابات الرسول ص إلى الملوك))

وفى أخير هذا المبحث نذكر بعض كتب الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الملوك والرؤساء والأمراء، لتظهر كيفيه كتاباته (صلى الله عليه وآله) حتى يتخذها التيار الإسلامى ثم الدوله الإسلاميه منهجاً فى الدعوه إلى الله سبحانه، فإنه (صلى الله عليه وآله) أسوه للبشرية عامه:

ص: ٢٧٧

((كتابہ ص إلى المقوقس))

((كتابہ ص إلى المقوقس))

الأول: كتابہ (صلى الله عليه وآله) إلى المقوقس:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوك بدعايه الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمه سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بنا أننا مُسلمون} ((١)).»

((كتابہ ص إلى كسرى ملك الفرس))

((كتابہ ص إلى كسرى ملك الفرس))

الثانى: كتابہ إلى كسرى ملك الفرس:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعايه الله، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس».

((كتابہ ص إلى قيصر ملك الروم))

((كتابہ ص إلى قيصر ملك الروم))

الثالث: كتابہ إلى قيصر ملك الروم:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما فإنى أدعوك بدعايه الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمه سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بنا أننا مُسلمون} ((٢)).»

((كتابہ إلى الهلال صاحب البحرين))

((كتابہ إلى الهلال صاحب البحرين))

الرابع: كتابہ إلى الهلال صاحب البحرين:

«سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو لا شريك له، وأدعوك إلى الله وحده، تؤمن

ص: ٢٧٨

١- سورة آل عمران: ٦٤.

٢- سورة آل عمران: ٦٤.

بالله وتطيع، وتدخل في الجماعه، فإنه خير لك، والسلام على من اتبع الهدى».

((كتابہ إلى قيصر من تبوك))

((كتابہ إلى قيصر من تبوك))

الخامس: كتابہ إلى قيصر من تبوك:

«من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم، وإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (١)، وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية».

((كتابہ إلى النجاشي))

((كتابہ إلى النجاشي))

السادس: كتابہ إلى النجاشي الأول:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأسحم ملك الحبشه، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبه الحصيئه، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاه على طاعته، وأن تتبغني فتؤمن بي وبالذي جاءني، فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم ودع التجبر، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فأقبل، والسلام على من اتبع الهدى».

((كتابہ إلى الحارث))

((كتابہ إلى الحارث))

السابع: كتابہ إلى الحارث بن أبي شمر:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من

ص: ٢٧٩

اتبع الهدى وآمن به وصدق، وإنى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك».

((كتابہ إلى هودہ ملك اليمامه))

((كتابہ إلى هودہ ملك اليمامه))

الثامن: كتابہ إلى هودہ بن على الحنفى ملك اليمامه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هودہ بن على، سلام على من اتبع الهدى، اعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك».

((كتابہ إلى المنذر بن ساوى))

((كتابہ إلى المنذر بن ساوى))

التاسع: كتابہ إلى المنذر بن ساوى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا هو، أما بعد فإنى أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، وأسلم يجعل لك الله ما تحت يديك، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، محمد رسول الله».

((كتابہ إلى ابنى الجلندى))

((كتابہ إلى ابنى الجلندى))

العاشر: كتابہ إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابنى الجلندى، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنى أدعوكما بدعايه الإسلام، أسلما تسلما، إنى رسول الله إلى الله الناس كافه، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلى تحل بساحتكما، وتظهر نبوتى على ملككما».

((كتابہ إلى أکثم بن صفى))

((كتابہ إلى أکثم بن صفى))

الحادى عشر: كتابہ إلى أکثم بن صفى:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى أکثم بن صفى، أحمد الله إليك أن الله

أمرنى أن أقول: لا- إله إلا الله، أقولها وأمر الناس بها، الخلق خلق الله والأمر كله لله، خلقهم وأماتهم، وهو ينشرهم وإليه المصير، أدبتكم بأداب المرسلين ولتسألن عن النبأ العظيم ولتعلمن نبأه بعد حين»(١١).

وقد ذكر المؤرخون أنه (صلى الله عليه وآله) بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله حذافه بن السهمي إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري وجعفرأ إلى النجاشي ملك الحبشه، وبعث حاطب بن أبي بلتعنه إلى المقوقس ملك الإسكندريه، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي إلى ثمامه بن أثال وهوذ بن علي الحنفيين ملكي اليمامه، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث ملك اليمن.

وقالوا: إنه بعث ستة نفر من يوم واحد إلى الملوك، وأصبح كل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم.

ولا يخفى أن الكتب كثيره والرسل كثيرون، نكتفى منها ومنهم بهذا القدر.

((مكالمه أبي سفيان وأحد الملوك))

((مكالمه أبي سفيان وأحد الملوك))

ونذكر أخيراً مكالمه بين أبي سفيان وبين أحد الملوك ليظهر كيف كانت سيره الرسول (صلى الله عليه وآله) مما سبب التفاف الناس حوله ودخولهم في الإسلام أفواجاً أفواجاً.

قال أبو سفيان: انطلقت في المده التي كانت بيني وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) _ الظاهر أن تلك المده هي مده صلح الحديبيه عشر سنين أو أقل _ إلى الشام، فبيناً أنا بالشام إذ جىء بكتاب من رسول الله (صلى الله عليه وآله)

ص: ٢٨١

وآله) إلى هرقل، يعنى عظيم الروم، فدفعه الرسول وهو دحيه إلى عظيم بصرى، ودفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

فقال هرقل: هيهنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، قالوا: نعم، قال: فدعيت فى نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى.

فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسونى بين يديه، وأجلسوا أصحابى خلفى، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم: إنى سائل عن هذا الرجل الذى يزعم أنه نبى، فإن كذبنى فكذبوه، قال فقال أبو سفيان: وأيم الله لولا مخافه أن يثر على الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم، قال قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك، قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن ما قال، قلت: لا، قال: من يتبعه أشرف الناس أم ضعفاؤهم، قال قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون، قلت: لا بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن دخل فيه سخطه له، قال قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه، قلت نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه، قال قلت: يكون الحرب بيننا وبينه سجلاً يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر، قلت: لا ونحن منه فى مده لا ندرى ما هو صانع فيها، قال أبو سفيان: فو الله ما أمكنتنى من كلمه أدخل فيها شيئاً غير هذه.

قال: فهل قال هذا القول أحد قبله، قال: قلت: لا، قال: وكيف عقله ورأيه، قلت: لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط، قال: فما يأمركم به، قلت: يأمرنا بالصلاه والزكاه والعفاف، وأن نعبد الله وحده لا شريك له، ويأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الأمانه.

قال لترجمانه: قل له: إنى

سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آباءه ملك فزعمت أن لا، وقلت لو كان من آباءه ملك قلت رجل يطلب ملك آباءه، وسألتك عن أتباعه أضعفائهم أم أشرفائهم فقلت بل ضعفائهم وهم أتباع الرسل، وسألتك هل تتهمونه بالكذب قيل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط هشاشه القلوب، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلموه فزعمت أنكم قاتلموه ويكون الحرب بينكم وبينه سجلاً ينال منكم وتناولون منه، وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا- يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا، فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل أئتم بقول قيل قبله.

قال: ثم قال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أنى أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، ولبلغن ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقرأه.

وذكر أن ابن أخ قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه: قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم، فقال: والله إنك لضعيف الرأي، أترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر وهو أحق أن يبدأ بنفسه، ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي مالكة.

قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، فأمر بنا فأخرجنا، قال: قلت لأصحابي حين خرجنا: لقد

عظم أمر ابن أبي كبشه، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سيظهر حتى أدخل الله على الإسلام، وفي بعض الألفاظ الأخر: فما زلت مرعوباً من محمد حتى أسلمت، وكنت أضرب إحدى يدي على الأخرى وأقول: أي عباد الله لقد أعظم أمر ابن أبي كبشه، أصبح ملك الروم يهابه.

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، والله المسؤول أن يجعله سبباً لنشر الأحكام، وإقامه حكمه الإسلام، حسب ما يرتضيه الله ورسوله والأئمة (عليهم الصلاة والسلام).

اللهم إنا نرغب إليك في دوله كريمه، تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاه لطاعتك، والقاده إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامه الدنيا والآخره.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

سبحان ربك رب العزه عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تم بيد مؤلفه في قم المقدسه

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

ص: ٢٨٤

المحتويات

المحتويات

حاجات الإنسان الأوليه ٧ [١]

تكافؤ الفرص والمساواه ٨ [٢]

حق غير المسلمين فى الدوله الإسلاميه ٨ [٣]

روايات الاحترام وحرمة الإهانه ١١ [٤]

روايات فى حرمة الطعن واللعن. ١٦ [٥]

تحولات فى العالم ٢١ [٦]

التحول فى الغرب. ٢١ [٧]

التحول فى الشرق. ٢١ [٨]

التحول فى العالم الثالث. ٢٢ [٩]

الفقه العملى. ٢٢ [١٠]

التكنولوجيا وصبغه الإسلام ٢٣ [١١]

الغرب وتغيير مناهجه ٢٤ [١٢]

أسباب تخلف بلاد المسلمين. ٢٤ [١٣]

إصلاح الأمة الإسلاميه ٢٥ [١٤]

الاقتصاد فى الدوله الإسلاميه ٢٨ [١٥]

الجمارك. ٢٨ [١٦]

الجواب عن شبهه الجمارك. ٢٨ [١٧]

الجواب على شبهه الحدود المصطنعه ٣١ [١٨]

الربا ٣٣ [١٩]

إشكالان وجوابان. ٣٤ [٢٠]

الضرائب. ٣٥ [٢١]

الضرائب وأسبابها ٥١ [٢٢]

جهل الحكام ٥١ [٢٣]

دكتاتوريه الحكام ٥٤ [٢٤]

ترف الحكام ٥٩ [٢٥]

الأرض لله ولمن عمرها ٦٠ [٢٦]

شروط إحياء الأرض... ٦٣ [٢٧]

خطأ الحكام فى الأراضى. ٦٤ [٢٨]

ص: ٢٨٥

الدولة الإسلاميه وسياسه اللاعنّف.. ٦٦ [١]

أقسام اللاعنّف.. ٦٧ [٢]

أقسام العنّف.. ٦٨ [٣]

إشكال وجواب. ٦٩ [٤]

اللاعنّف الفكرى والتربيه النفسيه ٦٩ [٥]

روايات فى مظاهر اللاعنّف.. ٧٠ [٦]

نماذج من العنّف فى التاريخ. ٧١ [٧]

منطق المسلمين فى الحروب. ٧٣ [٨]

الحروب والسيره النبويه العطره ٧٦ [٩]

اللاعنّف أقوى تأثيراً ٧٩ [١٠]

إشكال وجواب. ٨١ [١١]

اللاعنّف اللسانى. ٨٤ [١٢]

اللاعنّف القلبى. ٨٧ [١٣]

الاهتمام بالشباب. ٨٩ [١٤]

مما يحتاجه الشباب. ٩٣ [١٥]

المرأه وتولى الأمور. ٩٦ [١٦]

مراعاة حال المرأه ١٠٤ [١٧]

إساءه غير الإسلام إلى المرأه ١٠٤ [١٨]

ضروره الحجاب. ١٠٥ [١٩]

تعدد الزوجات. ١٠٨ [٢٠]

قله الإرث والديه ١٠٩ [٢١]

قواميه الرجل. ١٠٩ [٢٢]

أقل شهاده ١٠٩ [٢٣]

الإماره والقضاء ١١٠ [٢٤]

قوانين فى صالح المرأه ١١٠ [٢٥]

الأصل التساوى بين الرجل والمرأه ١١٠ [٢٦]

ما يجب على الدوله الإسلاميه تجاه المرأه ١١٤ [٢٧]

روايات فى المرأه ١١٦ [٢٨]

الإسلام والتأكيد على العمل. ١٢٤ [٢٩]

سؤالان وجوابان. ١٢٦ [٣٠]

حق العامل والفلاح. ١٢٨ [٣١]

ص: ٢٨٦

روايات فى حقوق العمال. ١٢٩ [١]

روايات فى الفلاحين. ١٣٣ [٢]

روايات فى الزراعه ١٣٤ [٣]

مكانه العمل الإسلام ١٣٦ [٤]

العامل ورب العمل. ١٤١ [٥]

الطغيان الحكام ١٤٧ [٦]

المؤسسات الدستوريه ١٤٩ [٧]

التطور ومقوماته ١٥١ [٨]

فلسفه التأخر. ١٥٧ [٩]

الغرور. ١٥٧ [١٠]

الكبير. ١٥٨ [١١]

كثره الشكوى وبيان المشاكل. ١٦٠ [١٢]

كثره التوقعات. ١٦٠ [١٣]

عدم فهم الحياه ١٦١ [١٤]

سوء الخلق. ١٦٢ [١٥]

ملذات الحياه ١٦٤ [١٦]

سوء الظن بالناس.. ١٦٧ [١٧]

عدم الأجواء الملائمه ١٧٠ [١٨]

انفضاض الناس.. ١٧٣ [١٩]

جمع الكلمه والتفاف الناس.. ١٧٥ [٢٠]

ما يوجب العداوه ١٧٧ [٢١]

سحب البساط عن الآخرين. ١٧٧ [٢٢]

عدم الاهتمام بعرش القلوب. ١٧٩ [٢٣]

الراحه واللذذ ١٨٢ [٢٤]

النظره السلبيه للحياه ١٨٦ [٢٥]

سؤال وجواب. ١٨٦ [٢٦]

اليأس من الإصلاح. ١٨٧ [٢٧]

الاستبداد ١٨٩ [٢٨]

الغرور العلمى والعملى. ١٩٢ [٢٩]

عدم معرفه الموازنات. ١٩٤ [٣٠]

كثره الأمانى. ١٩٤ [٣١]

ص: ٢٨٧

- استحقاق الآخرين. ١٩٧ [١]
- التفكير المطلق. ١٩٨ [٢]
- الاشتغال بالهوامش.. ٢٠٥ [٣]
- التلون في السير. ٢٠٦ [٤]
- الشطارة ٢٠٧ [٥]
- مدح النفس.. ٢٠٨ [٦]
- الهروب عن المسؤولية ٢٠٨ [٧]
- التوافه ٢٠٩ [٨]
- انتظار المفاجئات. ٢١٠ [٩]
- عدم الاعتبار بالعبر. ٢١١ [١٠]
- الأنايات. ٢١٢ [١١]
- العنف.. ٢١٣ [١٢]
- إفراط وتفريط. ٢١٤ [١٣]
- الخداع. ٢١٤ [١٤]
- الرؤية العكسية ٢١٦ [١٥]
- التوقف والسير الدائري. ٢١٨ [١٦]
- انحطاط الهمة ٢١٩ [١٧]
- الاستعجال. ٢٢١ [١٨]
- القول المطلق. ٢٢٣ [١٩]
- قله الصبر. ٢٢٥ [٢٠]

اتباع الهوى. ٢٢٧ [٢١]

الافتهام والتكفير والتفسيق. ٢٣٠ [٢٢]

فهم السياسه وصعوبته ٢٣٣ [٢٣]

من سنن الكون. ٢٣٥ [٢٤]

الأسس الأخلاقية ٢٣٧ [٢٥]

ضبط النفس.. ٢٣٨ [٢٦]

إزاله الجهل والفقير والظلم ٢٤١ [٢٧]

توفير الإمكانيات واستقلالية الحوزات العلميه ٢٤٧ [٢٨]

مميزات الحوزه على الجامعه ٢٤٩ [٢٩]

حريه الدرر وما يتعلق به ٢٤٩ [٣٠]

التقوى والأخلاق. ٢٤٩ [٣١]

ص: ٢٨٨

العلاقه بين الأستاذ وتلميذه ٢٥١ [١٢٢]

العلم وليست الشهاده ٢٥١ [١٢٣]

استمراريه الدروس .. ٢٥١ [١٢٤]

التعليم والتعلم الدائم ٢٥٢ [١٢٥]

الإخلاص فى التدريس .. ٢٥٢ [١٢٦]

روايات فى العلم والعلماء ٢٥٢ [١٢٧]

تغيير الدين وأحكامه ٢٦٠ [١٢٨]

تحليل الحرام وتحريم الحلال. ٢٦١ [١٢٩]

الدبلوماسيات. ٢٦٨ [١٣٠]

الدبلوماسيه والرأى العام ٢٧٢ [١٣١]

بين الدبلوماسيه والأحكام الشرعيه ٢٧٥ [١٣٢]

رئاسه الدوله وما يتربط بالدبلوماسيات. ٢٧٦ [١٣٣]

كتابات الرسول ص إلى الملوک. ٢٧٧ [١٣٤]

كتابه ص إلى المقوقس.. ٢٧٨ [١٣٥]

كتابه ص إلى كسرى ملك الفرس.. ٢٧٨ [١٣٦]

كتابه ص إلى قيصر ملك الروم ٢٧٨ [١٣٧]

كتابه إلى الهلال صاحب البحرين. ٢٧٨ [١٣٨]

كتابه إلى قيصر من تبوك. ٢٧٩ [١٣٩]

كتابه إلى النجاشى. ٢٧٩ [١٤٠]

كتابه إلى الحارث. ٢٧٩ [١٤١]

كتابه إلى هوذه ملك اليمامه ٢٨٠ [١٤٢]

كتابه إلى المنذر بن ساوى. ٢٨٠ [١٤٣]

كتابه إلى ابنى الجلندى. ٢٨٠ [١٤٤]

كتابه إلى أكتم بن صفى. ٢٨٠ [١٤٥]

مكالمه أبى سفيان وأحد الملوک. ٢٨١ [١٤٦]

المحتويات. ٢٨٥ [١٤٧]

ص: ٢٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

